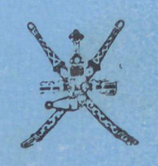
سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة



الكشف والبيان

تأليف الشيخ العالم
أبي عبد الله محمد بن سعيد
الأزدي القلهاتي

الجزء الأول

تحقيق وشرح
الأستاذة الدكتورة

سيدة اسماعيل كاشف

أستاذة التاريخ الإسلامي
كلية البنات – جامعة عين شمس

١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة



تراثنا

الكشف والبيان

تأليف الشيخ العالم
أبى عبد الله محمد بن سعيد
الأزدي القلهاتى

الجزء الأول

تحقيق وشرح
الأستاذة الدكتورة
سيدة اسماعيل كاشف
أستاذة التاريخ الإسلامى
كلية البنات - جامعة عين شمس
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم صاحب المعالي سمو الأمير

السيد فيصل بن علي بن فيصل

وزير التراث القومي والثقافة

سلطنة عمان

تحرص وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان على نشر مخطوطاتها الثمينة نشراً علمياً منهجياً ، حتى تقدم للعالم الإسلامي وغير الإسلامي تراثها الثمين الذي ظل حبيساً فترة طويلة من الزمان لأسباب تاريخية مختلفة :

وقد ازدهرت عمان بعد دخول الإسلام فيها ازدهاراً عظيماً مكملة بذلك مسيرتها الحضارية عبر آلاف السنين . ونحن نحرص كل الحرص على صلة ماضينا بحاضرنا ، وعلى أن يظل ماضينا معيناً فياضاً نستمد منه لحاضرنا : والمخطوطة التي نقدمها اليوم هي مخطوطة « الكشف والبيان » الجزء الأول والثاني ، من تصنيف وتأليف الشيخ الجليل والعالم الأباضي العماني العظيم ، أبي عبد الله محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي ، وهي التي لا يعرفها العالم حتى الآن إلا من خلال نسخة خطية وحيدة محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني في لندن .

وإنا نسأل الله العلى القدير التوفيق ،ونرجو أن تشاهد كافة المخطوطات العمانية النور ،وأن تصبح فى متناول أيدى العلماء والباحثين والقراء فى كافة أنحاء المعمورة .

حفظ الله عمان الحبيبة ووفقها إلى ما فيه خير أبنائها وخير الإنسانية فى ظل راعى نهضتها حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله .

فيصل بن على بن فيصل
وزير التراث القومى والثقافة
سلطنة عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين
وعلى عباده الذين اصطفى

مقدمة

بقلم الأستاذة الدكتورة : **سيدة إسماعيل كاشف**

يحق للتراث الإسلامى عامة وللتراث العمانى خاصة أن يفخر بعدد كبير من المؤلفات، لا يرقى إليه تراث أى حضارة أخرى فى مختلف العصور والأزمنة. وكان للدين الإسلامى أثر كبير فى نشأة علم التاريخ عند العرب وتطوره، حتى فاق المسلمون فى هذا العلم غيرهم من الأمم . فالقرآن الكريم نبه الناس إلى التاريخ الماضى وإلى تاريخ الأنبياء والرسل . كذلك كان علم التاريخ يهدف فى البداية إلى دراسة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأعمال الصحابة والجماعة الإسلامية الناشئة ، وأخبار الغزوات والجهاد ، ونشأة الفرق المختلفة فى الإسلام. واتصل علم التاريخ عند المسلمين بالتطور الثقافى العام فى الدولة العربية، فجاء مرتبطاً بعلم الحديث والفقه واللغة والأنساب والأخبار والسير والمغازى والآداب وعلم الكلام والعقائد والمنطق والفلسفة الإسلامية والفلسفة اليونانية . وقدم التاريخ الإسلامى أكبر ما يمكن من نتائج الآداب والعلوم والفنون وسائر ألوان المعرفة ، كما ساعد على شدة التمسك بالتراث الحضارى للإسلام .

ولم يكن عجيباً أن تزدهر عمان منذ فجر الإسلام ازدهاراً كبيراً ، فهى فى ذلك مكملة لمسيرتها الحضارية عبر آلاف السنين . وقد دفع الإسلام عمان دفعة قوية نحو التطور والحضارة، وساهم مساهمة فعالة فى إثراء الفكر العمانى ، وفى إرساء الحضارة العمانية المجيدة . وأصبحت عمان العربية الإسلامية مركزاً علمياً هاماً فى الدولة الإسلامية الشاسعة الأرجاء . وظهر دورها الفعال والواضح

فى مختلف نواحى الحضارة الإسلامية دون أن تفرط فى علاقاتها مع سائر الدول والشعوب التى اتصلت بها منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، بحكم موقعها الجغرافى وصلاتها البحرية والتجارية والسياسية والثقافية .

وكان للكتاب والمؤرخين العمانيين أكبر الفضل فى الإبقاء على التراث القومى العمانى الاسلامى حياً لا يستطيع الز من مهما طال أن يبعد بين ماضى أمة عمان الإسلامية وبين حاضرها .

* * *

ومخطوط « الكشف والبيان » بجزئيه الأول والثانى لم يسبق نشره .. بل إن العلماء والباحثين من الشرق والغرب يشيرون إلى أن المخطوطة الوحيدة فى العالم لكتاب «الكشف والبيان» محفوظة فى مكتبة المتحف البريطانى فى لندن. وعلى سبيل المثال كتب الدكتور محمد كفافى فى بحثه باللغة الإنجليزية الذى ظهر فى القاهرة فى سنة ١٩٥٢ م أن هناك نسخة خطية وحيدة فى العالم كله لكتاب « الكشف والبيان » بجزئيه محفوظة فى مكتبة المتحف البريطانى(١) . كذلك كتب الدكتور عوض خليفات فى كتابه الذى نشره فى الأردن فى سنة ١٩٧٨ م « ويجدر بالذكر أن النسخة الوحدة المعروفة حتى الآن من هذا الكتاب هى مخطوطة المتحف البريطانى »(٢) .

أما مخطوطة المتحف البريطانى ، أو المكتبة البريطانية ، فى لندن لكتاب « الكشف والبيان » فهى محفوظة برقم (٢٦٠٦)(٣) .

أما مؤلف ومصنف مخطوطة « الكشف والبيان » فهو العالم العمانى الشيخ الفاضل « أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى » . والقلهاتى ينتسب إلى مدينة قلهات فى عمان ، كما أنه ينتسب إلى قبيلة الأزد اليمنية .

---

(١) انظر: Muhammad Kafafi: The Rise of Kharijism... p. 30

(٢) انظر : الدكتور عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية . ص ٢٢ .

(٣) Or. 2606. See the description of it in : Cat. Arab. mss., Sup., pp. 121–124.

وقد رجعنا إلى ما تيسر لدينا من المصادر القديمة ، والمراجع الحديثة العربية والأجنبية ، فضلا عن مخطوطات دار الكتب المصرية التى تعنى بطبقات الأباضية وبتاريخ الأباضية ، فلم نوفق إلى تحديد التاريخ الذى عاش فيه القلهاتى تحديداً دقيقاً ، ولا إلى تاريخ كتابته لسفره الجليل « الكشف والبيان » ؛ بل إن المراجع الحديثة زادتنا تضليلا ، فيذكر الدكتور كفافى فى بحثه الذى أشرنا إليه عن « نشأة الخوارج حسب رواية القلهاتى » ، كنية القلهاتى خطأ ، فهو يكنيه « أبا سعيد » وليس « أبا عبد الله » . كذلك يذكر أن تاريخ كتابة « الكشف والبيان » غير معروف وأن صاحب قاموس الشريعة ، وهو جميل بن خميس السعدى ، أشار إلى الكشف والبيان فى مؤلفه الذى أنجزه أيام حكم الإمام سلطان بن سيف بن مالك بين سنتى ١٠٥٩ — ١٠٧٩ هـ ، كما كتب أنه قد يكون القلهاتى اشتهر فى وقت متأخر نسبياً(١) . وظاهر من بحث الدكتور محمد كفافى ومن حواشى البحث أنه اعتمد على بادجـــر Badger الذى ترجم كتاب « الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين » ونشره فى لندن تحت عنوان « تاريخ أئمة وسادة عمان »(٢) فى سنة ١٨٧١م (٣) وجدير بالذكر أن إمامة سلطان بن سيف بن مالك على حسب الروايات العمانية كانت بين سنتى ١١٢٣ — ١١٣١ هـ وليس كما ذكرها الدكتور كفافى(٤) :

---

(١) انظر : M. Kafafi : The Rise of Kharijism according to Abu Said Muhammad B. Said Al - Azdi Al - Qalhati. pp. 30 - 31.

(٢) انظر : Badger, george Percy : History of the Imams and Seyyids of Oman by Salil Bin Razik. (London 1871).

(٣) نشرت وزارة التراث القومى فى سلطنة عمان مخطوطة « الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيدين » . تأليف حميد بن محمد بن رزيق فى سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م (تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر والدكتور محمد مرسى . نشر مطبعة سجل العرب بالقاهرة) .

(٤) انظر : حميد بن محمد بن رزيق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين . ص ٢٩٥-٣٠١ (تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى) ، السالمى : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان : ج ٢ ص ١١٠ — ١١٤ .

اما مؤلف « نشأة الحركة الأباضية » فهو يذكر كنية القلهاتى خطأ على غرار الدكتور كفافى ، فيكنيه « بأبى سعيد » وليس بكنيته الصحيحة وهى « أبو عبد الله » ، ثم يقول إن القلهاتى عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى والسابع عشر الميلادى (١) ، ثم يعود فى قائمة المصادر والمراجع فيذكر أن القلهاتى توفى فى القرن الثانى عشر الهجرى(٢) .

وفى أثناء تحقيقنا لمخطوط « الكشف والبيان » استطعنا أن نهتدى إلى العصر الذى عاش فيه القلهاتى ، وإن كنا لم نهتد إلى المدة التى عاشها ولا إلى سنة وفاته ، ولا إلى ترجمة وافيه عنه . ففى الجزء الثانى من مخطوطة الكشف والبيان ، وفى الباب السابع والثلاثين المعنون « فى أطفال المشركين والمنافقين وما وقع فيه من الاختلاف بين المسلمين » يذكر القلهاتى رأى شيوخه الذين أدركهم وهم « أبو مالك وأبو مروان وأبو يحيى ، ومن كان فى عصرهم وممن هو فى درجتهم رحمهم الله وغفر لهم »(٣) . وكان القلهاتى على رأى شيوخه فى مسألة أطفال المشركين والمنافقين وهو الوقوف والاعتصام بالسكوت عن الحكم عليهم . ثم يذكر القلهاتى : « وكان الإمام سعيد بن عبد الله يناظرنى فى هذا القول ، وقد كنت أنا أختاره ، وكان القول منى على سبيل التعجب منه ولم أقف على اعتقاده فى ذلك »(٤) .

أما الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب فقد كانت بيعته فى سنة ٣٢٠هـ ، أما استشهاده فكان فى سنة ٣٢٨ هـ(٥) . أى أن القلهاتى كان من العلماء البارزين فى أوائل القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى .

وذكر حميد بن محمد بن رزيق فى كتابه « الفتح المبين فى سيرة السادة

---

(١) عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٢ .

(٣) القلهاتى : الكشف والبيان ج ٢ ص ١٥٨ — ١٥٩ فى المخطوطة .

(٤) القلهاتى : الكشف والبيان . ج ٢ ص ١٥٩ فى المخطوطة .

(٥) انظر : السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢١٩ — ٢٢٣ .

البوسعيديين » القلهاتي ، تحت عنوان « ذكر مشاهير العلماء العمانية » فقال : « ومنهم الشيخ العالم الفصيح أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى صاحب كتاب (الكشف والبيان) ، وكتاب (الكلوية) »(١) . ولكن ابن رزيق لم يحدد الزمان الذى عاش فيه القلهاتى أو غيره من العلماء العمانية .

* * *

أما علم القلهاتى وثقافته فان كتابه « الكشف والبيان » خير من يكشف عنه . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا عن علم ينتفع به » .

وليس من شك فى أن كتاب « الكشف والبيان » مرآة للنهضة العلمية العمانية فى صدر الإسلام . فالقلهاتى ومَنْ عاصره من العلماء فى عمان ومَنْ سبقهم ومن لحقهم ، هم رمز للحضارة الإسلامية الأصيلة التى استمدت أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة والحديث الشريف .

والقلهاتى حلقة فى سلسلة طويلة عريضة من العلماء المسلمين فى عمان وفى غيرها من ديار الإسلام ، أسدت إلى المجتمع الإنسانى كله العلم والعمل ، والفكر والإيمان والخلق . وظهر لنا من كتاب « الكشف والبيان » أن القلهاتى ملم بالقرآن الكريم والتفسير وعلم الحديث وعلم التوحيد ، كما أنه ملم بعلوم اللغة العربية وآدابها ؛ وهو يستشهد بالشعر والأمثال ، ويشرح فى أحيان كثيرة معانى الكلمات الغريبة أو المعانى المقصودة بالذات فى بيت شعر أو فى رواية . والقلهاتى فى كتابه يلم بالعقائد ومذاهب الفرق الإسلامية التى نشأت بعد ظهور الإسلام ، كما يلم بالعقائد التى وجدت قبل الإسلام ، فضلا عن أنه يلم بمذاهب اليهودية والمسيحية . فهو العالم بالدراسات الدينية الإسلامية ، وهو الفيلسوف ، وهو المؤرخ ، وهو اللغوى والأديب ؛ وهو تارة يمثل الفكر السياسى الإسلامى البحت ، وتارة يمثل الفكر الإسلامى المستمد من الثقافات والعقائد السابقة على الإسلام .

---

(١) انظر : ابن رزيق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين . ص ١٤٤ .

ومن ناحية التاريخ ، فإن القلهاتى نظر إلى التاريخ — مثله مثل سائر المؤرخين والكتاب فى ديار الإسلام — نظرة عالمية إسلامية تبدأ قبل الإسلام وتستمر بعد الإسلام ، معبراً بذلك عن فكرة وحدة الأمة العربية الإسلامية ، لكنه اتجه اتجاهاً قومياً عقائدياً ، إذ اهتم بصفة خاصة بتاريخ عمان القومى ، كما اهتم بتوضيح أسس المذهب الأباضى فى عمان .

واتضح لنا من كتاب « الكشف والبيان » أن القلهاتى من الذين أدركوا أهمية الدراسات التاريخية للدراسات الدينية والفقهية .

والقلهاتى أباضى متحمس أشد التحمس لمذهبه ، لا يخفى ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر ، وهو يعمد فى كثير من الأحيان إلى إثبات وجهة نظره بطرح أسئلة ثم يبين أجوبتها الصحيحة . وأهمية كتاب « الكشف والبيان » أنه يبين لنا نشأة المذهب الأباضى فى تسلسل تاريخى حتى عصر القلهاتى . وفى زمن القلهاتى كان الأباضية يقبلون تسميتهم بالخوارج بمعنى « المسلمين » أو بمعنى « الخروج فى سبيل الإسلام ». وكانوا يقبلون تسميتهم « المحكمة » أى الذين قالوا « لا حكم إلا لله » . وكانوا يتسمون بالشراة من قولهم : « شرينا أنفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة »(١) ، أو من الآية القرآنية الكريمة : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)(٢) .

كذلك رأينا من خلال تحقيقنا لمخطوطة « الكشف والبيان » أن الأباضية كانوا يقبلون تسميتهم الحرورية ، وهم الذين رفضوا أن يدخلوا الكوفة مع على بن أبى طالب بعد موقعة صفين ، وبعد أن قبل على التحكيم ، ودخلوا حروراء(٣) . كذلك يذكر القلهاتى أن الأباضية هم أهل النهروان ، أو أهل النهر

---

(١) انظر : المقريزى : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ج٢ ص ٣٥٥-٣٥٦ .

(٢) سورة التوبه : آية ١١١ .

(٣) حروراء : قرية بظاهر الكوفة تبعد عنها بميلين ، نزل بها الخوارج الذين اعتزلوا عليا ، فنسبوا إليها وسموا حرورية ، أو خوارج .

انظر لفظ حروراء فى معجم البلدان لياقوت ، والفرق بين الفرق للبغدادى ، و Nicholson : Literary History of the Arabs. p. 209.

الذين اعتزلوا على بن أبى طالب وقدموا على أنفسهم إماماً وهو عبد الله بن وهب الراسبي ، وذلك فى ١٠ من شوال سنة ٣٧هـ . وكان الأباضية يتسمون أحياناً باسم الفرقة الوهبية ، نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي . والقلهاتى يدافع دفاعاً شديداً عن الذين حاربهم على بن أبى طالب فى موقعة النهروان ويسميهم أهل النهر . والقلهاتى يذكر صراحة أن المسلمين ، أو جماعة أهل الهدى ، أو أهل الاستقامة هم الذين خرجوا على على بن أبى طالب بسبب التحكيم(١) .

وبالرغم من أن أبا عبد الله محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى أباضى المذهب ، أو « استقامى المذهب » (٢) فإنه ذكر بموضوعية وحيدة تامة الانحرافات التى حدثت بين الخوارج وتبرؤ الأباضية منها .

والحق أن المذهب الأباضى فى عمان أقدم من اسمه ، كما أن الأباضية فى عمان قديمة قدم الإسلام فيها ، كذلك تعتبر عمان الوطن الأم للأباضية فى العالم الإسلامى .

ولم ينتسب الأباضية إلى أى شخصية من فقهائهم قبل عبد الله بن أباض ، الذى عاصر معاوية بن أبى سفيان (٤٠ — ٦١ هـ) مؤسس الدولة الأموية ، وعبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) مؤسس الدولة الأموية الثانى .

ويجدر بنا أن نلاحظ أن الأباضية المعاصرين يتبرءون من اسم الخوارج بعد أن أسىء فهم المذهب الأباضى ، وبعد أن جمع جل المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد فضلا عن سائر الكتاب ، بين الأباضية وبين الغلاة والمتطرفين والخارجين على الإسلام ، إما عن جهل ، أو عن تعصب ، أو عن رغبة فى تدمير

---

(١) القلهاتى : الكشف والبيان ج ٢ ص ٢٣١ من المخطوطة .

(٢) وجدنا هذا الاصطلاح فى وصف سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدى (انظر : ابن رزيق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين . ص ٤١٦) .

كيان المسلمين وتحطيم قوة الإسلام(١) .

ونحن نرى من خلال مخطوطة « الكشف والبيان » ، ومن خلال المخطوطات والكتب الأباضية المختلفة أن دعوى الأباضية أو الخوارج فى سبيل الإسلام ، ما هى فى الحقيقة إلا ظهور أول الفرق الإسلامية التى تعتمد على القرآن الكريم وعلى السنة الشريفة وعلى الاجتهاد .

ويصف القلهاتى الإيمان بقوله : « ولا ينفع الإيمان إلا بالعمل كما قال المسلمون ؛ الإيمان تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان »(٢) .

* * *

ومن يستوعب « الكشف والبيان » يرى أن المسلمين فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام آمنوا بما أنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يكن لهم حاجة إلى تأويل القرآن أو بحث المتشابه فيه . وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبعد انتشار الإسلام ، أخذت الجماعة الإسلامية تحاول فهم العقيدة الإسلامية وتحاول شرحها ، وطبيعى أن اختلف المسلمون فى فهم العقيدة الإسلامية وفى شرحها . وحين ظهرت الفتنة الأولى فى الإسلام بعد السنين الست الأولى من خلافة عثمان بن عفان ، وحين قبل على بن أبى طالب التحكيم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان ، اتسع خلاف المسلمين . وبدأ المسلمون يتلمسون الحلول من القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية والسنة الشريفة ، وبدأ المسلمون يتساءلون عن المسلم الحقيقى ، وعن الإيمان ، وعن جوهر العقيدة الإسلامية ، وعن مسئولية الإنسان ، وعن إرادة الله . وطبيعى أن المسلمين الأوائل كان تفكيرهم إسلامياً عربياً خالصاً ، ثم اتصل الفكر العربى بتراث البلاد التى

---

(١) انظر : السيابى السمائلى : أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج (نشر وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان سنة ١٩٧٩ : تحقيق وشرح دكتورة سيدة إسماعيل كاشف) ، والسيابى السمائلى : إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء (نشر وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان ١٩٧٩م : تحقيق وشرح دكتورة سيدة إسماعيل كاشف) .

(٢) القلهاتى : الكشف والبيان . ج ٢ ص ١٩٠ من المخطوطة .

فتحها العرب ، وبدأ يظهر فى تفكير المسلمين استيعابهم للفلسفة والفكر والدراسات القديمة السابقة على الإسلام .

والحق أن القلهاتى ، وهو يبين جوهر المذهب الأباضى ، يرد على أصحاب الفرق والعقائد الأخرى الذين لم يفهموا الأباضية ، والذين خلطوا بين الأباضية وبين الزنادقة أحياناً ، أو بين الأباضية وبين الغلاة أحياناً أخرى . بل إن القلهاتى فى كتابه « الكشف والبيان » وهو يفصل الكلام عن الدين الإسلامى والتشريع الإسلامى ، يرد على تأويل الآيات القرآنية من قبل أهل الغلو والتطرف .

* * *

ويستند القلهاتى فى كتابه « الكشف والبيان » على مصادر عمانية وغير عمانية ، وهو يذكر أحياناً أسماء الكتب دون مؤلفيها . وهو ينقل كثيراً من التفسير والأحاديث النبوية عن عبد الله بن العباس عالم وفقيه أهل السنة ، والذى يعتبره الأباضية هو وصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، الحلقة الأولى لسلسلة المذهب الأباضى (١) .

أما رواة القلهاتى فهم من أهل السنة مثل مجاهد ، وابن شهاب الزهرى ، ومحمد بن السائب الكلبى ، أو من الأباضية مثل شبيب بن عطية الخراسانى .

ويستعين القلهاتى بالشعر فى مواضع مختلفة للدفاع عن الأباضية . ومن الشعراء الأباضية الذين يعتمد عليهم القلهاتى فى « الكشف والبيان » بجزأيه ، الشاعر أحمد بن النظر ، الذى يمتاز شعره بالسلاسة والعذوبة والوضوح وحسن الإفصاح عن الموضوع والرد على أصحاب الفرق الأخرى . ويذكر القلهاتى فى صفحة (٢) من مخطوطة « الكشف والبيان » (الجزء الثانى) ما نصه :

« أما بعد فقد ألفت كتابى هذا وجمعته من كتب المسلمين ، وآثار أئمة المهتدين ، والعلماء الراشدين ، والفقهاء المتقدمين ، والأخيار

(١) انظر : السيابى السمائلى : إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء . ص ٣٣ (تحقيق الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف) .

المؤمنين، والأفاضل الأكرمين ، أولى الورع والديانة ، والخضوع والاستكانة ، والصدق والأمانة ، أفضل عباده ، حملة كتاب الله ، المجاهدون فى سبيل الله ، المقتفون سنة رسول الله ، العاملون بقواعد الدين وحقائقه ، المتغلغلون فى غوامضه ودقائقه ، حتى أوضحوه الناس ، ونزهوه عن الأدناس ، رحمهم الله وغفر لهم ... » .

* * *

أما كتاب « الكشف والبيان » فهو عبارة عن جزأين ، وكل جزء ينقسم إلى خمسين باباً . وأحياناً يقسم الأبواب إلى فصول . وفى الجزء الأول يرد القلهاتى على أصحاب الفرق الإسلامية ، مثل الحشوية والقدرية والمرجئة والمعتزلة ، وهو فى رده يستشهد بآيات القرآن الكريم ، وبالأحاديث النبوية الشريفة ، وقد خصص القلهاتى الباب التاسع والثلاثين إلى الباب الثانى والأربعين لمناقشة القول بخلق القرآن والرد على من قال بخلق القرآن .

وقد أفرد القلهاتى فى الجزء الأول خمسة أبواب لبيان فضل العلم والعلماء . كذلك يعمد القلهاتى فى الجزء الأول إلى تفسير بعض الآيات القرآنية الكريمة مثل تفسير قوله تعالى : (يوم يكشف عن ساق) فى الباب الثانى والعشرين ، ومثل تفسير قوله تعالى : (الله نور السموات والأرض) فى الباب الثامن والعشرين. كذلك يبحث القلهاتى فى الجزء الأول كلام الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام فى الباب الرابع والأربعين . ويخصص الباب السادس والأربعين فيما نزل من القرآن الكريم فى مكة ، وفيما نزل منه بالمدينة . وفى الباب السابع والأربعين يبحث فى التأويل والتفسير . ويبحث فى الباب التاسع والأربعين فى الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم . أما الباب الخمسون فهو يبحث فيه فى الكتب التى أنزل الله تعالى على أنبيائه صلوات الله عليهم .

والقلهاتى يذكر فى الغالب رواة سنده ، وكذلك الكتب التى اعتمد عليها ، ومن تلك الكتب كتاب « الضياء » ، وكتاب « مفتاح الشريعة » ، وكتاب « الأكلة وحقائق الأدلة » .

وفى الجزء الأول من مخطوطة « الكشف والبيان » كتب فهرس الموضوعات بلا ثبت لأرقام الصفحات ، وقد رقمنا نحن صفحات المخطوطة ، والصفحات التى أمام عناوين أبواب الكتاب . كذلك نسى ناسخ المخطوطة أن يثبت (الباب الأربعين) الذى جاء فى فهرس أبواب المخطوطة . وقد أثبتناه نحن فى المخطوطة فى آخر صفحة ٢٢٢ فى المخطوطة .

أما الجزء الثانى من كتاب « الكشف والبيان » فهو خمسون باباً . ويبدأ القلهاتى فى هذا الجزء بالكتابة عن مبتدأ خلق السموات والأرض، ثم هبوط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض . ثم يتكلم عن ظهور الأنبياء بعد آدم عليه السلام إلى مبعث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . ومن أحسن ما جاء فى هذه الأبواب ما خص الله تعالى به الرسول عليه الصلاة والسلام من دون الأنبياء الآخرين (الباب العاشر من الجزء الثانى) . والقلهاتى يكتب من الباب السابع إلى الباب الرابع عشر عن مولد النبى عليه الصلاة والسلام ، وسيرته ، ومبعثه ، وهجرته ، وفضائله ، ومغازيه ، وألفاظه ، وكلامه الذى لم يسبقه إليه أحد صلى الله عليه وسلم .

كذلك كتب القلهاتى فى الجزء الثانى من « الكشف والبيان » عن خلافة أبى بكر الصديق ، وخلافة عمر بن الخطاب ، وخلافة عثمان بن عفان ، وخلافة على بن أبى طالب . ثم يحدثنا فى خلافة على بن أبى طالب عن خروج طلحة والزبير والسيدة عائشة رضى الله عنها ، وخروج معاوية وخروج أهل النهروان . ثم يتكلم عن تنازل الحسن بن على بن أبى طالب عن الخلافة ، ثم اجتماع الأمر لمعاوية بن أبى سفيان .

وهو يسهب فى الكلام عن الأحداث التى أحدثها عثمان بن عفان ، وفى التحكيم بين على ومعاوية .

ويكتب القلهاتى من الباب الخامس والعشرين إلى الباب الرابع والثلاثين عن فرق المجوس وعن الصابئة ، وعن الفلسفة اليونانية ، وعن آراء العرب

فى الجاهلية ، ويكتب عن مذاهب أهل الهند وعبدة الشمس والقمر ، ثم يحدثنا عن فرق اليهود والنصارى .

ويتكلم القلهاتى من الباب الثامن والثلاثين إلى الباب التاسع والأربعين عن الفرق الإسلامية وما تفرع عن كل فرقة . ويتضح لنا ثقافة القلهاتى الواسعة ، وغزارة علمه وسعة اطلاعه من الأبواب المختلفة فى الجزأين فضلا عن إلمامه الواسع بالعقائد المختلفة التى وجدت قبل الإسلام . وقد اعتمد القلهاتى فيما اعتمد فى أبواب الجزء الثانى على كتاب « الضياء » وعلى كتاب « الأنبياء » ، وعلى كتاب « أبى المؤثر فى سيرة المسلمين فى أهل الذمة » .

ويختم القلهاتى الجزء الثانى فى الباب الخمسين « فى ذكر فرقة أهل الاستقامة » .

وفى الجزء الثانى من المخطوطة كتبت أرقام الصفحات أمام الأبواب فى فهرس الموضوعات . ومع مراجعتنا وجدنا أن أرقام الصفحات التى كتبت من أول الباب الواحد والأربعين إلى الباب الخمسين غير صحيحة فأعدنا كتابتها لتتطابق مع صفحات المخطوطة .

* * *

أما الجزء الأول من مخطوطة « الكشف والبيان » فهو عبارة عن ٢٨٣ صفحة مكتوبة بالخط النسخ العادى . وفى بداية الجزء صفحتان لفهرس الموضوعات . وفى نهاية الجزء الأول كتب ناسخ المخطوطة اسمه وسنة نسخها ، كما ذكر أنه نسخها لنفسه فكتب : « على يد الفقير إلى الله عز وجل زاهر بن محمد بن عامر بن خلف الطيوانى البطاسى بيده الفانية بتاريخ يوم خامس من شهر رمضان فى سنة ١٢٨٤ نسخته لنفسى اللهم ارزقنى معانيه والعمل بما فيه برحمتك يا أرحم الراحمين آمين » .

وفى كل ورقة من الجزء الأول من المخطوطة صفحتان مكتوبتان . وعرض الورقة ٢١,٥ سنتيمتراً وطولها ٣٢ سنتيمتراً تقريباً . أما المكتوب من كل صفحة فهو ١٥,٥ سنتيمتراً عرضاً ٢٣,٥ سنتيمتراً طولا تقريباً :

وعدد الأسطر المكتوبة فى كل صفحة ٢٤ سطراً تقريباً ، وفى كل سطر حوالى ١٤ كلمة .

وأضاف الناسخ أحياناً بعض العبارات أو الكلمات التى سقطت منه فى أثناء النسخ فى يمين الصفحة أو يسارها أو أعلاها أو أسفلها . ولم يفرد الناسخ عناوين الأبواب أو الفصول فى سطور مستقلة ، وحتى أبيات الشعر كتبها أحياناً فى نفس السطر مع بقية النص المكتوب . وفى هذا الجزء من المخطوطة كثير من الأخطاء الإملائية والنحوية أعتقد أنها كانت سهواً من الناسخ وقد أشرنا إلى بعضها فى تحقيق المخطوطة .

وقد وجدنا بعض الصفحات مطموسة الكلمات فى معظمها مثل صفحتى ٢٤٣ ، ٢٥٥ من المخطوطة . ووجدنا أحياناً الأسطر غير مكتملة مثلماً فى صفحات ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ من المخطوطة فاجتهدنا أن نكملها على حسب سياق النص ، أو على حسب ما هو معروف من الأشعار التى أوردها المؤلف .

* * *

أما الجزء الثانى من مخطوطة الكشف والبيان فهو عبارة عن ٢٦٩ صفحة كتبت بالخط النسخ الجيد . وفى بداية المخطوطة فهرس للموضوعات . وفى كل ورقة من الجزء الثانى من المخطوطة صفحتان مكتوبتان . وعرض الورقة ٢١ سنتيمتراً وطولها ٣٣ سنتيمتراً : أما المكتوب من كل صفحة فهو ١٣ سنتيمتراً عرضاً × ٢٤,٥ سنتيمتراً طولا تقريبا ، وعدد الأسطر المكتوبة فى كل صفحة ٢٥ سطراً تقريباً ، وفى كل سطر حوالى ١٥ كلمة . وقد أضاف الناسخ أحياناً بعض الكلمات أو العبارات التى سقطت منه فى أثناء النسخ وذلك فى يمين الصفحة أو فى يسارها أو فى أعلاها أو أسفلها . وفى نهاية الجزء الثانى من المخطوطة كُتب « وأنا أستغفر الله من التحريف والتصحيف والزيادة والنقصان : تم كتاب الكشف والبيان بعون الله الملك الديان . وكان تمامه يوم الخميس والثالث عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة تسعين سنة ومائتى سنة وألف سنة (١٢٩٠) من الهجرة المحمدية على مهاجرها

أفضل الصلاة والسلام فى عصر سيدنا ومولانا الثقة العدل الزاهد الورع الولى الصفى الرضى المرضى سيدنا برغش بن سعيد بن سلطان بن الإمام بقلم المذنب سالم بن راشد رقمه لسيده وولى نعمته مولانا سيد على بن سعود ، آمين . تم » .

أما برغش بن سعيد بن سلطان بن الإمام فهو الذى ملك زنجبار وسواحل أفريقية بعد أخيه ماجد بن سعيد الذى ولى زنجبار والسواحل بعد وفاة السلطان سعيد بن سلطان ودفنه فى زنجبار فى سنة ١٢٧٣ هـ . ويذكر السالمى عن برغش بن سعيد : « وجمع الأخيار ، وقراء الآثار ، ولازم العبادة وطبع جانباً من كتب المذهب ... »(١) .

* * *

وقد أثبتنا أرقام بداية كل صفحة من صفحات المخطوطة الأصلية داخل مربع صغير فى الكتاب المطبوع .

* * *

وبعد فقد لاحظنا أن معظم الكتاب القدماء والحديثين فهموا المذهب الأباضى فهماً خاطئاً لعدم رجوعهم إلى المصادر الأباضية بالدرجة الأولى ، ولأن الحكام الأمويين والعباسيين نجحوا إلى حد كبير فى إخفاء تراث الأباضية العلمى العظيم رداً على موقف الأباضية منهم فى الناحيتين الدينية والسياسية .

وقد بذلت كل الجهد والطاقة فى نشر مخطوطة « الكشف والبيان » لأبى عبد الله محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى — رحمه الله وغفر له — حتى تكون فى متناول أيدى العلماء والباحثين والدارسين والقارئين ، بعد أن كان العالم كله لا يعرف منها إلا نسخة وحيدة مخطوطة فى مكتبة المتحف البريطانى فى لندن ، وبعد أن تضاربت الآراء حول مؤلفها . ومخطوطة « الكشف والبيان » بجزأيها من أعظم المخطوطات التى تفصح عن الحركة العلمية العظيمة فى عمان فى القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى ، والتى ترد على كتاب

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان . ج ٢ ص ٢٢٩ .

الفرق والعقائد الذين يتكلمون عن الأباضية بغير علم أو تحقيق . ولم ندخر وسعاً فى الرجوع إلى كتب التراجم وإلى المعاجم والتصانيف المختلفة فى العقائد والفرق والمذاهب والتاريخ والفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية والأدب وتقويم البلدان ، هذا فضلا عن الإشارة إلى سور الآيات القرانية وأرقامها وبيان أماكن الأحاديث النبوية الشريفة فى كتب الأحاديث .

والحق أنه بالرغم من الحركة العلمية الزاهرة فى عمان منذ فجر الإسلام فإن تاريخ عمان وتراثها العلمى ظل مسطوراً فى بطون الكتب المخطوطة إلى أن قامت وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان بإزاحة الغطاء عن هذه المخطوطات وعن هذا التراث العلمى العظيم . وكانت تلك الانطلاقة الفتية القوية بفضل الرائد والراعى صاحب المعالى سمو الأمير السيد فيصل بن على بن فيصل وزير التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان حفظه الله ووفقه فى نشر التراث العمانى العظيم فى ظل ورعاية حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله .

وإنا نحمد الله على توفيقه ونسأله القدرة على خدمة التراث الإسلامى العظيم وتراث عمان الحبيب .

ربيع الأول ١٤٠٠ هـ
فبراير ١٩٨٠ م

دكتورة
سيدة إسماعيل كاشف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف بالحجج السلطانية ٥ ولم يتكيف بشيء فيعرف
بالصفة الانسانية ٥ عظم كونه فلم يتكيف ٥ واقتدر بامره
لم يتكلف ٥ ولطف بعلمه فلم يوصف ٥ متباين لخلقه في جميع
الصفات ٥ وممتنع بقدرته عن جميع الأدوات ٥ لا تشمله احاطة الاوهام
ولا يتوسمه فطن ذوي الاحلام ٥ ولا تمثله فهاهة ولا تحكيه روايات
الاحكام ٥ ولا تبلغه لوامع الانوار ٥ ولا تدركه طوامح الابصار ٥ ولا تحويه
مهامه الاقطار ٥ فسبحان الله الواحد القهار ٥ لا يشغله شأن عن شأنه
يعلم ما لم يكن وما كان ٥ لا يتكيف ولا يحد ٥ ولا يبعض ولا يعد ٥
وهو الله الذي لا اله الا هو الواحد الاحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد ٥ نحمده على ما شرع لنا من الدين ٥ وجعلنا من
المسلمين ٥ وهدانا للحق المبين ٥ وسلك بنا سبل المهتدين ٥ وارشدنا
بتوفيقه مع اهل الاستقامة الموحدين ٥ وفضلنا على كثير من عباده
المومنين ٥ وانار اعتقادنا بانوار الحق اليقين ٥ والهمنا الاصابة
بلا مصيبة في الدين ٥ ونظم عقود أيمتنا السالفين ٥ بفك عقود
جماهير المخالفين ٥ وأبانا بكرمه عن الكفرة وعبدة الاوثان الجاحدين ٥
ولم يجعلنا من المجوس والبراهمة المشركين ٥ ولا من الصابية والدهرية
والفلاسفة الملحدين ٥ ولا من اليهود المغضوب عليهم ٥ ولا من النصارى
الضالين ٥ وميزنا باحسانه عن المعتزلة والقدرية والجهمية المعطلين ٥
وكفانا بسعة فضله عن المشبهة من الصفاتية والحشوية والمرجية ٥
المجسمين ٥ واخرجنا من خبط الخوارج المارقين ٥ وعصمنا من غلو
الروافض والشيع المعتدين ٥ ونشكره على ما انعم به علينا من البينونة
عنهم مع الشاكرين ٥ ونؤمن به ونتوكل عليه ونستعينه فهو نعم
المولى ونعم المعين ٥ ونشهد ان لا اله الا الله هو وحده لا شريك له
شهادة

صفحة رقم ١ من المخطوط - الجزء الأول

أنزلت مائة كتاب وأربعة كتب خمسون صحيفة أنزلت على
شيث بن آدم صلوات الله عليهما وثلاثون صحيفة أنزلت
على إدريس صلوات الله عليه وعشرون صحيفة أنزلت
على إبراهيم صلوات الله عليه هذه مائة والتوراة
على موسى بن عمران صلوات الله عليه والزبور على داود
صلوات الله عليه والإنجيل على عيسى صلوات الله
عليه والفرقان العظيم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
تم الجزء الأول في التوحيد والبيان وتفسير مشكل
القرآن والرد على المشبهة والقدرية والمعتزلة والقائلين
بخلقه بالحجة والبرهان من كتاب الكشف والبيان
ويتلوه إن شاء الله الجزء الثاني في مبدأ خلق العرش
والملائكة والسموات والأرض والإنس والجان
وفي ترتيب الأنبياء صلوات الله عليهم والتابعين لهم
بإحسان وشرح افتراق الفرق والأديان على يد الفقير
إلى الله عز وجل زاهر بن محمد بن عامر بن [illegible]
[illegible] البساتي يوم الثانية تاريخ يوم
خامس من شهر رمضان [illegible]
نسخه لنفسي اللهم ارزقني
معانيه والعمل بما فيه
برحمتك يا أرحم
الراحمين
آمين

صفحة رقم ٢٨٣ من المخطوط – الجزء الأول ، هي الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] الحمد لله الذى عرف بالحجج السلطانية ، ولم يتكيف فى شىء فيعرف بالصفة الإنسانية ، عظم كونه فلم يتكيف ، واقتدر بأمره ولم يتكلف ، ولطف بعلمه فلم يوصف ، مباين لخلقه فى جميع الصفات ، وممتنع بقدرته عن جميع الأدوات ، لا تشتمله إحاطة الأوهام ، ولا يتوسمه فطن ذوى الأحلام ، ولا تمتثله فهامة رواة الأحكام ، ولا تبلغه لوامع الأنوار ، ولا تدركه طوامح الأبصار ، ولا تحويه هامة الأقطار ، فسبحان الله الواحد القهار ، لا يشغله شان عن شان ، يعلم ما لم يكن وما كان ، لا يكيف ولا يحدد ، ولا يبعض ولا يعد ، وهو الله الذى لا إله إلا هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، نحمده على ما شرع لنا من الدين ، وجعلنا من المسلمين ، وهدانا للحق المبين ، وسلك بنا سبل المهتدين ، وأرشدنا بتوفيقه مع أهل الاستقامة الموحدين ، وفضلنا على كثير من عباده المؤمنين ، وأنار اعتقادنا بأنوار الحق اليقين ، وألهمنا الإصابة بلا مصيبة فى الدين ، ونظم عقود أئمتنا السالفين ، بفك عقود جماهير المخالفين ، وأمر(١) بأننا بكرمه ، عن الكفرة وعبدة الأوثان الجاحدين بعيدون (٢) . ولم يجعلنا من المجوس والبراهمة المشركين ، ولا من الصابئة والدهرية والفلاسفة الملحدين ، ولا من اليهود المغضوب عليهم ، ولا من النصارى الضالين ، وميزنا بإحسانه عن المعتزلة والقدرية والجهمية المعطلين ، ونجانا بسعة فضله عن المشبهة من الصفاتية والحشوية والمرجئة المجسمين ، وأخرجنا من خبط الخوارج المارقين ، وعصمنا بهدايته من غلول الروافض والشيع المعتدين ، ونشكره على ما أنعم به علينا من البينونة عنهم مع الشاكرين . ونؤمن به ونتوكل عليه ونستعينه فهو نعم المولى ونعم المعين . ونشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له [٢] شهادة من أخلص له اليقين ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، بعثه رحمة للعالمين ، وأرسله إلى الجنة والناس أجمعين ، فبلغ صلى الله عليه الرسالة وأدى الأمانة وجاهد فى سبيل

---

(١) « وأمر » : حذفت نصف الكلمة فى المخطوط .

(٢) « بعيدون » : زيادة من عندنا حتى يستقيم الكلام .

ربه حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وعلى أصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين ، وعترته الطيبين الطاهرين ، وعلى الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين ، وأهل الاستقامة من أمته من الأولين والآخرين ، صلاة ورحمة وبركة تعمهم أجمعين .

أما بعد فقد ألفت كتابى هذا وجمعته من كتب المسلمين ، وآثار أئمة المهتدين ، والعلماء الراشدين ، والفقهاء المتقدمين ، والأخيار المؤمنين ، والأفاضل الأكرمين ، أولى الورع والديانة ، والخضوع والاستكانة والصدق والأمانة ، أفضل عباده حملة كتاب الله ، المجاهدين فى سبيل الله ، المقتفون سنة رسول الله ، العاملون بقواعد الدين وحقائقه ، المتغلغلون فى غوامضه ودقائقه ، حتى أوضحوه للناس ، ونزهوه عن الأدناس ، رحمهم الله وغفر لهم ، وأدخلهم الجنة التى عرفها لهم . فعرضته على اختلاف أهل الخلاف ، وأئمتهم الأسلاف ، فوجدت أقاويلهم متناقضة ورواياتهم حائدة ، وحججهم داحضة ، وهم غير ثقات ، ودينهم آراء وقياسات ، لا لهم أصل صحيح . ولا مذهب صريح ، إلا أنهم انتشروا فى البلاد ، وزخرفوا للعباد ، يمنون متبعهم الجنة ، ولو عمل بغير الكتاب والسنة .

وصار المذهب الحقيقى غريباً ، لا يجد الداعى له مجيباً ، وقال صلى الله عليه وسلم : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « يذهب الصالحون أسلافاً الأول فالأول حتى لا يبقى إلا حثالة التمر والشعير ، لا يبالى الله بهم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من هرب من شاهق إلى شاهق » ، ويروى « من بلد إلى بلد » ، وقال صلى الله [٣] عليه وسلم « الآخر شر إلى يوم الحشر ، والمتمسك بدينه كالقابض على الجمر » .

قال (١) أبو حكيم : بكى النبى صلى الله عليه وسلم فقيل ما أبكاك (٢)

---

(١) كتب فى المخطوطة « أبو حكيم قال » .

(٢) « ما أبكاك » ؟ : كتب فى المخطوطة « ما أباك » .

يا رسول الله صلى الله عليك، فقال: « ذكرت آخر أمتى وما يلقون من البلاء، والمتمسك منهم فى ذلك الزمان بدينه له أجر شهيدين. » فمتبع الدين اليوم قليل، والمتمسكون به مستضعفون عند أهل هذا الجيل، كما قال العزيز الجليل: (وما آمن معه إلا قليل)(١) وكذلك ذكرهم الله فى التوراة والإنجيل والزبور. وهو قوله عز وجل: (وقليل من عبادى الشكور)(٢). وبينهم فى القرآن العظيم وسماهم وهو قوله عز وجل، وقليل ما هم. ولله در القائل حيث يقول:

تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل

وذم الكثرة فى آيات الذكر الحكيم لقوله: (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين)(٣). وقوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (٤). وقوله: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(٥)، (ولكن أكثر الناس لا يشكرون)(٦)، ولكن أكثر الناس لا يعقلون، (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)(٧)، ومثله فى القرآن كثير.

وما دعانى إلى جمعه وتأليفه وإظهاره وتعريفه، وتثبت قواعده وأصوله، وتبيين مسائله وفصوله إلا طاعة الله ورسوله، وبذلك أمر البارى فى محكم كتابه وبينه، فقال عز من قائل: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)(٨)، وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم على طلب العلم والتبيين، قوله صلى الله عليه وسلم: « اطلبوا العلم ولو بالصين ». وأخذت من جميع ذلك ما وافق الحق والصواب، وطرزت كتابى بالحجج من السنة والكتاب، وأيدته

---

(١) سورة هود: آية ٤٠

(٢) سورة سبأ: آية ١٣.

(٣) سورة الأعراف: آية ١٠٢.

(٤) سورة يوسف: آية ١٠٦.

(٥) سورة يوسف: الآيات ٢١، ٤٠، ٦٨.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٤٣.

(٧) سورة الرعد: آية ١، ونسى كاتب المخطوطة سهواً كلمة « الناس » فى الآية.

(٨) سورة النحل: آية ١٢٥.

البرهان والدلائل. ولم أتقوله لعلمي أن الله سبحانه وتعالى على لسان كل قائل، مع اعتقادي أن الكذب محرم بالكتاب والسنة ، ومخترعه محرم عليه روائح الجنة ، وجعلته جزأين : الجزء الأول فى ذكر توحيد المنّان وذكر آيات القرآن ، والجزء الثانى ذكر مبدأ خلق السموات والأرض والأنبياء صلوات الله عليهم [٤] والتابعين بإحسان، وشرح افتراق الفرق والأديان، وبوبته مائة باب فى الجزء الأول خمسون باباً ، والجزء الثانى خمسون باباً .

الباب الأول

فى الحث على طلب العلم

أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق فنون العلم وجعل له من خلقه من يحفظه ويعني به ويذب عنه ويحميه ،ولولا ذلك لباد العلم ودرس ونسى مع ما جاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تخلو من قائم لله بعلم ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وقال صلى الله عليه وسلم: « العلم حياة الإسلام وعماد الدين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم ولو بالصين » ،أو قسطنطين »(١) : « وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى لما يطلب » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن العلم يزيد الشريف شرفاً ، ويرفع المملوك حتى يدرك رتب الملوك » .

(فصل)

وأفضل العلوم تعليم كتاب الله المعجز الذى عجزت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، وقال عز من قائل : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(٢)، وقال : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) (٣) والذكر هو القرآن ، وقال سبحانه : (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم)(٤) ولا يسمى بهذا الاسم غيره ، وبه يبدى الطالب للعلم واستنباط خاصه وعامه وتفسيره وإعرابه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وندبه وحظره(٥) وإباحته، وهو الأصل الذى من رزق علمه شرف وساد ، لقوله صلى الله عليه

---

(١) لعل قسطنطين تعنى القسطنطينية .

(٢) سورة الإسراء : آية ٨٨ .

(٣) سورة النحل : آية ٤٣ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٦١ .

(٥) كتبت فى المخطوطة « حضره » .

وسلم: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ». وكما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاءه فقال له يارسول الله علمنى العلم. فقال له: « اذهب فتعلم القرآن » ، ثم عاد إليه فقال له مثل ذلك ، ثم عاد إليه فقال له مثل ذلك ، ثم عاد إليه فى الرابعة فقال له: اقبل الحق ممن جاءك به بعيداً كان أو قريباً ، ورد الباطل على من جاءك به حبيباً كان أو بغيضاً وتعلم [ه] القرآن ومل معه حيث مال. وقال صلى الله عليه وسلم: « إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبة الله ما استطعتم » ، وإن لقارئ القرآن بكل حرف منه عشر حسنات * ثم العلم الجليل ، علم الحلال والحرام ، والفرائض والسنن والأحكام ، والعلوم كثيرة لا تحصى .

(فصل)

العلم خير من المال: المال تحرسه والعلم يحرسك ، والعلم يحكم لك والمال يحكم عليك ، والمال تنقصه النفقه والعلم يزداد على الإنفاق. وقال ابن عباس رضى الله عنه تذللت طالباً فعززت مطلوباً .

(فصل)

قال بعض الحكماء إذا أراد الله بالناس خيراً جعل العلم فى ملوكهم والملك فى علمائهم . وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول وجدت عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحى من الأنصار أنى كنت لأقيل بباب أحدهم فى الهواجر (١) ولو شئت لأذن لى ولكنى أبتغى طيبة نفسه والخفة على قلبه . وفى الحديث المرفوع «ليس الملق من أخلاق المؤمن إلا فى طلب العلم». وقال عمر بن عبد العزيز بن مروان: ما قرن شىء إلى شىء أحسن من علم إلى حلم. ولله در القائل :

العلم والحلم حلتا شرف ... للمرء زين إذا هما اجتمعا
صنوان لا يستتم جنسهما ... إلا بجمع لذا وذاك معا

---

(١) الهاجرة: نصف النهار فى القيظ ، أو من عند زوال الشمس إلى العصر ، شدة الحر . والهاجرة مؤنث الهاجر ، والجمع هاجرات وهواجر .

كم من وضيع سما به شرف العــــلم فنال العــلا وارتفعا
ومن رفيع البنـــا أضاعهما جملـة ما ضـاع فاتضعا

ومن حق العالم عليك أن تسلم على الجماعة عاماً وتخصه بالتحية ، وأن تجلس بين يديه ، وأن لا تشير بيدك إليه ، ولا تقل له قال فلان ، ولا تغتب عنده أحداً ، ولا تلج فى مسألته ، وتعلم الوقت الذى يثقل عليه . واعلم أن المؤمن العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازى فى سبيل الله .

(فصل)

قال الأحنف : كاد العلماء أن يكونوا أرباباً ، وكل عز لم يوطده العلم فإلى ذل ما يصير . وقال عروة بن الزبير لبنيه : تعلموا يا بنى فان [٦] تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار آخرين . ثم قال : واسوأتاه ما أقبح الجهل ، وأنشد لصالح بن جناح فى ذلك :

تعلم إذا ما كنت لست بعالم فما العلم إلا بالعنـــا والتعلم
تعلم فإن العلم زين لذى الفـتى من الحلة الحسناء عند التكلم
تعلم فإن العلم زين لأهلـــه ولن تستطيع العلم إن لم تعلم
أعاذل إن المرء ليس بجازم إذا هو لم يعلم ولم يتعـــلم
ولا خير فيمن راح ليس بعالم بصير بما يأتى ولا متعـــلم

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، والبحث عنه جهاد ، ومذاكرته تسبيح ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، والعلم أنيس فى الوحشة وصديق فى الغربة ، ومحدّث فى الخلوة ، وصاحب فى السراء والضراء ، وزين عند الإخلاء ، وسلاح على الأعداء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير أئمة تقتص آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم . وقال عليه السلام : « العلم خليل المؤمن ، والعمل وزيره ، والرفق أخوه ، والبر والده ، والصبر أمير جنوده » .

(فصل)

ولطالب العلم أن يجتهد فى طلبه ولا يدخله فتور ولا ملل ، وسئل عن بعضهم فقال أنه يرق وجهه ويستحى ، فقال من رق وجهه عن طلب العلم رق علمه ، ومن رق علمه رق دينه ، ومن أحسن السؤال علم .

وقال الخليل بن أحمد :

إذا أنت لم تدرى ولا أنت بالذى يسائل من يدرى فكيف إذاً تدرى
ومن أعظم البلوى بأنك جاهل وانك لا تدرى بأنك لا تدرى

وقيل لبعض ملوك العجم المفسرين أيحسن بالشيخ الكبير أن يتعلم ؟ قال ما حسنت فيه الحياة فالعلم يحسن ، وأنشد :

يعدّ رفيع القوم من كان عالماً وإن لم يكن فى قومه بحسيب
إذا حل أرضاً عاش فيها بعلمه وما عالم فى بلـدة بغريب

[٧] وقيل لرجل: ما بلغ من محبتك العلم ؟ قال: إذا اغتممت أسلانى ، وإذا بطشت كفانى ، وإذا شكوت إليه دلنى وأشكانى ، وإذا دهمنى أمر خلصنى . وقيل العلم للغنى جمال وللفقير مال . وقيل العلماء ورثة الأنبياء ، وودائع المرسلين ، وعندهم ميراث النبيين . وقال بعض الحكماء : العلماء إذا تعلموا عملوا ، وإذا عملوا اشتغلوا ، وإذا اشتغلوا اسعدوا ، وإذا سعدوا فقدوا ، وإذا طلبوا هربوا . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « تعلموا العلم قبل أن يرفع ورفعه ذهاب أهله » . وقال بعضهم :

لم يطلب العلم حتى فات مطلبه كذلك من لا يرى العلم تفضيلا
وظن أن طلاب العلم يمنعـه رزقاً ويشغله عن ذاك تشغيلا
بل كان للعلم أهنى فى معيشته وفى مروته إن سال أو سـيلا

(فصل)

وقيل لما دلى زيد بن ثابت فى قبره قال ابن عباس رضى الله عنه : من سره أن يرى كيف يذهب العلم فهكذا ذهابه ، وأشار بيده إلى زيد بن ثابت ؛ ولما مات ابن عباس رضى الله عنه وقف جابر بن زيد على قبره وقال : اليوم دفن ربانى هذه الأمة ! ولما مات جابر بن زيد وقف الحسن البصرى وقال : اليوم دفن ربانى هذه الأمة !

(فصل)

وفى الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا » وقيل أربعة لا تشبع من أربعة : « عين من نظر ، وأرض من مطر ، وعالم من أثر ، وأذن من خبر » . وقيل كتب رجل إلى عبد الله بن عمران اكتب إلى بالعلم كله فكتب إليه عبد الله ابن عمر : العلم كثير ولكن إن استطعت أن تلق الله خميص البطن من أموال الناس ، سليم الظهر من دمائهم ، كافاً لسانك عن أعراضهم ، لازماً لجماعتهم ، فافعل محاسن الأدب فى أربع كلمات .

(فصل)

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للعالم خصال يعرف بها ، يحلم عن من ظلمه ، ويتواضع لمن دونه ، ويسابق لمن هو فوقه ، وإذا رأى باب معروف انتهزه ولا يفارقه الخوف ، وإن تكلم غنم ، وإن سكت سلم ، وإن [٨] أعرضت له فتنة اعتصم بالله عز وجل . وللجاهل خصال يعرف بها : يظلم من خالطه ، ويعتدى على من هو دونه ، ويتطاول على من فوقه ، ويتكلم بغير تدبير ، وإن تكلم ندم ، وإن سكت سها ، وإن عرضت له فتنة وقع فيها وأردته ، وإن رأى باب فضيلة أعرض عنها » . وقيل : العلم ذكر تحبه ذكور الرجال . وقالوا العالم من ذهب ، والمتعلم من فضة ، والثالث من نحاس لا خير فيه ولا خير معه . وقيل : لا يحب العلم إلا من أحبه الله ، ولا يبغضه إلا من أبغضه الله . وقال العزيز الحكيم :

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذى أوتوا العلم درجات ﴾(١) . وقال سبحانه : ﴿ وفوق كل ذى علم عليم ﴾(٢) . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لاتقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا» وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من ظن أنللعلم غاية فقد بخسه حقه ووضعه فى غير منزلته التى وصفه الله بها حيث يقول : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)(٣) ». وقال المتعمق فى العلم كالسائح فى البحر لا يرى له أرضاً ولا يعرف له طولا ولا عرضاً . وأنشد :

يا نفس خوضى بحار العلم أو غوصى فالناس ما بين مغموم ومخصوص
لا شىء فى هذه الدنيـــا يحاط بــه إلا أحاطه منصوص بمنقـوص

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « باض العلم بمكة ، وفرخ بالمدينة ، وانتشر بالبصرة ، ونهض إلى عمان » . وقيل إن نقلة العلم أربعة الذين نقلوه من البصرة إلى عمان ، وهم موسى بن أبى جابر الأزكوى رحمه الله وهو رجل من بنى ضبة من بنى سامة بن لؤى بن غالب ، وبشير بن المنذر النزوانى رحمه الله وهو جد بنى زياد أيضاً من بنى سامة بن لؤى بن غالب ، ومحمد بن المعلا الفشحى وهو رجل من بنى كندة ، ومنير بن النير الجعلانى رحمه الله وهو رجل من بنى ريام من قضاعة بن مالك بن حمير رحمهم الله وغفر لهم . وقيل الفقه علم جليل قل ما يسلم حاملوه من العجب . وفى العلم وفضائله أكثر من هذا تركته اختصاراً .

---

(١) سورة المجادلة : آية ١١ .
(٢) سورة يوسف : آية ٧٦ .
(٣) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

[٩] الباب الثانى

فى ذم الجهل وتضليله

من كتاب الضياء. الجهل نقيض العلم، إذا كان مطلقاً يقال جهلت هذا الأمر ، والجهالة أن تفعل فعلا بغير علم ، والتجاهل أن تفعل فعلا بعلم . وقيل الجاهل يتعلم ، والمتجاهل لا يفهم ، والجاهل هو الذى عليه الجهل غالب ، والمتجاهل المتعمد للجهل القاصد له ، وبينهما فرق . قال :

أجهــلا ما يقول بنى لؤى لعمر أبيــك أم متجاهلينا

والجهل مأخوذ من الأرض التى لا أعلام لها ولا يهتدى بطرقاتها ، الواحدة مجهلة . والجهل مستقبح باجماع ، وقيل الجهل داء والعلم دواء ، والجهل عورة تستر والعلم زينة تظهر ، والجهل نقيصة يستعاذ منها . وفسر الجاهل فى قول موسى بن عمران صلوات الله عليه: (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)(١) ، يعنى السفهاء الذين يسخرون ويهزءون بالناس ؛ والجهل أقبح ما فى الإنسان ، والعلم أصلح ما فى الإنسان . وقيل من جهل شيئاً عاداه ، وكذلك قوم نوح لما جهلوا فضله ونبوته كذبوه وعادوه ، وقيل المرء عدو ما جهل . ولذا قال يحى بن خالد لابنه : "يا بنى عليك بكل نوع من العلم فان المرء عدو ما جهل . وأنشد :

تعلم وخذ من كل علم فانمـا يفوق امرىء فى كل فن له علم
فأنت عدو للذى أنت جاهل به ولعلم أنت تعلمه سـلم

(فصل)

ومن علامة الجاهل أنك تجـده للعالم معادياً ، وعليه زارياً ، وعن رأيه منحرفاً ، وعن قوله منصرفاً . قال الشاعر :

---

(١) سورة البقرة : آية ٦٧ .

ومنزلة الفقيه من السفيه — كمنزلة السفيه من الفقيه
فهذا زاهد فى وصل هذ — وهذا منه أزهد منه فيه
إذا غلب الشقاء على سفيه — تنطع فى مخالفة الفقيه

(التنطع : التعمق) . كما قيل :

جهلت فعاديت العلوم وأهلها — كذاك يعادى العلم من هو جاهل
عدو كل امرىء ما كان يجهله — والجاهلون لأهل العلم أعداء

[١٠] وقيل ما تكون محنة فاضل إلا من ناقص ، وبلوى عالم إلا من جاهل ، كما قيل :

وإنى شقى باللئام ولا أرى — شقياً بهم إلا كريم الشمائل
فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه — فكم من جاهل أردى حليما حين واخاه

وقال آخر :

فلا غرو أن يمنى أديب بجاهل — فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

(التنين : نجم من نجوم الحساب) .

وقد نهى عن صحبة الجاهل ، وقال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث : العجب وكثرة المنطق فيما لا يعنيه ، وأن ينهى عن شىء ويأتيه . كما قيل :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله — عار عليك إذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها — فاذا انتهت عنه فأنت حليم

وقال عمر بن عبد العزيز : يعرف الجاهل بكثرة الالتفات ، وسرعة الجواب . وليس حالة أوضع للإنسان ولا أضر عليه ولا أجلب للشر إليه ولا أقبح لذكره ولا أحط لقدره ولا أذم لأمره من الجهل وهو الداعى العار ، والهاوى للنار ، والمبعد عن السلامة ، والمدانى من الندامة .

(فصل)

الجهل سبب كل معرة ، والجالب لكل مضرة ، والمذهب بخير الدنيا والآخرة . وقد شبه الجاهل بالأموات وبالدواب والكلاب . والجاهل ميت وإن كان حياً ، معدوم وإن كان شيئاً ، فقير وإن كان غنياً ؛ ولله در القائل :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله ❊ فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرء لم يحي بالعلم ميت ❊ فليس له حتى النشور نشور

وقال غيره :

زوامل للأسفار لا علم عندهم ❊ بموعدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا ❊ بأوساقه أو راح ما فى الغرائر
والموت أيسر ممن لا علم له ولا أدب عنده .

(فصل)

وقال بعض الحكماء الجاهل يرى العلم تكلفاً ولوماً كما أن العالم يرى الجهل تخلفاً وشوماً .

[١١] وقيل لبرزجمهر : مالكم لاتعاتبون الجهال؟ فقال إنا لا نتكلف العمى أن يبصروا ، ولا الصم أن يسمعوا ، فهم كما ذكرهم العزيز الحكيم : (صم بكم عمى فهم لا يرجعون)(١) . وقال سقراط ينبغى للعاقل أن يخاطب الجهال بمخاطبة المتطبب للمرضى . وقيل لا يعرف الجاهل إلا العالم ، ولا يعرف المعصية إلا المطيع . وقيل طبع الناس الجهل والعلم حادث فيه لأن أصل بنى آدم الجهل والعلم حادث فيهم ، وكذلك أصلهم الفقر والغنى حادث فيهم ، وكذلك أصلهم الحرية والرق حادث فيهم ، والجهل أقوى الحالين على الإنسان لأن أصله الذى خلق عليه . قال الله سبحانه وتعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) (٢) .

(فصل)

فى الحمق : الحمق معروف ، يقال حمق فلان يحمق حماقة وحمقاً . ويقال فلان أحمق ، معناه أخذ من الحمق والحمق عند العرب الخمر . يقال حمق الرجل إذا شرب الخمر . وقال النمر بن تولب :

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨ .

(٢) سورة النحل : آية ٧٨ .

لقيم بن لقمان من اختــه وكان ابن أخ له وابن اما
عشية حمــق فاستحصنت إليه فجامعــــها مظلمـا

وقال أكثم بن صيفي فى وصية الأولاد : يا بنى لا تجالسوا السفهاء على الحمق، يريد الخمر. والأفن الأحمق . وفى المثال المال يعطى أفن. (الأفن أى حمق الأحمق). ويقال امرأة محمقة إذا ولدت الحمقى. قال الشاعر [:

ولكن أمكم حمقت وماقت فجئتم أجمعــين الأحمقينا

وقال جعفر بن محمد: الأدب عند الأحمق كالماء العذب فى أصول الحنظل فكلما ازداد رياً ازداد مرارة . وقال جالينوس لبعض الملوك: إياك ومجالسة النوكى فانا نجد فى كتب الطب أن مجالستهم حمى الروح . (والنوكى الحمقا). قال الشاعر :

رمتنى بنو عجل لحا الله أمهم وأى عباد الله أنوك من عجل
أليس أبوهم غار عين جواده فأضحت به الأمثال تضرب فى الجهل

[١٢أ] وسمع الأحنف بن قيس رجلا يقول: ما أبالى أمدحت أم هجيت ؟ فقال الأحنف: استرحت إذاً من حيث بعت الكرام، ومن أمثالهم استراح من لا عقل له . وفى الجهل أكثر من هذا تركته اختصاراً .

الباب الثالث

فى العقل من كتاب الضياء

العقل أفضل ما أنعم الله تعالى به على العبد لأن به عرف الحسن والقبح، وبه وجب الحمد والذم، وبه يلزم التكليف لأن الله جل جلاله إنما خاطب العقلاء بما يعقلون، ومن لم يكن له عقل سقط عنه التكليف باجماع الأمة. قال الله عز وجل: (فاعتبروا يا أولى الأبصار)(١) . وقال سبحانه: (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب)(٢)، أى عقل. والعقل من أفضل النعم، ومن حرم العقل فقد حرم. والعقل هو العلم والعلم هو العقل لأن من علم عقل، ومن عقل علم. وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لكل شيء دعامة وآلة، وأن آلة المؤمن ودعامته العقل » . والعقل اسمه مأخوذ من عقال البعير لئلا ينفر، وكذلك العقل يمنع الإنسان ويعقله عن شهواته كما يمنع العقال البعير عن الشرود.

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العقل نور فى القلب يميز به بين الحق والباطل»، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ما اكتسب الإنسان مثل عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى »، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله»، فبقدر عقله تكون عبادته لربه، أما سمعتم قول الله تبارك وتعالى حكاية عن الجاهل يوم القيامة حيث يقول: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)(٣) .

---

(١) سورة الحشر : آية ٢ .
(٢) سورة ق : آية ٣٧ .
(٣) سورة الملك : آية ١٠ .

(فصل)

وقيل إنه العقل الهوى . وقال ابن دريد :

وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا

وقال الشعبي : إنما سمى الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه ، وقيل الهوى مشتق من الهوان . كما قيل :

إن الهوى هو الهوان بعينه فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وقيل لبعض الحكماء من أشجع الناس وأجرأهم بالظفر ؟ قال : من جاهد الهوى |١٣ طاعة لربه ، واحترز من ورود خواطر الهوى على قلبه . وقال بعض الحكماء أشجع الناس من غلب هواه وأمات شهوته وأطاع ربه وأحيا مروءته . وقال بعض العلماء : خلق الله الملائكة من عقل بلا شهوة ، وخلق البهائم من شهوة بلا عقل ، وخلق بنى آدم من كليهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلب شهوته عقله فهو أشر من البهائم .

(فصل)

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العاقل من غلب شهوته » . وقيل العقل والهوى يصطرعان فى العقل أيهما غلب مال بصاحبه . وفى قول الله تعالى : (لينذر من كان حياً)(١) أى من كان عاقلا .

(فصل)

والعقل أول حجة الله على العبد . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس » لقوله صلى الله عليه وسلم : « أمرنى ربى أن أكلم الناس على قدر عقولهم » . وقيل أتى جبريل صلى الله عليه وسلم آدم صلى الله عليهما وسلم فقال : « إنى أتيتك بثلاث خصال فاختر منهن واحدة ؟ فقال آدم عليه السلام وما هن ؟ فقال جبرائيل عليه السلام : العقل والحلم والإيمان . فقال آدم عليه السلام : قد اخترت العقل . فقال

---

(١) سورة يس : آية ٧٠ .

جبرائيل عليه السلام للحلم والإيمان انصرفا فقد اختار عليكما العقل . فقالا أمرنا أن نكون مع العقل حيث العقل » .

(فصل)

قال وهب بن منبه : قرأت اثنين وسبعين كتاباً فوجدت فى جميعها أن الله تبارك وتعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل بين رمال ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأياً . وقيل لبعض العجم ما أفضل ما يؤتى الرجل ؟ قال : عقل يولد معه ، قال فان عدم العقل ؟ قال فأدب يعيش به ، قال فان حرم الأدب ؟ قال فمال يستر به عورته . قال فان حرم العقل والأدب والمال ؟ قال فجائحة لا تبقى له نسلا .
وقال أنو شروان لبرزجمهر : أى الأشياء خير للمرء ؟ قال عقل يعيش به ، قال فان لم يكن له عقل؟ قال فاخوان [١٤] يسترون عورته، قال فان لم يكن ؟ قال فمال يتحبب إلى الناس ، قال فان لم يكن ؟ قال فعى صامت ؟ قال فان لم يكن ، قال فموت جارف .

(فصل)

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الناس أعقل الناس » ، وعنه صلى الله عليه وسلم : « سيد الناس أعقلهم » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لكل شىء معدن ومعادن التقوى قلوب العارفين » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « العقل عقلان فعقل صاحب الدنيا عقيم ، وأما عقل صاحب الآخرة فمثمر » ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أعطى ثلاث خصال فقد كمل عقله ، وهى المعرفة لله ، وحسن الطاعة لله ، والصبر على بلاء الله » . يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لله عباداً اختصهم من خلقه يسكنهم رفيع الجنان ، إنهم كانوا فى الدنيا أعقل الناس ، كانت همتهم المسابقة إلى طاعة الله ، وهانت عليهم الدنيا وزينتها » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا فقر أشد من الجهل ،

ولا مال أعود من العقل ، ولا عبادة كالتفكر » . وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يا عويمر ازدد عقلا تزداد من الناس حباً ومن ربك قرباً » : قلت بأبي وأمي من لي بالعقل ؟ قال «اجتنب محارم الله وأدى فرائض الله تكن عاقلا » .

(فصل)

وقيل لو صور العقل لأظلمت منه الشمس ، ولو صور الجهل لأضاء معه الليل. وقيل إذا تم العقل نقص الكلام . وفي الحكم كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فانه إذا كثر غلا . وقيل إن عقول كل أمة على قدر زمانهم . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما انتقصت جارحة في ابن آدم إلا كانت ذكاء في عقله .

(فصل)

والعقل رأس الفضائل وينبوع الأدب . وقيل العقل عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت ، وواحد منها في الهرب عن الناس . وقيل إن عابداً كان في صومعة قد انقطع عن الناس ، فقيل له لم فعلت هذا ؟ قال هربت عن اللصوص سراق العقل لئلا يسرقون |١٥| عقلي ، وعدو الإنسان هواه وصديقه عقله . ويقال عقل المرأة في جمالها وجمال الرجل في عقله .

(فصل)

اختلف الناس في العقل وصفاته ومسكنه على مذاهب شتى . فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به بين الحقائق والمعلومات. واختلف من قال بهذا القول في محله ، قال قوم محله الدماغ لأن الدماغ محل الحس ، وقال بعضهم محله القلب ، وقال آخرون العقل هو مدرك الأشياء على ما هي عليه من حقائق الأمور . وقال بعض المتكلمين العقل هو جملة علوم ضرورية . وقيل العقل هو المعلم بالمدركات الضرورية ، وقال قوم ، العقل نور ، بصيرة الله في القلب يفرق به العبد بين الحق والباطل ويميز به ما يخطر على قلبه .

(فصل)

قال الشيخ أبو محمد رحمه الله : اختلف الفقهاء فى العقل فقال بعضهم إن كل مكلف عاقل لأن القلم رفع عن الصبى حتى يبلغ والمجنون حتى يفيق ، ووقع التكليف على العقلاء ، وقال بعضهم العاقل هو المطيع لربه عز وجل واحتجوا بقوله تعالى : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)(١) ، فاعترفوا بذنبهم ، وبقوله تعالى : (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها)(٢) ، وقال بعض : العقل هو العلم ، واحتج بقوله تعالى : (وما يعقلها إلا العالمون)(٣) .

(فصل)

واختلف الناس فى محل العقل ، قال قوم فى الدماغ ، وقال قوم العقل فى القلب . والعرب تقول ما له قلب ولا عقل بمعنى واحد . ومن ذهب إلى أن العقل فى القلب ، والقلب فى الصدر من جانب الأيسر . وروى عن أبى عبد الله محمد بن محبوب رحمه الله أنه قال فى الرأس . وكل من لقى أن يكون العقل جوهراً ثبت محله فى القلب لأن القلب محل العلوم كلها . وعن أبى على رحمه الله أن محل العقل الدماغ وتدبيره فى القلب ، ويستدل على هذا بلغة العرب ، لأن العرب تسمى رءوس الجبال معاقل ، وتسمى الحصون المنيعة معاقل لأن الدماغ أعلى الجسد .

|١٦| (فصل)

فى القلب ومسكنه

قال الخليل : القلب مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط(٤) ، وسمى القلب قلباً لتقلبه . قال الشاعر :

---

(١) سورة الملك : آية ١٠ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٧٩ . كتب فى المخطوطة خطأ «لا يعقلون» بدلا من «لا يفقهون» .

(٣) سورة العنكبوت : آية ٤٣ .

(٤) ناطه ينوطه نوطا ونياطا : علقه . والنياط : الفؤاد .

ما سُمى القلب إلا من تقلبه والرأى يصرف والإنسان أطوار

وقال آخر :

وما سمى الإنسان إلا لأنسه ولا القلب إلا أنه يتقلب

وفى الحديث: « إن لكل شىء قلباً وقلب القرآن يس » ، وقال العزيز الحكيم فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، وسمى الفؤاد فؤاداً لتفوده والتفاود التوقد ، كما قال الشاعر :

يظل الغراب الأعور العين واقعاً مع الذئب يعسان بادى ومفادى

ى موضع مودى ، وفيه أكثر من هذا تركته اختصاراً .

الباب الرابع

فى تفضيل العلماء وإجلالهم وإعظامهم وإكرامهم من كتاب الضياء

قال الله سبحانه وتعالى وتقدست أسماؤه (إنما يخشى الله من عباده العلماء)(١) . وقال تعالى وما يعقلها إلا العالمون . وقال : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)(٢) ، وقال تعالى: (وما يستوى الأحياء ولا الأموات)(٣) ، قيل الأحياء العلماء والأموات الجهال ، وقيل الأحياء المؤمنون ، والأموات الكفار ، فمنع سبحانه وتعالى بين المساواة بين العالم والجاهل ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الناس موتى إلا العالمون ، والعالمون سكارى إلا العاملون ، والعاملون هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على حظ عظيم » .

(فصل)

عن سويد بن عقبة يرفعه عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يا عبد الله بن مسعود !! قلت لبيك يا رسول الله ! قال أتدرى أى الناس أعلم؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم . قال « أعلم الناس أبصرهم للحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصراً فى العمل » . وعن أبى موسى الأشعرى أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبعث الله العباد يوم القيامة ، ثم يميز العلماء فيقول [١٧] يا معاشر العلماء لم أضع فيكم علمى لأعذبكم به انطلقوا به فقد غفرت لكم » . وعن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن العالم يستغفر له من فى السموات والأرض والحيتان فى جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء » .

---

(١) سورة فاطر : آية ٢٨

(٢) سورة الزمر : آية ٩ .

(٣) سورة فاطر : آية ٢٢ .

(فصل)

وقال صلى الله عليه وسلم : « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم رجلا » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العلماء ورثة الأنبياء ومصابيح الهدى ، وأمناء الله على وحيه ما لم يركنوا إلى الدنيا » . وعن عائشة رضى الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من وقر عالماً فقد وقر ربه عز وجل » ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من إعظام إجلال الله إكرام ثلاثة : قارئ القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه والعالم ، وذى السنة المسلم ».

(فصل)

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا أو يوقر كبيرنا ولم يعرف الفضل لعلمائنا » . ويقال إن إجلال العالم إجلال لله تعالى جل جلاله ، وقيل أراد زيد بن ثابت الركوب فأخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقال : هكذا نفعل بعلمائنا . وقيل كان يحضر مجلس ابن عباس حبشى أسود وكان ابن عباس يجله ويرفع قدره ويصدره فى المجلس ، فقيل له فى ذلك ، فقال : هذا رجل أكرمه الله بالعلم ، وقيل : لا يزال الناس بخير ما عظم الأشراف وفضلوا العلماء وأجلوا المشايخ .

(فصل)

عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أقرب الناس درجة من درجة الأنبياء أهل العلم وأهل الجهاد » ، عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد ، وعن الحسن فى قوله تعالى : (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) (١) قال هم العلماء

---

(١) سورة الكهف : آية ٧.

زينة الأرض. وعن ابن عباس وطلحة وعطاء فى قوله تعالى: (أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها)(١) ، فقالوا نقص الأرض موت العلماء .

(فصل)

فى قوله تعالى : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم)(٢)، قال مجاهد : من علمائهم ، وفقهائهم . وفى حديث عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مثل العلماء فى الأرض مثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم يوشك أن تضل الهداة » ،وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « موت العالم ثلمة لا تجبر ، وموت قبيلة أيسر من موت عالم » .

(فصل)

وقيل خير من العلم حامله ، وخير من الذهب باذله . وعن النبى صلى الله عليه وسلم «العلماء مفاتيح الجنة وخلفاء الأنبياء صلوات الله عليهم» وعنه صلى الله عليه وسلم أنه يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء والعلماء والشهداء . وفى الحديث أن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة للعابد ادخل الجنة ، وللعالم قم واشفع فى الناس . وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال إن الله تبارك وتعالى يباهى ملائكته برفع أعلام العلماء . وعن مالك بن أنس عن الزهرى عن المسيب عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله تبارك وتعالى حبس على العلماء عقولهم وأفهامهم فلا يسلبها إلى الممات».

(فصل)

قال عوانة : تشاجر قوم فى مسجد البصرة والمسجد مشحون برجال من العرب فتراضوا بالحسن البصرى وتحاكموا إليه وازدحموا عليه . فقال الأحنف كاد العلماء يكونون أرباباً وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل

---

(١) سورة الرعد : آية ٤١ .

(٢) سورة ق : آية ٤ .

ما يصير . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « جالسوا العلماء وسالموا الكبرياء وخالطوا الحكماء » . وقال صلى الله عليه وسلم: « من صاحب العلماء وقر ، ومن صاحب السفهاء حقر » .

(فصل)

واتباع العلماء واجب . قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن خليله ابراهيم صلوات الله عليه : (يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً)(١) . والعلماء حجة الله فى الأرض جعلهم الله حجة بينه وبين عباده وأمرهم أن يقبلوا قولهم ويهتدوا بهداهم ، فقال عز من قائل: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)(٢) ، وكان ابن مسعود [١٩] رضى الله عنه يقول بأبى وأمى العلماء بروح الله انقلبتم وكتاب الله تلوتم ومساجد الله عمرتم ، ومن رحمة الله استكثرتم ، العلماء منار البلاد وغيث العباد . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أتدرون ما قال لى جبرائيل عليه السلام ؟ قال يا محمد لا تحقرن عبداً أتاه الله علماً فان الله لم يحقره حين علمه إن الله جامع العلماء فى بقيع واحد وصعيد واحد فيقول الله عز وجل لهم «يا عبادى ما استودعتكم علمى إلا خيراً أردته بكم اشهدوا أنى قد غفرت لكم على ما كان منكم » . وعن الحسن أنه قال: « مداد العلماء يوزن بدم الشهداء يوم القيامة » . وعن سعيد بن جبير قال: إذا كان يوم القيامة يوزن حبر العلماء ودم الشهداء فيرجح حبر العلماء على دم الشهداء .

(فصل)

وقيل العلماء غرباء لكثرة الجهـال ، وكلمت النبي صلى الله عليه وسلم جارية من السبي ، فقال لها من أنت ؟ فقالت ابنة الرجل الجواد حاتم ، فقال صلى الله عليه وسلم : «ارحموا عزيز قوم ذل ، وارحموا غنياً افتقر ،

---

(١) سورة مريم : آية ٤٣ .

(٢) سورة النحل : آية ٤٣ .

«ارحموا عالماً ضاع بين الجهال». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ارحموا غني قوم افتقر، وعزيز قوم ذل، وعالماً يتلاعب بعلمه الجهال». ويقال الغرباء فى الأرض أربعة: مصحف معلق لا يقرأ منه، وقرآن فى قلب فاسق لا يعمل به، ومسجد بين ظهرانى قوم لا يصلون فيه، وعالم بين جهال لا يسألونه ويتلاعبون به. وفى الحديث إن مثل العالم مثل العين الجارية يستقى منها ولا تنزح، ومثل العابد مثل السراج يضىء لمن حوله، ويقال أزهد الناس فى العالم جيرانه. وقيل شعر لهم من كتاب الضياء:

لا ترى عالماً يحل بقوم ... فيحلوه غير دار الهوان

قل ما توجد السلامة والصحة فى مجموعتين فى إنسان

هذه مكة الشريفة بيت الله ... يسعى لحجها الثقلان(١)

[٢٠] وترى أزهد البرية فى الحج ... لها أهلها لقرب المكان

---

(١) الثقلان: الإنس والجن.

الباب الخامس

فى مراتب العلماء وأفعالهم وأقوالهم والتغليط لهم من كتاب الضياء

روى عن أبى المؤثر يرفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات ! الجاهل لا يعذر بجهله ، والعالم ملعون إن لم يعمل بعلمه ، العالم غير العامل به مدحوض الحجة منحوس النصيب . وعن على عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إنى لا أخاف على أمتى مؤمناً ولا مشركاً إن كان مؤمناً منعه إيمانه ، وإن كان مشركاً قمعه شركه ، ولكنى أخاف عليها منافقاً عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل بما تنكرون » . قال أبو الدرداء إنى أخوف ما أخاف أن يقال لى علمت فما عملت فيما علمت . قال محمد بن صالح :

وكأننى بك قد وقفت محاسباً ... وسألت عما قد عملت سؤالا
فى زمرة الفقهاء يوم تغابن ... يوم يكون على العصاة طوالا
عبدى علمت فما الذى قدمت مذ ... خمسين عاماً قد كملن كمالا
أأطعت علمك إذ نهاك عن الهوى ... وجعلته لك فى الأمور مثالا
أم كنت تتبع الهوى قطيعة ... فتماطل المستعتبين مطالا
فأعد ويحك للسؤال إجابة ... قبل السؤال وجانب الاغفالا
العلم يهدى من أراد به الهدى ... ولقد يزيد ذوى الضلال ضلالا
كم عالم كانت عليه علومه ... يوم القيامة حسرة ووبالا

(فصل)

عن عيسى عليه السلام أنه قال يا صاحب العلم إنه لا يجتمع الماء والنار فى وعاء واحد ، وكذلك لا يجتمع العلم والدنيا فى قلب واحد . ثم قال بحق أقول لكم لا تريدون الدنيا ولا الآخرة ، لو كنتم تريدون الآخرة لأكرمتم العلم الذى به تدركون الآخرة . ولو كنتم تريدون الدنيا لأكرمتم

العلم الذى تدركون به الدنيا، ٢١ لا أنتم عبيد أتقياء ولا أحرار درام». وقال الأعمش(١): إذا رأيتم الفقيه يأتى باب السلطان فاعلموا أنه لص، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هلاك أمتى من رجلين عالم فاجر ومتعبد جاهل». وقيل يا رسول الله من شر الناس؟ قال العلماء إذا فسدوا.

(فصل)

وقيل لعيسى عليه السلام من أشد الناس فتنة؟ قال زلة العالم، إذا زل زل بزلته خلق كثير، وقال مالك بن دينار من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتى من العلم ما ينفعه، وقال إن زلة العالم لا تقال ولا تستقال. قال الشاعر:

وأنت من زلتها عالم وزلة العالم لا تغفر

وقيل زلة العالم كالسفينة تغرق ويغرق فيها خلق كثير، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من ازداد علماً فلم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً»، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حق على الله لكل من عمل بالعلم أن يعلمه الله ما لم يعلم». وفى قول الله عز وجل: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)(٢).

(فصل)

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ويل لمن لم يعمل بما يعلم. قال الشاعر:

إذا أنت لم تعمل به كان حجة عليك ولم تعذر بما أنت جاهله

وعن عمر رحمه الله أنه قال خير العلم ما دخل معك قبرك، وشر العلم ما خلفته ميراثاً، قيل له وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال ما عملت به دخل معك قبرك ثوابه، وإذا لم تعمل به خلفته فى البيت ميراثاً عليك لا لك. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العلماء أمناء الله فى أرضه على عباده وبلاده ودينه ما لم يدخلوا فى الدنيا ويخالطوا السلطان، فاذا فعلوا

---

(١) الأعمش: هو سليمان بن مهران ويكنى أبا محمد، مولى لبنى كاهل من بنى أسد. ولد يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ، ومات سنة ١٤٨ هـ (ابن قتيبة الدينورى: المعارف ص ٢١٤).

(٢) سورة العنكبوت: آية ٦٩.

ذلك فقد خانوا الله ورسوله فاحذروهم واتهموهم على دينكم » ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تزال هذه الأمة في يد الله وتحت كنفه ما لم تمل قراؤها لأمرائها ، ولم تذل صلحاؤها لفجارها ، وما أخذ خيارها على يد ٢٢ أشرارها ، فاذا لم يفعلوا ذلك رفع الله يده عنهم ، ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعباً » .

(فصل)

وقيل إذا ترك العالم العلم نودى يا هذا !! تركت الطريق ! وعن جابر بن زيد في قول الله عز وجل : (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً)(١) ، قال هم علماء السوء والعتو والتجبر . وسمعت المفضل يقول : أوحى الله إلى داوود عليه السلام لا تجعل بيني وبينك عالماً محب للدنيا فيصدك عن طريق محبتي ، أولئك قطاع طريق على عبادى إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتى من قلوبهم .

(فصل)

عن معاذ بن جبل رحمه الله قال : كنت أطوف مع النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت ، فقلت يا رسول الله صلى الله عليك « من أشد الناس عذاباً ؟ فأعرض عني ، ثم سألته فأعرض عني ، ثم سألته ، فقال من يرى الناس فيه خيراً ، ولا خير فيه ، وفي موضع آخر إنهم شرار العلماء » . وقال كعب : هم أرباب العلم الذين لا يعملون به ، وقال : يذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذ وعوه ، الطمع والشره وطلب الحوائج إلى الناس .

(فصل)

قال ابن مسعود : كان أهل العلم فيما مضى يضنون على أهل الدنيا فيبذل أهل الدنيا دماءهم وأموالهم للعلماء ، فلما بذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا ضن أهل الدنيا بدنياهم . وقال بعض الحكماء ثمرة العلم العمل به ، وثمرة العمل بأن يؤجر عليه . وفي منثور الحكم : لم ينتفع عالم بعلمه ما لم يعمل به . وعن سفيان(٢)

---

(١) سورة مريم : آية ٦٩ .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، ولد سنة ١٠٧ هـ ، ومات سنة ١٩٨ هـ (ابن قتيبة : المعارف . ص ٢٢١) .

أن الخضر قال لموسى عليه السلام : يا ابن عمران تعلم العلم لتعمل به ، ولا تتعلمه لتحدث به الناس فيكون عليك وزره ولغيرك نوره .

(فصل)

قالت الحكماء خير العلم ما نفع وخير القول ما ردع . وقال بعض العلماء ثمرة العلم العمل به . وأنشد بعضهم [٢٣] :

خليلى إن العلم يهتف بالعمل فان لم تجبه بالتقى سار وارتحل

وقيل لا خير فى عبادة ليس فيها تفقه ، ولا علم ليس فيه تفهم ، ولا قراءة ليس (١) فيها تدبر ، وقال هشام : من لم يعرف اختلاف المقارئ ليس بقارئ ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء ليس بفقيه ، وقال بعض الحكماء الفقيه بلا ورع كالسراج فى البيت يضىء للناس ويحرق نفسه .

(فصل)

فى الحث على طلب العلم

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «تعلموا العلم ولو بالصين أو قسطنطين » ومن طريق أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «تعلموا العلم قبل أن يرفع ورفعه ذهاب أهله» . وقال زياد بن لبيد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهاب العلم فقلنا يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه آباءنا وأبناءنا ، وأبناؤنا يقرءونه أبناءهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أم لبيد إن كنت لأراك أفقه أهل المدينة ! أو ليس هؤلاء اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون بما فيهما بشىء ! . وعن أبى امامة الباهلى باسناد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خذوا العلم قبل أن ينفذ ثلاث مرات ، فقالوا يا رسول الله كيف ينفذ وفينا كتاب الله ؟ فغضب ثم قال ثكلتكم أمهاتكم أو لم يكن التوراة والإنجيل فى بنى إسرائيل ثم لا تغنى عنهم شيئاً .

---

(١) « ليس » زيادة من عندنا ليستقيم المعنى .

(فصل)

قال معاذ بن جبل(١) رضى الله عنه سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون ثم بكى فقلنا ما يبكيك [يرحمك] الله ؟ فجثى على ركبتيه ، فقال أوصانى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلب العلم وتعليمه ، فقال لى : « يا معاذ طلب العلم عبادة والتفهم فيه خشية وذكره تسبيح ، وعلمك العلم لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لمن يعمل به قربة إلى الله سبحانه وتعالى ، يا معاذ تعليك بالعلم فإنه الأنيس فى الوحشة والصاحب [فى الغربة |٢٤| والمحدث فى الخلوة ، يا معاذ العلم زين عند الاخلاء وسلاح عند الأعداء ، يا معاذ رفع الله بالعلم أقواماً فجعلهم للخير قادة وأئمة هدى نقتبس من نورهم ونتبع آثارهم ونقتدى بأفعالهم ، وننتهى إلى رأيهم ، يا معاذ طلبة العلم تستغفر لهم الملائكة الكرام وتمسحهم بأجنحتها وتستغفر لهم حيتان البحار وسباع البر وكل رطب ويابس من خلق الله ، يا معاذ عليك بالعلم فإنه نور البصر من الظلمة ، وحياة القلب من الجهل وقوة البدن من الضعف يا معاذ العلم يبلغ العبد المنازل الرفيعة والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة ؛ يا معاذ تفكر فى العلم فإن التفكر فيه يعدل قيام الليل وصيام النهار ؛ وبه يوصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، العلم إمام الخلق يلهمه الله عباده السعداء ويحرمه الأشقياء وفيه أكثر من هـذا » ؛

ومن كلام الشيخ رحمه الله : من طلب العلم لله لم يجز منه باباً إلا ازداد فى نفسه تواضعاً وذلا ولله خوفاً وفى الدين اجتهاداً ورغبة ، ومن طلب العلم للدنيا والحظوة عند السلطان والناس لم يجز منه باباً إلا ازداد فى نفسه تكبراً وعن طاعة الله توانياً وعلى العباد استطالة فليمسك عن هذا وليذكر حجة الله عليه ؛]

---

(١) كان معاذ بن جبل أنصارياً من الخزرج ويكنى أبا عبد الرحمن ، وهو أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة من الأنصار . شهد بدراً وحارب فى اليرموك . وأرسله الرسول عليه الصلاة والسلام إلى اليمن ليعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام . توفى فى طاعون عمواس سنة ١٨ (الاستيعاب لابن عبد البر هل هامش الإصابة لابن حجر العسقلانى ج ٣ ص ٣٣٥-٣٣٩) .

الباب السادس

في التوحيد ومعرفة العزيز المجيد

التوحيد الوصف لله سبحانه وتعالى بأنه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ليس له شبه ولا ضد ولا ند ، عالم سميع بصير ليس بجسم ولا محدود ولا تحيط به الأقطار ولا يرى بالأبصار ، وهو الله الواحد القهار ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق [٢٠] البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . سبحانه مباين الأشياء لا بمفارقة ، بعيد لا بمسافة ، قريب لا بمداناة ، بصير لا بأداة ، مقدر لا بحول ، مدبر لا بمهام ، فاعل لا بحركة ، سميع لا بآلة ، لا تصحبه الأوقات ولا تفنده الأدوات ، ولا تأخذه السنات ، لا تختلف عليه اللغات ، ولا تحويه المساكن ، ولا تضمه الأماكن ، سبق الأوقات كونه ، والقدم وجوده ، والابتداء أزليته ، سبحانه له المثل الأعلى ، والحق الأجلى ، والوصف الأسنى ، والأسماء الحسنى فى الآخرة والدنيا ، تشهد له بذلك الصور الإنسانية وجميع الحيوانية بأنه اخترعها بغير مثال ، وقدرها بغير احتيال ، لا تشبهه ولا يشبهها فتعالى الله عن مشابهتها ، وجل وتقدس عن مقاربتها ، فهى دالة بنفسها عما فيها من حدوث الصنعة باختلافها وافتراقها وأبعاضها وتلاصقها وامتزاجها وانتقالها وزوالها وفنائها ؛ سبحانه لا تحويه الأمكنة ولا تغيره الأزمنة ، جبار قهار عزيز غفار ، يوحد ولا يبعض ، يعرف ولا يكيف ، يحقق ولا يمثل ، عالم بما كان وما هو كائن وبما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ، متعالياً عن التحديد ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(١) .

---

(١) سورة الشورى : آية ١١

الباب السابع

فى الرد على الثنويه

إن سأل سائل من الثنويه ، فقال ما الدليل على ان الخالق واحد وما أنكرت أن يكون اثنين ؟ قيل له إن الاثنين لابد أن يلحقهما أو أحدهما العجز او أراد أحدهما أن يخلق جسماً وأراد تسكينه وأراد الآخر تحريكا لم يكن بد من عجز أحدهما لأن الجسم لايكون ساكناً متحركاً فى حال واحد. فإن قال فما أنكرت أن يكون لا يريد غير ما يريده الآخر ويكونا مصطلحين؟ قيل له لا يخلو من أن يكون أحدهما إذا أراد أن يفعل شيئاً يستأثر به دون صاحبه، يقدر أو لا يقدر؟ فإن كان يقدر على ذلك فالمستأثر دونه جاهل ليس بالـه قديم ، [٢٦] وإن كان لا يقدر على ذلك فهو عاجز ، والعاجز ليس بإلـه قديم ؛ فلما فسد هذا علمنا أنه واحد (ليس كمثله شىء)(١). وقد قال الله تعالى: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلـه)(٢) الآية ، نزه نفسه عن ذلك وأنه لا خالق غيره سبحانه وتعالى علواً كبيراً ؛ فإن قال ما الدليل على أن الله محدث الأشياء وهو الله الواحد القهار؟ قيل له الدليل على ذلك أنا رأينا الكتابة لا تكون إلا من كاتب، والبناء لا يكون إلا من بان، والصنعة لا تكون إلا من صانع ، فعلمنا أن الأشياء محدثة ولا تكون إلا من محدث أحدثها ، وهو الله الواحد القهار ، فإن قال فما الدليل على أن الأشياء محدثة وليست بقديمة ؟ قيل له لأنا وجدنا جميع الأجسام والأشياء فى الدنيا لا تخلو من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون . فلما كانت الأجسام لا تخلو من ذلك ، علمنا أنها محدثة لحدوث ما لا ينفك منها ولم يسبقها ولم يتقدمها إلا وهى معه، وصح معنا وثبت أن الأشياء محدثة . ودليل ثان أيضاً

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ٩١ .

يدل على أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء ، وهو أنه إذا وضعت نطفة بين يدى الخلق جميعاً حيث يرونها ويمسونها لم يقدروا أن يخلقوا لها عظماً ولا لحماً ولا شعراً ولا بشراً ولا حياة ولا قدرة ، فكيف إذا كانت فى ظلمة الرحم وبينها وبينهم الحجب الكثيرة فهم عن صنعها أعجز ، وعن تدبيرها أبعد ، فعلمنا أن من جعل النطفة خلقاً كاملاً ، هو الله الواحد الذى ليس كمثله شيء .

فان قال أخبرونى أخلق الله تعالى الأشياء من شيء أم من لا شيء ؟ قيل له : لا من شيء خلقها . فان قال فما الدليل على ذلك ؟ قيل له لأنه لا يخلو إلا من حالين : إما أن يكون خلقها من أصل كان معه أو خلقها لا من شيء . فان كان خلقها من أشياء كانت معه فليس تخلو تلك الأشياء من أن تكون خلقت من أشياء كانت قبلها أو خلقت من لا شيء قبلها [٢٧] كان الكلام فى ذلك الشيء كالكلام فيها . وهذا يؤول إلى الفساد وإلى ما لا يصح ولا يجوز أن يتوقف عند آخره لأن هذا يؤدى إلى ما لا نهاية له . فان قال خلقت من أشياء كانت قبلها ؛ وإذا كان الشيء لا يتناهى ولا يتوقف عند آخره لم يجهل العلم به . فلما فسد هذا الوجه بان بطلانه فيما بيناه صح الوجه الآخر من أنه تبارك وتعالى خلق الأشياء واخترع أعيانها وأخرجها من العدم إلى الوجود لا من شيء . لأنه إذا كان لابد من القول بأحد الوجهين وفسد أحدهما صح الآخر .

فان قال : فما يدريكم لعل الأشياء أحدثت نفسها ؟ قيل له لو كانت أحدثت نفسها لم يخل ذلك من أحد أمرين : إما أن يكون أحدثت نفسها فى حال وجودها أو فى حال عدمها ، فان كانت أحدثت نفسها فى حال وجودها فوجودها يغنى عن إيجادها مرة أخرى ، لأن الموجود مستغن عن الوجود ، وإنما يوجد المعدوم لأنه يصير موجوداً بعد أن كان معدوماً ؛ ولو كانت أحدثت نفسها فى حال عدمها لكان المعدوم فاعلا ، ولو كان كذلك لكان لا فرق بين المعدوم والموجود فى الفعل والعلم والإرادة . فلما بطل أن يكون المعدوم يفعل شيئاً أو يحدث مثله شيء صح أن الأشياء إنما أحدثها محدثها ونقلها من العدم إلى الوجود موجدها ، وهو الله سبحانه وتعالى .

(مسألة) : فان قال من أين تعلم أن إلهك واحد ؟ فقل له من قبل أنه لا يكون قادراً إلا واحداً . فان قال من أين تعلم أنه لا يكون قادراً إلا واحداً؟ فقل من قبل أنه لا يكون الواحد إلا غالباً ، ولو كانا اثنين لم يكن قادراً لأنه إن أراد أحدهما أن يغلب صاحبه فالمغلوب ليس باله ، وإن لم يقدر أحدهما أن يغلب صاحبه فهو عاجز ، والعاجز ليس باله . فلذلك علمنا أنه واحد ، فان قال كيف تعلم أنه واحد ليس كمثله شيء ، فقل من قبل أن الشيء يكون هو من صنعه وخلقه ، [٢٨] والله سبحانه وتعالى هو الصانع للشيء ، والشيء مصنوع ولا يشبه الصانع المصنوع ، لأن الصانع قديم والمصنوع حديث .

(مسألة) : فان قال إذا قلت إن الله واحد وأنت واحد فما الفرق ؟ قيل له أنا واحد فى الاسم ، أشياء فى الحقيقة لأن لى النصف والثلث والربع والعشر ، والله سبحانه واحد فى الاسم ، واحد فى المعنى . لا يجوز عليه التجزؤ والقسمة والتبعيض جل وعلا عن ذلك علواً كبيراً . وفرق آخر أنه جائز أن يرفع الله تعالى الاجتماع منى فأصير متفرقاً بعد أن كنت مجتمعاً والله سبحانه لا يجوز عليه ذلك لأنه الخالق ، والخالق لا يشبه المخلوق وغير ذلك من الفروق التى تجوز على وعلى كل مخلوق ولا تجوز على الله تعالى عز وجل ولقد أحسن القائل حيث يقول :

فيا عجباً كيف يعصى الإلـه أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كـــل تحـــريكه وفى كل تسكينه شاهـد
وفى كـــل شىء لـــه آية تدل عـــلى أنـــه واحد

ومن كلام الشيخ أبى الحسن رحمه الله : فان قال قائل ماتنكر أن يكون العالم من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة ؟ قيل له أنكرنا ذلك من قبل أنه لا يخلو أن يكونا متباينين أو متمازجين فأيهما كان فقد أثبت الحدث لهما ، والحد والنهاية ، وقد دللنا أن الأجسام محدثة فتى صح أنهما جسمان فقد ثبت أنهما محدثان ، والمحدث مصنوع وله صانع . ووجه آخر أن لا يكونا متباينين

ثم لا يصح امتزاجهما أبداً لأن أحدهما نور والآخر ظلمة وهما ضدان ، ولا يصح اجتماع الأضداد بل لا يزدادان إلا تباعداً . ولو كانا متباينين على ما قالوا ثم امتزجا لم يخل أن يكون التباين هما أو غيرهما ، وكذلك الامتزاج فقد ثبت أصل ثالث وفسد قولهم . فان قال التباين والامتزاج غيرهما وثبت أصل ثالث ، قيل له قد تغير التباين والامتزاج ،وإذا تغير فهو محدث وهما محدثان ، والقديم لا يتغير كالمحدث ، وقد كذبهم الله تعالى بقوله : (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل |٢٩| الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)(١)فدل أنه خالق الظلمة والنور سبحانه !وأبطل دعوى الثنويه وعباد النيران من المجوس وغيرهم والحمد لله .

ومن كلام الشيخ أبى الحسن رحمه الله : فان قال فما أنكرت أن يكون العالم من صانعين قديمين قيل له أنكرنا ذلك عليه أشد الإنكار لأنه لو كانا اثنين كان لا يخلو أن يقع بينهما التمانع وذلك لو أراد أحدهما أن يجعل جسماً فى مكان ويريد الآخر أن لا يجعل فى ذلك المكان جسماً أو يريد أحدهما تسكين جسم ويريد الآخر تحريكه ، أو يريد أحدهما بقاء جسم ويريد الآخر فناءه ، فلا يجوز أن يكون ما أراداه جميعاً فيكون جسمان فى مكان ، أو يكون جسم متحرك ساكن فى حال واحد ووقت واحد . فلما لم يصح ذلك ثبت وصح أن الله إلـه واحد (ليس كمثله شىء)(٢) ، وقد قال الله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)(٣) وقال سبحانه (لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إلـه واحد فإياى فارهبون)(٤) وقال سبحانه : (لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا)(٥) . سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

---

(١) سورة الأنعام : آية ١ .
(٢) سورة الشورى : آية ١١ .
(٣) سورة الأنبياء : آية ٢٢ .
(٤) سورة النحل : آية ٥١ .
(٥) سورة الإسراء : آية ٤٢ .

(مسألة) : فى إعادة الخلق من كلام الشيخ أبى الحسن : فان قال ما الدليل على إعادة الخلق ؟ قيل الدليل أنه سبحانه وتعالى خلق الخلق أولا على غير مثال سبق ، فان كان خلقه أولا على غير مثال سبق لم يعييه أن يعيده خلقاً آخر ، وقد قال عز من قائل : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)(١) . وقال سبحانه : (فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)(٢) . وقال سبحانه مخبراً عن قولهم (أإذا كنا تراباً وآباؤنا أإنا لمخرجون)(٣) . وفى آية أخرى (ومانحن بمبعوثين)(٤). وقال فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فنزل فى القرآن فى غير موضع أنه يعيدهم ، وقال سبحانه مخبراً عن قولهم : (أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون)(٥) وقال سبحانه وتعالى : (ومن آياته أن [٣٠] تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)(٦) وقال سبحانه : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)(٧) ، وقال : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)(٨) ، فهذا دليل من كتاب الله الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(٩) .

(فصل)

ومن كلام الشيخ أبى الحسن رحمه الله تعالى ، وسئل فقال : إذا كان

---

(١) سورة يس : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٨ .

(٣) سورة النمل : آية ٦٧ .

(٤) سورة المؤمنون : آية ٣٧ .

(٥) سورة الإسراء : آية ٩٨ .

(٦) سورة الروم : آية ٢٥ .

(٧) سورة طه : آية ٥٥ .

(٨) سورة الروم : آية ٢٧ .

(٩) سورة فصلت : آية ٤٢ .

على العبد المعرفة بالله مما وقع عليه من الدلائل من انه واحد ، فما المعرفة به ؟ وما يجب على العبد من معرفة توحيده ؟ قيل له يجب على العبد من الاعتقاد أن يعلم بأن الله سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(١) ، (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)(٢) كما قال وأنه العالم الذى لا يجهل ، والقادر الذى لا يعجز ، وأنه الواحد القهار ، وأنه الله الذى لا إلـه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور ، له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، وهو الحى القيوم واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . نه نه كما وصف نفسه فى كتابه ووصفه أنبياؤه ودلت عليه آثار صنعته كما ذكر سبحان وتعالى فى كتابه : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد . ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شىء محيط)(٣) .

(مسألة) من كلام الشيخ أبى الحسن رحمه الله ، وسئل فقال ما معنى قوله (ليس كمثله شىء) ولم يرجعوا إلى واحد من طريق العدد ولا هو محسوس ولا متوهم بمثل المعروف ؟ قيل له قلنا ذلك ووصفناه بما وصف به نفسه أنه واحد ليس كمثله شىء واعتقدنا ذلك أنه لا مثل له ولا نظير ولا غاية ولا نهاية وأنه ليس كمثله شىء ونفينا بذلك عنه قول الثنوية [٣١] ومن قال بالاثنين ، وقول النصارى وغيرهم ؛ وأنه الواحد الكبير المتعال ، كما قال سبحانه : (قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد) (٤) الآية . الله أكبر الأشياء وهو

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .
(٣) سورة فصلت ؛ : آية ٥٣ ، ٥٤ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١٩ .

الكبير المتعال (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . ومن كلام الشيخ أبي الحسن وسأل، فقال: ما معنى الحي القيوم ؟ قيل له الحي الذى لا يموت، والقيوم الدائم الذى لا يزول ، والله هو الحي الذى لم يزل ، والقيوم الذى لا يزول ، فان قال أفيقولون إن الله عالم ؟ قيل له نعم كذلك نقول إنه عالم وعليم وقادر وقدير وسميع وبصير كما قال في كتابه لا نجاوز ذلك ولا نعدوه نصفه بما وصف به نفسه مع اتفاق الأمة على ذلك .

ومن كلام الشيخ أبي الحسن رحمه الله فان قال أفتقولون إن الله عز وجل لم يزل حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً؟ قيل له كذلك نقول. فان قال فما الدليل؟ قيل إن الحي إذا لم يكن عالماً كان موصوفاً بضد العلم، فلما دل الدليل أن الأفعال تؤخذ منه وتصح وتقع متضمنة ومشتقة صح أنه لم يزل عالماً لها مع أن اللغة مطلقة والأمة مجمعة أن الله تعالى لم يزل عالماً بما يكون قبل كونه ، وكذلك قال سبحانه وتعالى: (يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون)(١)، وقال: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)(٢) ، وقال تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين)(٣) ، فقد أخبر بما يقولون قبل أن يقولوا ذلك ، وأخبر تعالى أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون .

ومن كلام الشيخ أبي الحسن رحمه الله ، فان قال أفتقولون إن الله سميع بصير ؟ قيل له نعم كذلك نقول إن الله سميع بصير سامع عالم خبير ، وقد قال إنه هو السميع البصير ، فنصفه بما وصف به نفسه وذلك من صفاته اللاتي يستحيل أن يوصف بضدها لأنه إن لم يوصف بأنه سميع بصير ، لوصف بأنه غير سميع بصير والله سبحانه وتعالى لم يزل سميعاً بنفسه عليماً بنفسه

---

(١) سورة الأنعام : آية ٣

(٢) سورة طه : آية ١١٠.

(٣) سورة الأنعام : آية ٢٧ .

قديراً بنفسه، لا بآلة ولا بجارحة سبحانه هو الحى [٣٢] العالم السميع البصير القادر الواحد القهار العزيز الجبار الغنى عما خلق ، وكذلك وصف نفسه . فان قال ما معنى العزيز ؟ قيل له الذى لا يرام ولا يقاوم في الحقيقة . فان قال ما معنى الغنى ؟ قيل له هو الغنى عن الأشياء فلا يجوز عليه منها نفع ولا ضر ، وقيل العزيز هو الغالب القاهر سبحانه وتعالى رب العرش العظيم .

(فصل)

فان قال ، أفتقولون إن الله رب ؟ قيل له نعم ومعنى الرب هو المالك ولا مالك إلا رب ، ولا رب إلا مالك ، وبذلك أطلقت اللغة والإجماع ، قال لبيد :

وأهلكن يوماً رب كندة وابنه　　ورب معد بين خبت وعرعر

أى مالكهم وسيدهم ، فالمالك للشيء هو ربه . فان قال أفتقولون لم يزل الله رباً ؟ قيل له نعم لأنه لم يزل قادراً ومالكاً لما يقدر عليه ، وهو الرب فى الحقيقة ، والعبد رب من يملكه على المجاز واتساع اللغة ، لأن من ملك شيئاً فهو رب له . والله سبحانه رب الأرباب على الحقيقة كما قال سبحانه وتعالى : (ربكم ورب آبائكم الأولين) (١) .

مسألة :

من كلام الشيخ أبى الحسن رحمه الله ، فان قال ما معنى قولكم الله والإله وإله ؟ قيل له إن معنى ذلك هو المستحق للعبادة والله هو الإله ، وقد قيل هو اسم خاص له ، ونسميه كما سمى نفسه أنه إله ، وأنه الله الذى لا إله إلا هو العزيز الحكيم . فان قال أتقولون إن الله عظيم ؟ قيل له نعم كذلك سمى نفسه . فان قال ما معنى قولكم عظيم ؟ قيل له معنى ذلك عظيم الشأن والمنزلة . فان قال ما معنى قولكم حكيم ؟ قيل له معنى ذلك من طريق الحكم العلم . فان قال أفتقولون لم يزل حكيماً ؟ قيل له نعم لم يزل

---

(١) سورة الشعراء : آية ٢٦ .

حكيماً عليماً لأن الحكيم عالم والعالم حكيم . فان قال أفتسمونه جواداً ؟ قيل له نعم كذلك قال سبحانه إنه جواد كريم فى الأزل سبحانه !

مسألة :

من كلامه رحمه الله ، وسئل [٣٣] فقال ، أفتقولون إن الله عادل ؟ قيل له نعم ولو لم نصفه بالعدل لكان موصوفاً بضده ، فلما نفينا عنه أن يكون جائراً وصفناه عادلا . فان قال ما معنى العدل ؟ قيل له هو فعل ما له أن يفعله فى الحكمة وإعطاء المستحق مايجب له ،لأن العدل ضد الجور وهو مع المستحق ما يجب له ، فلما نفينا عن الله سبحانه وتعالى الأضداد ، وصفناه عادلا . فان قال أفتقولون إن الله حق ؟ قيل له نعم ، وكذلك قال سبحانه وتعالى إن (الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شىء قدير)(١) ، ولو لم نصفه أنه الحق لوصفناه بضده والأضداد عن الله سبحانه وتعالى منفية . فان قال أفتقولون إنه صادق ؟ قيل له نعم هو صادق الوعد والوعيد كما قال : (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم)(٢) . وقال : (ومن أصدق من الله قيلا)(٣) . وقال سبحانه والله أصدق القائلين ، فنصفه بما وصف به نفسه لا نجاوز ذلك ولانعدوه إلى غيره ، وننفى عنه الأضداد والأشباه سبحانه وتعالى علواً كبيراً .

مسألة :

من كلام الشيخ أبى الحسن ، وسئل فقــال أتقولون إن الله هو المالك الجبار ؟ قيل له نعم . فان قال ما معنى ذلك؟ قيل له إن المعنى أن الملك الذى له الملك ، والجبار الذى لا يقاوم فى الحقيقة ، وقد قال الله تعالى الملك الجبار فهو كما قال . وقال (بيده ملكوت كل شىء)(٤) ، وقال: (مالك

---

(١) سورة الحج : آية ٦ .
(٢) سورة البقرة : آية ٤٠ .
(٣) سورة النساء : آية ١٢٢ .
(٤) سورة المؤمنون : آية ٨٨ .

الملك)(١) . فنصفه كما وصف نفسه ، وهو كذلك فى الحقيقة . فان قال ما معنى القدوس السلام المؤمن المهيمن ؟ قيل له القدوس هو الطاهر عن الأشياء فليس له مثل ولا شبه ولا نظير ، ومعنى السلام أن ذكره سلامة على من ذكره ، والمؤمن يؤمن منه الجور * وقد قال سبحانه إنه (السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون)(٢) ، ذوصف نفسه بهذالصفات [٣٤] ثم نزه نفسه عما يشركون به ، لأن التسبيح تنزيه عن الأشياء فنحن نصفه بما وصف به نفسه سبحانه . فان قال أفتصفونه بأنه خالق بارىء مصور؟ قيل له نعم هو كذلك ، وبذلك وصف نفسه فى كتابه فقال: (هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)(٣) . فان قال أفتقولون لم يزل خالقاً بارئاً مصوراً ؟ قيل له لا نطلق ذلك لأنه يوجب لذلك اللفظ قدم الخلق والخلق محدث والله خالقهم ومحدثهم وهو الخالق البارىء المصور لم يزل تعالى ربنا سبحانه .

مسألة :

وسئل فقال أفتصفونه بأنه الرازق والمحيي والمميت والباعث والناشر والمعاقب ؟ قيل له نعم كذلك نقول وكذلك وصف نفسه فى كتابه فقال إنه الخالق والرازق ، وقال سبحانه يحييكم ويميتكم ثم يبعثكم فهو كما وصف نفسه سبحانه . فان قال أفتقولون إنه لم يزل خالقاً رازقاً ، محييا مميتاً مثيباً معاقباً * قيل له لا نطلق بذلك لأن ذلك يوجب قدم الخلق ، والرزق والموت والحياة والمجازاة له ،والله تعالى لم يزل ثم أحدث هذه الأشياء التى وصف فى كتابه أنه خلقها ،وهو لم يزل ،وهو الخالق الرازق المحيي المميت الباعث ،لا رازق ولا باعث ولا محيي ولا مميت إلا هو سبحانه .وكل ما وصفه

---

(١) سورة آل عمران : آية ٢٦ .

(٢) سورة الحشر : آية ٢٣ .

(٣) سورة الحشر : آية ٢٤ .

بأنه خلقه وفعله وأحدثه، فجائز أن يوصف بذلك بأنه أحدثه . ولا يقال لم يزل يخلق ويحدث ويغفر ، وجائز أن يوصف بأنه الغافر الخالق المنشئ النشأة الأخرى وأنه لم يزل ثم أحدث الأشياء تعالى ربنا سبحانه !

(مسألة) عن الشيخ رحمه الله وسأل فقال أتقولون إن الله متفضل على خلقه ؟ قيل له نعم كذلك نقول وقد قال الله سبحانه : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو خير مما يجمعون)(١) . وقال :(ولولا فضل الله [٢٥] عليكم ورحمته)(٢). الآية. فان قال ما معنى التفضل؟ قيل هو من أعطى بغير استحقاق فهو متفضل ؛ وإذا كان له أن يفعل وله أن لا يفعل ثم فعل فهو متفضل وهو ما وعده لخلقه تفضلا منه ؛ فان قال فمن أين قلت أنه متفضل وقد استحقه العامل بعمله ولو كان تفضلا لكان من دفع إلى أجير أجرته متفضلا ؟ قيل له الفرق بينهما من قبل أن الأجير قد نفع المستأجر بعمله كما يفعله المستأجر بأجرته، أما العبد فلم يعمل لله شيئاً ينفعه به ، وإنما يقع بما عمل وكان ما أعطاه على عمله تفضيلا منه عليه إذ كان سبحانه غنياً عن جميع عباده وعن عملهم ، إذ لا تجوز عليه منهم ضرر ولا نفع تبارك وتعالى وهو الحكيم العليم .

(مسألة) فان قال، ما تقول في صفات الله سبحانه وتعالى قديمة أو محدثة؟ وإن زعم قوم أنها محدثة مخلوقة ما الجواب لقائله ؟

الجواب بأن يقال لمن زعم أنها محدثة مخلوقة، أخبرنا عن الصفة ما هي؟ فان قال هي الكلام التي يتكلم به الناس من قولهم الله والسميع والبصير وجميع الأشياء التي يوصفون بها ؟ قيل لهم إن كلام الناس وصفاتهم لم يختلف فيه أحد أنه محدث مخلوق وصفة الواصف هي كلام الواصف ، من وصف شيئا فكلامه فعله ، فان كان معنى الصفة هي الكلام فان كلام العبد فعل العبد ، والعباد يذكرون الله في جميع أحوالهم ، ولا يجوز لأحد أن يقول الله

---

(١) سورة يونس : آية ٥٨ .

(٢) سورة النساء : آية ٨٣ .

لم يزل ولا عالم ولا سميع ولا بصير لأن الصفات فى قولك فعل العباد. وفعلهم محدث والفاعل أقدم من فعله. فعلى قولك قد كان الخلق ولا صفة لله إذا كانت صفته هى أفاعيلهم فى قولك وهذا ما لا يحمله العقل ، ويقال ما دليلك على ما ادعيت أن عنده اسماً غيره مما يسمع من قول القائل الله الرحمن الرحيم السميع العليم ، فانه لا يجد دليلا حتى يرجع فيقول لم يزل الله وهو السميع العليم الرحمن الرحيم وجميع صفاته ، فاذا قال ذلك ؟ قيل له ففى قولك خطأ أن صفاته غيره لأنك زعمت أن الله لم يزل والله العليم الرحيم وجميع صفاته [٣٦] وزعمت أنها غيره، ولم زعمت أن الله لم يزل وهو السميع العليم الرحمن الرحيم فجعلت معه غيره ، وقد أجمع أهل الصلاة أن الله واحد لم يزل وما سواه محدث مخلوق فافهموا ما وصفنا وبالله التوفيق . ومن جعل علم الله محدثاً أثبت أنه لم يكن يعلم ثم علم، تعالى الله عن هذه الصفات علواً كبيراً ! بل هو العالم الذى لم يزل عالماً بما يكون وقادراً حياً قيوماً سميعاً بصيراً كما وصف فى كتابه لا نصفه إلا كما وصف نفسه فى كتابه من أسمائه أنه : (الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض) (١) . فاخبر به الله الحى القيوم وأثبت له الحياة ونفى أن يكون معه إلـه غيره بقوله لا إلـه إلا هو لا تأخذه سنة ولا نوم نفى عن نفسه ما يجرى على الخلق والسنة والنوم، له ما فى السموات وما فى الأرض يعنى ذلك كله له وبيده كما قال بيده ملكوت كل شىء ، وقال وهو الله الذى لا إلـه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا إلـه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون ، نزه نفسه عن صفات المخلوقين ، فى هذه الأشياء كلها . وقال هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، وقال: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٥ (آية الكرسى) .

تدعوا فله الأسماء الحسنى) (١) . وقال : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)(٢). فهذه أسماؤه التي وصف في القرآن أن يدعى بها ، وأمر أن يدعى بها ووصفها وبينها في كتابه ، وقال ، له الأسماء الحسنى فهي له ، كما قال إن له الأسماء الحسنى ، ونزه نفسه عن شبه المخلوقين لأن التسبيح تنزيه عن الأشباه ، وإن له ما في السموات وما في الأرض ، من يسبح له ، أي ينزهه عن الأشباه . وإن كل ما في السموات وما في الأرض دالة عليه أنه الخالق وما سواه مخلوق ، وأسماؤه [٣٧] التي أمر أن يدعى بها لم تزل له ، ومن دعى بأسمائه الحسنى كما أمر أن يدعى بها فدعى الداعي وكلامه وصفة الله بما وصف نفسه ، كلام الواصف الموصوف بأسمائه كما أمر ، لم تزل أسماؤه كما وصف في كتابه تعالى ربنا وجل وتقدس عن شبه المخلوقين .

(مسألة) من كلام الشيخ أبي الحسن رحمه الله ، وسأل فقال أتثبتون الله شيئاً ؟ قيل له نعم نثبته شيئاً ليس كمثله شيء ، كما قال في كتابه : (ليس كمثله شيء)(٣) ، وقال عز من قائل : (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم)(٤) فهو كذلك ، وكل من سماه شيئاً فقد أثبت شيئاً إذ لا موجود إلا شيء ولا معلوم إلا شيء ولا حي عالم قادر إلا شيء ، فلما كان الله تعالى حياً قادراً عالماً سميعاً بصيراً كان شيئاً ليس كمثله شيء من الأشياء مما خلق جل وعلا .

(مسألة) وسأل فقال ما معنى : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) (٥) ؟ قيل له أحد لا ثاني معه فهو واحد أحد ، والصمد السيد ، لم يلد ولم يولد نفى عن نفسه الولد لأن الولد يشبه الوالد

---

(١) سورة الإسراء : آية ١١٠ .
(٢) سورة الأعراف : آية : ١٨٠ .
(٣) سورة الشورى : آية ١١ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١٩ .
(٥) سورة الإخلاص

فنفى عن نفسه الشبه ، ولم يولد لأن المولود محدث فنفى الأشباه عنه والحدث في جميع صفاته لأن المحدث مقهور . ولم يكن له كفواً أحد ، لأن الأكفاء متضادون بعضهم يكافئ بعضاً ،فنفى عنه الأكفاء والأضداد ، ولأن المكافئ لكفوه ذليل أوله قاهر فنفى عنه الأشباه والأكفاء والأمثال والأضداد سبحانه !

(مسألة) وسأل فقال ، أخبروني عن الله ما هو ؟ فقيل له إن أردت ما هو أن تسميه وتصفه فهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد العالم القادر الحي السميع البصير الرحمن الرحيم الرءوف الكريم اللطيف الخبير الجبار المتكبر الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، وإن أردت بقولك الدلالة عليه فالسموات والأرض وما بينهما من آثار صنعه وتدبيره دالة عليه . [٣٨] وقد قال سبحانه وتعالى : (أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض)(١) ، وما خلق الله من شيء ، وقال : (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) (٢) ، وأشباه هذا في القرآن كثير دالة على أن الله خالق ورازق وصانع ومدبر وأنه ليس له مثيل ولا شبيه ولا نظير مما خلق ، وإن أردت ما هو من أي الأجناس فالله تعالى ليس بذي جنس مؤلف ولا صورة لأنه قال إنه الخالق المصور لكل شيء ليس كمثله شيء ، وله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وتحت الثرى : .

(فصل)

فيما لا يجوز أن يوصف الله به من كتاب مفتاح الشريعة

ويكره أن يقال بسم الله واسم رسول الله كالشريك له ،ولكن يقال اسم الله ثم اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يوصف بالسكون ولا بالنزول ، ولا يجوز أن يقال يا خير الأصحاب إلا أن يعني حافظاً ومدبراً ، فان كان على

---

(١) سورة الروم : آية : ٨

(٢) سورة يس : آية ٧٧ .

هذا المعنى جاز ، ولا يجوز أن يقال يا حيّان لأنه مشتق من الحنين ، ومن علم من أحد إلحاداً فى الله أو فى أسمائه أو فى كتابه أو فى ما لا يجوز أن يقال به وهو يقدر على إنكاره ولا يتقى منه تقية فعليه أن يعلمه وينهاه وينكر عليه بلسانه ، وإن اتقى منه تقية أنكر عليه بقلبه فلا يسعه التغافل عنه، وأشد الأشياء الإلحاد فى التوحيد . ولا يقال عزم الله لى بالخيرة فانه لا يجوز . ولا يقال له شفيق ، ولا يشبه ببشر ، ولا ينفد بفكر ولا يقاس بأحد ، ولا يناهى بعدد ، ولا بغاية وأمد ، ولا يجوز صفة الوجه ولا الكتف ، ولا الأين ، ولا العين ، ولا اليدين ، ولا الكف ، ولا اليمين ، ولا يقال حواه مكان ، ولا خلا منه مكان ، ولا فارقه مكان ، ولا لاصقه مكان ، كان سبحانه قبل كان ، واستغنى سبحانه عن المكان .

ولا يوصف بفوق ولا أسفل، ولا صعد ولا نزل ، ولا قعد ولا قام ، ولا استيقظ ولا نام ، ولا سهى ولا غفل ولا لهى ولا ذهل ولا شك ولا جهل ، ولا هوى ولا عشق ، ولا حن ولا شفق ، [٣٩] ولا أسف ولا ندم ، ولا وجد بعد عدم ، ولا شعر بعد جهل . ولا يسمى بعقل ، ولا يقال فقيه ، ولا خطيب ولا فصيح ولا أديب ، ولا بديع ولا أريب ، ولا شجاع ولا سخى ، ولا كامل ولا ذكى ولا فاضل ، ولا زكى ، ولا حسن ولا جميل ولا فطن ولا نبيل ، ولا صديق ولا خليل، ولا شريف ولا رفيع ، ولا فهم ولا ظريف ، ولا صالح ولا نظيف(١) ، ولا ساكت ولا ناطق ، ولا متحمل ولا صبور ، ولا متين ولا وقور ، ولا تارك ولا حاذق ، ولا محب ولا وامق(٢) ، ولا ساكت ولا ناطق ، ولا ضاحك ولا مغتاظ ولا يوصف سبحانه بالسهوة ولا الكسل ولا الخلوة ولا الفراغ ،

---

(١) كتبت فى المخطوطة « نضيف » .

(٢) توامق الرجلان : تحابا ، الوميق والموموق : المحبوب ، وامقه وماقا وموامقة : أحب كلاهما الآخر .

ولا يقال إن الله أربا إذ خلق الربا ،ولا زنا إذ خلق الزنا ، ولا يقال عاقل لأن العقل مأخوذ من عقال البعير ، ولا يقال سخى لأن السخا مأخوذ من اللين ، ويقال أرض سخاوية وقرطاس سخاوى أى لين .

(فصل)

قال المسلمون من شبه الله فهو كافر منافق وليس بمشرك . ووجدت فى الأثر عن محمد بن محبوب رحمه الله أنه قال إذا قالوا إن لله يداً كيد المخلوقين فقد أشركوا والله أعلم . ولا ينبغى لأحد أن يقول لم فعل ربنا ذلك لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ولا يوصف سبحانه وتعالى بالفرح ولا السرور ، ولا يقال أفسد إذ خلق الفساد ، ولا يجوز أن يقال لم يزل بارئاً ومصوراً ورازقاً وخالقاً ، وماكان من صفات الأفعال لأن ذلك يوصف قدم الفعل فى الأزل والله سبحانه وتعالى أعادها بمشيئته ،ولا يجوز فى أسمائه سبحانه وتعالى وصفاته إلا ماكان فى القرآن أوضح أن النبى صلى الله عليه وسلم أجازه ، ولا يجوز فيه الأين ولا كيف .

كما قال أحمد بن النظر رحمه الله :

لا كيف لله تعالى ولا حتام	فى الغـــاية والنقـــل
وأين تحديد تنـــاه وما	لله من بعـــد ولا قبـــل

ولا يجوز أن يقال ما أبصر الله بعباده ، وما أعلم الله ، وما أقدر الله . أو ما أحكمه ، أو ما ألطفه ، أو ما أكرمه ،أو ما أحلمه ، أو ما أقدره . أو ما أبصره ! كل هذا لا يجوز لأن هذا من التعجب ، والتعجب منفى عن الله سبحانه جل وعلا عن صفات الملحدين ، ووجدت فى بعض الكتب أنه لا يجوز التعجب فى الأفعال ، ولا يجوز فى صفات الذات ، ولا يجوز أن يقال ما أحسن صنع الله وتدبيره ، ولا يجوز أن يقال ما أحسن علمه وقدرته وعزته لأن هذه صفات الذات ولأنها فى الأفعال مدح ، وفى صفات الذات تصغير والله أعلم بالصواب . ويقال ما أعظم حق الله على خلقه .

وأعظم حق أوليائه عليه : فأما حق أوليائه عليه ففى نمى (١) منها لأن الله سبحانه ليس عليه حق لأحد بل حقه على عباده ، ويكره ان يقال أعوذ بالله وبك ولكن يقال أعوذ بالله ثم بك . ويكره أن يقال لولا الله وفلان ، ولكن يجوز أن يقال لولا الله ثم فلان ، جوازه عن الشيخ أبى محمد رحمه الله ولا يجوز عليه الطمأنينة إلى الشىء ، ولايقال هذا هين عليه وهذا شديد عليه .

(١) كتبت فى المخطوطة « نفسى » .

الباب الثامن

فى معرفة أسماء الذات وأسماء الصفات

إن لله سبحانه أسماء ذات وأسماء صفات ، فمن أسماء الذات الرحمن الرحيم الحى القيوم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الواحد الصمد القاهر القادر الحكيم العليم الغنى الكريم اللطيف الخبير الرءوف القديم الدائم الرب ، فهذه الأسماء وما كان مثلها من أسماء الذات . وأسماء الصفات خالق وبارئ ومصور ورازق ومحيي ومميت وباعث وناشر ومجازى وما كان مثلها . والإيمان بجملتها إيمان بتفسيرها ، والإيمان بتفسيرها إيمان بجملتها ، ولا تنازع بين أهل النظر أن صفات الذات ما لم يزل الموصوف بها وتأويلها ، وصفات الفعل ووجوبها والفعل معاً .

(مسألة) وإذا اشتبهت عليك الصفات فعلية هى أم ذاتية ؟ فادخل الألف واللام فانك تصيب الصفة وتعرفها إن شاء الله ، وذلك أن يقال لم يزل الإله ولم يزل الرب وهو العالم والخالق والرزاق وغيره من [٤١] الأسماء فاذا دخلت الألف واللام فى هذه الأسماء والصفات الفعلية تصب إن شاء الله .

(مسألة) وأسماء الله من صفات الله عز وجل من ذاته فالصفات الذاتية قديمة ، ولا يجوز أن يقال هى غيره ولا هى هو ولا هو غيرها ولا يتبعض منها ولا تتبعض منه ولم يزل موصوفاً بها . وأما الصفات الفعلية فهى غيره وهى محدثة ، ولا يجوز أن يقال لم يزل موصوفاً بها . والاسم عبارة عن صفة الله عز وجل وهى من المتكلم به محدث . وكذلك صفة الواصف هى محدثة لأن اللفظ هو محدث وهو غير الله ، والموصوف قديم لم يزل ، والمعنى بالصفة هو الموصوف ولم يزل وهو الله وصفاته على ما ذكرنا من الذاتية والفعلية ، والاسم والصفة إنما هما عبارة عن ذكر المسمى والموصوف وهو المقصود والمراد وهو الله سبحانه الذى لم يزل موصوفاً بصفات ذاته تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً !!

(مسألة) فان سأل فقال هل لله ذات يعرفها ؟ قيل له نعم * ذاته هو وقدرته ومشيئته وغير ذلك مما لا يعرفه إلا هو : ويقال له ذات غير محدودة ولا موصوفة كما قال تعالى: (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك)(١) ولا تحد النفس ولا يوصف الله تبارك وتعالى :

(مسألة) فان قال هل يقدر الله أن يخلق مثله ؟ قيل له لا مثيل لله سبحانه وهذا سؤال فاسد مستحيل إذ لا يشبه الخالق بالمخلوق والله تعالى لم يزل ثم أحدث الأشياء سبحانه وهو الخالق لا مثيل له تعالى : فان قال هل يقدر أن يخلق من لم يزل ؟ قيل له إن الله على كل شىء قدير ، وهذا سؤال محال لأن الله تعالى لم يزل ، والذى يكون مخلوقاً محدث فلا يشبه المحدث بمن لم يزل ولا المخلوق بالخالق وهذا سؤال فاسد مستحيل سبحان الله وعلا عما يقولون علواً كبيراً !!

(سؤال) فان قال قائل أخبرونى عن الله ما هو ؟ قيل له أردت بقولك أى الأجناس؟ فالله عز وجل ليس بذى جنس لأنه خالق الأجناس ، وإن أردت ما هو أى [٤٢] شىء تسميه تصفه ، فهو الله العالم القادر الحى الذى لا يموت ليس كمثله شىء : وإن أردت بقولك الدلالة ، فالسموات والأرض وما بينهما دالة عليه ، فان قال أخبرونى عنه كيف هو ؟ قيل له لا كيف له لأن قولك كيف هو أى كأى شئ هو ؟ ومثل أى شىء هو ؟ فالله سبحانه ليس كمثله شىء : فان قال فاخبرونى عنه أين هو ؟ قيل له قولك أين هو ؟ سؤال عن المكان فالله سبحانه وتعالى كان ولا مكان ، ولا إنس ولا جان ولا جماد ولا حيوان ، فهو خالق المكان ومستغن عنه ، لا يوصف بالحاجة إلى المكان : وإن أردت بقولك أين هو؟ مدبر وحافظ ، فهو بكل مكان مدبر وحافظ سبحانه وتعالى ! فان قال فاخبرونى عن الله ما الدليل على أنه قادر ؟ قيل له إن الفعل لا يكون إلا من قادر ، فلما كان الله فاعلا علمنا أنه قادر : فان قال ما الدليل

---

(١) سورة المائدة : آية ١١٦ .

على أنه عالم ؟ قيل له لأن الأفعال المحكمة لا تكون إلا من عالم ، فان قال ما الدليل على أنه حى ؟ قيل له إن العليم القادر لا يكون إلا حياً ، فلما كان الله قادراً علمنا أنه حى . فان قال ما الدليل على أنه سميع بصير ؟ قيل له لأن من ليس سميعا ولا بصيرا يخفى عليه المسموعات والمبصرات لا يسمعها ولا يبصرها ، فلما لم يجز عليه ذلك علمنا أنه سميع بصير .

كما قال أحمد بن النظر :

لم يزل الله سميعاً بـلا ... آلة سمع جل ذو الفضل
رباً لما شاء مريداً لمـا ... شاء بلا عجـز ولا ختل
وعالماً مقتـدراً قاهـراً ... يعلم وزن الذر والنمل

فان قال قائل ما الدليل على أنه ليس بجسم ؟ قيل له لو كان جسما لكان موصوفاً بالطول والعرض والعمق والحدود والأقطار التى تحتمل الزيادة والنقصان ، ومن وصف بذلك فهو محدث محدود ، فلما لم يجز أن يكون القديم محدثاً علمنا أنه ليس بجسم . وأيضاً فان الجسم لا يقدر أن يفعل أفعالا كثيرة فى حال واحد فى مواضع متفرقة [٤٣] فلما كان الله يفعل أفعالا كثيرة فى مواضع متفرقة فى حال واحد علمنا أنه ليس بجسم ، وأيضاً فان الجسم متجزئ متبعض متغاير ، فلما لم يجز ذلك على الله علمنا أنه ليس بجسم ، وأيضاً فلو كان الجسم يفعل الأجسام لكنا نحن نقدر أن نفعل الأجسام بقدرتنا وقدرة قوتنا فلما لم نقدر أن نفعل شيئاً من الأجسام علمنا أن فاعل الأجسام ليس بجسم ، وأيضاً لو كان جسم قديم لثبت قدم كل الأجسام ، فلما ثبت أن الأجسام كلها محدثة علمنا أن فاعل الأجسام كلها ليس بجسم ، وأيضاً فان الجسم محتاج إلى قرار ومكان يكون فيه أو يمسكه مقيم يقيمه . فلما لم يكن الله سبحانه محتاج إلى قرار ولا مكان وهو غنى عن المكان والقرار

والممسك له علمنا أنه ليس بجسم. وأيضاً فلو جاز أن يقال إنه جسم لجاز أنه شخص وجثة وجسد ، فلما لم يجز أن يقال إنه شخص وجثة وجسد لم يجز أن يقال إنه جسم. وأيضاً فان الجسم موصوف بالتأليف والتركيب والتصوير ، فلما لم يجز أن يوصف الله بالتركيب والتصوير علمنا أنه ليس بجسم سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وهو بكل شيء عليم .

الباب التاسع

في أسماء الله تعالى واشتقاقها من كتاب مفتاح الشريعة

عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال إن الله ذو الألوهية ، وهو الذى تأله إليه القلوب ومعانيها الخلق إليه أجمعون ، أى يعبدونه ، وقرئ . ويذرك وآلهتك ، يريد وعبادتك . وقيل كان فرعون يُعبد ولا يَعبد . وكذلك روى عن عيسى بن عمر أنه قال الله إلـه الآلهة ، ومن هذا تقول العرب فلان تألـه لفلان إذا تعبد له ، وفى ذلك يقول بن دريد(١) :

[٤٤] لله در الغانيـــات المـدة تسجن واسترجعن من تأله

المدة نعت المدح فى نعت الجمال والهيئة وفى كل شيء عـــام ، وقوله تأله أى تعبد ، فعلى هذا القول ، أله الله الخلق أى تعبدهم . وذهب قوم إلى أن الله الإله واشتقاق اسمه من الولهان . وهذا خطأ من قائله . والإلـه عندنا هو الذى تجب له العبادة وتحق له وهو الله الذى لا إلـه إلا هو سبحانه وتعالى عما يصفون. واختلف فى تسمية الله عز وجل الله والإلـه . فقال قوم مأخوذ من النور ، وقال قوم مأخوذ من الولهان لأن القلوب تأله إليه عند الفزع والكرب والخوف، فيجوز أن تسميه المألوه إليه كما قالوا للمؤتم إماماً . وقال قوم الإلـه هو الذى تحق له العبادة ، وقال قوم هو اسم سمى به نفسه على سبيل الاختصاص كما قال عز وجل : (هل تعلم له سمياً)(٢) ، وبهـــذا لا يجوز أن يقال إله الآلهة لأن الله هو الذى تحق له العبادة ولا تحق العبادة إلا لله سبحانه وتعالى فلذلك لم تجز ،وقيل إن ابن عباس كان يقرأ :

---

(١) ابن دريد : هو محمد بن الحسن أبو بكر بن دريد الأزدى اللغوى . ولد فى البصرة سنة ٢٢٣ هـ ثم سار إلى عمان فأقام بها إلى أن مات فى سنة ٣٢١ هـ . تصدر فى العلم ستين عاماً وكان يقال عنه إنه أشعر العلماء وأعلم الشعراء (انظر : السيوطى : بغية الوعاة ص ٣٠-٣٣) .

(٢) سورة مريم : آية ٦٥ .

وهو الذى فى السماء الله وهو فى(١) الأرض الله يقول هل تعلم له سمياً ، ولهذا لا يجوز . وقيل معناه الله الذى تأله إليه القلوب فى حوائجها وهذا هو أصل الأسماء ، ومنه خرج جميع الأسماء . وقيل إن اسم الله الأعظم هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، وقيل فى قوله عز وجل : (هل تعلم له سمياً)(٢) ، أى هل تعرف له فى السهل والجبل والبر والبحر والمشرق والمغرب أحداً اسمه الله غير الله عز وجل . وقيل إن اسم الله الأعظم يا ذا الجلال والإكرام ، وقيل اسم الله الأعظم يا حى يا قيوم . قال أبى بن كعب : جميع الأسماء معنى ربوبيته الله عز وجل وإسمه الذى هو اسمه الله . وقال جابر بن زيد رحمة الله : اسم الله الأعظم هو الله الذ ترى أنه يبتدئ به تفسير الرحمن الرحيم [٤٥] قال بعض المفسرين معنى الرحمن بجميع خلقه ، والرحيم بالمؤمنين . عن ابن عباس أن الرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة ، ومعناه أن نعمه وفواضله تعم الخلق فى الدنيا من مؤمن وكافر ، وفى الآخرة يخص بنعمه وفواضله وعطائه المؤمنين . وقيل الرحمن العاطف بالبر والفاجر ، والرحيم بالمؤمنين ، وقيل إن معناهما أنهما اسمان للجود والرحمة ، ويقال اسمان لطيفان من أسمائه عز وجل ، ويقال اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر .

وقال الحسن(٣) : الرحيم اسم ممنوع معناه ممنوع من التسمية به ، عن عطاء الخراسانى قول جيد ، وذلك أنه قال كان اسم الله الرحمن فأضيف إليه الرحيم ليكون له دون كل واحد ، ومعناه أن الرحمن اسم الله عز وجل ، فلما تسمى به مسيلمة الكذاب أضيف إليه الرحيم ليكون الرحمن الرحيم يجتمعان له عز وجل لا لغيره ، ووجه آخر ، تكريرهما أن الرحمن أشد مبالغة فى معنى من وجهين ، أحدهما أن فعلان من

---

(١) كتب فى المخطوطة « هو الأرض » وهو سهو من الناسخ صوابه « » .

(٢) سورة مريم : آية ٦٥ .

(٣) هو الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى ويكنى بأبى سعيد . من سادات التابعين . ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ ، وتوفى بالبصرة مستهل رجب سنة ١١٠ هـ (ابن خلكان : وفيات الأعيان) .

أبنية المبالغة كقولك غضبان للممتلىء غضباً وسكران للمنزوف سكراً ، وكذلك ما أشبهه . ووجه آخر أن أسماء الفاعلين إذا جرت على أفعالهم لم يكن فيها معنى المبالغة فضم التكرير للمبالغة . ولا يجوز للمخلوق أن يسمى بالرحمن وقد كانت العرب تقول الرحمن ألا ترى قوله عز وجل: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن)(١) . قال الشاعر :

عجلتم علينا إذ عجلنا عليكم　　　وما يشاء الرحمن لابد واقع

وقال آخر :

ألا ضربت تلك الفتاة جنينها　　　ألا قصب الرحمن ربى يمينها

وقد قيل قدم الرحمن على الرحيم لأن الرحمن اسم خاص ، والرحيم اسم مشترك ، يقال رجل رحيم ، ولا يقال رحمن ، فقدم الخاص على العام . وقال أبو عبيدة: «الرحمن مجازة ذو الرحمة» ، والرحيم مجازة الراحم [٤٦] وهو بمنزلة ندمان ونديم ، وقد يجىء اللفظان مختلفين والمعنى واحد. وقال الشاعر :

فان كنت ندمانى فالأكبر اسقنى　　　ولا تسقنى بالأصغر المتثلم

وقال آخر :

زرينا أبا حرب ولا حى مثله　　　فكان أبو حرب أخى ونديمى

وقد أنكر العلماء على أبى عبيدة قوله مجازة ذو الرحمة ومعناه أن الرحمة لازمة له لا تفارقه ولا تغيره ، ولا إذا قال الرحيم فمجازة الراحم. واسم الفاعل من رحم ، وقد يكون ماضياً وحالا ومستقبلا. فهذا القول منه يوجب الفرق بينهما ، ثم قال يعدهما بمنزلة ندمان ونديم فجعلهما بمعنى واحد بعدما جعلهما لمعنيين وهذا لعمرى يوجب الرد على قائله . وعن ابن عباس أنه قال : الرحمن الرحيم القريب، فمن أحب البعيد ممن عانده ! والأمة مجمعة أن الرحمن الرحيم من القرآن آية لا اختلاف بينهم فى ذلك ، وموضعها من الإعراب الجر لأنهما صفتان لله تعالى والصفة تتبع الموصوف، وصفات الله تعالى تجوز أن تتبع الأسماء فى إعرابها ، ويجوز أن تنصبهما لإضمار أعنى ، وترفعهما باضمار هو . ويجوز أن يقال الرحمن الرحيم يتبع إعراب الاسم الذى قبله ،

---

(١) سورة الإسراء : آية ١١٠ .

وهى القراءة فى العربية ورفعهما ونصبهما على ما تقدم الرفع باضمار هو، والنصب باضمار أعنى ، على المدح وهو جائز ولا يقرأ به لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ، وأما جوازه فيجوز على ما جاء فى العربية ه
قال الشاعر :

وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم إلا نميراً أطاعوا أمر غاويها
الطاعنون ولما يطعنوا أحدا والقائلون لمن دار نخليها

ينشد الطاعنون والقائلون رفعاً ونصباً ، ويجوز أن ينصب أحدهما ويرفع الآخر على ما أدركناه فى المدح . [٤٧]
قال الشاعر :

سقونى الخمر ثم كتفونى عداة الله من كذب وزور

فنصبه على الذم ومثله كثير ، وعن ثعلب أنه قال كان رحماناً بالعبرانية معرب ثم أضيف الرحيم وهو اسم عربى فاجتمع مع الإسم الذى عبرانياً اسم عربى .

وأنشد ابن جرير(١) :

لن تدركوا المجد أو تشروا عيالكم بالحوض أو تجعلوا الينبوب ضمرانا
ومسحكم وجوهكم رحمن قربانا

فأتى به على أصله ... ويروى ...

أو يتركون إلى القسير هجرتكم ومسحكم صلبكم رحمان قربانا

والينبوب : شجر الخشخاش(٢) الواحدة ينبوبة ، وضمران دود الشجر والضمران نوع من الريحان ، وهذا الشعر لجرير تعريض بالأخطل فى مهاجاته لأن الأخطل كان نصرانياً ، والذى ذكره جرير من فعل النصارى، ينقسم تفسير الرب على معان كثيرة ، الرب المالك كقولك رب الدار ، والرب السيد كقوله تعالى (فيسقى ربه خمراً)(٣) معناه سيده ، والرب المصلح . كما قال الفرزدق :

---

(١) الشاعر جرير وليس حرير أو ابن جرير .
(٢) شجر الخشخاش وليس الشخاش .
(٣) سورة يوسف : آية ٤١

كانوا كسائلة حمقا إذ حنقت　　　بلاها فى أديم غير مربوب

(أى غير مصلح) .

قال طرفة :

كقنطرة الرومى أقسم ربهـــا　　　لتكتفن حتى تشاد تقـــرمد

(ربها مالكها ، والقرمد الآجر ، واحدتهاقرمدة . وهى أعجمية فعربت).

والعرب تسمى السيد رباً .

قال الحارث بن حلزة(١) :

وهو الرب والشهيد على　　　يوم الحبارين والبلاء بلاء

وقال علقمة بن عبد الطيب فى معنى الرب أنه المالك ، يمدح النعمان بن المنذر قال :

وأنت امرؤ أفضت إليك أمانتى　　　وقبلك ربيى فضعت ربوب

(أى ملكنى قبلك ملوك فضعت حتى صرت إليك) . وفى الرب لغتان : رب بتشديد الباء ، ورب بتخفيفها ، وقال الفراء(٢) بالتخفيف : ٤٨

وقد علم الأقوام أن ليس فـوقه　　　رب غير من يعطى الحظوظ يرزق

وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى و (اذكرنى عند ربك)(٣) أى سيدك من بنى آدم أى مولاك .

وأنشد النابغة الذبيانى(٤) :

فان يك رب ادواد بجسمى　　　أصابوا من لقائك ما أصابوا

---

(١) هو الحارث بن حلزة اليشكرى وليس ابن جلزة .

(٢) الفراء : هو يحيى بن عبدا لله بن مروان الديلمى . قيل له الفراء لأنه كان يفرى الكلام . كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى . كان أكثر مقامه فى بغداد ، فاذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام بها أربعين يوماً يفرق فى أهله ما جمعه . له مؤلفات كثيرة . مات بطريق مكة سنة ٢٠٧ هـ (بغية الوعاة ص ٤١١) .

(٣) سورة يوسف : آية ٤٢

وكتب فى المخطوطة واو زائدة « واذكرنى » ، والواو ليست فى الآية .

(٤) النابغة الذبيانى و ليس الذيبانى .

ولا يقال للمخلوق هذا الرب معرباً بالألف واللام، كما يقال لله عز وجل، ولكن يقال الإضافة، رب الدار ورب البيت لأنه يملك غير ذلك الشيء، وإذا قيل الرب معرفاً بالألف واللام دل ذلك على العموم واستغنوا عن الإضافة لأنه عز وجل رب كل شيء ومالكه ولا يضاف إلى مختص به، وأما المخلوق فيضاف إلى شيء خاص لأنه لا يملك غيره فيقال رب الدار ورب المال أي سيدهم ومالكهم كما قال لبيد بن ربيعة :

وأهلكن يوماً رب كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعر

(أي ريسهم وسيدهم) . قال الأعشى :

يزور المريد وعبد المسيح وقيساً هم خير أربابها

(أي خير ساداتها ورؤوسها) . ورب كل شيء مالكه وصاحبه .

قال أبو ذؤيب :

فدنا له رب الكلاب بكفه بيض رهاف ريسهن مفزع

والإنسان لا يكون رباً على الحقيقة على ما يملكه، كما روى فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أرب قيل أنت أم رب غنم، فقال: من كل قد أتاني الله فأكثر» . يعني مالكها .

مسألة :

وجائز أن يقال الله رب الأرباب، لأن الرب هو المالك، وفى الأخبار أن بعض قريش، ويقال صفوان بن أمية الجمحى، قال يوم حنين : لئن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن، يعني يملكني .

مسألة :

ويقال فى الدعاء يارب بإسقاط الألف واللام، وقد يقال فى النداء رب قال الله عز وجل : (رب أرني أنظر إليك)(١) و (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس)(٢) .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٣ .

(٢) سورة ابراهيم : آية ٣٦ .

وقد جاء فى القرآن أيضاً بالياء كما قال سبحانه : (يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) (١) يعنى الإضافة أى الخبر عن نفسه ، وأنشد يارب إن أخطأت أو نسيت . قال أبوعبيدة : وبنو تميم يقولون يارب . وقيل هذا اسم خاص لم يسم به غيره فلزمه الألف واللام ، لأن الألف واللام إنما أسقطت من الاسم الذى يكون فى حال المخصوص كقولك رب الدار وفى حال العموم ، كما جاء فى صفة الله فقيل الرب هو رب كل شىء . وجائز أن يقال لم يزل رباً للأشياء ، أى لم يزل الله رباً للأشياء وسيداً وإلهاً . وجائز أن يقال : لم يزل مالكاً للأشياء كما أنه لم يزل قادراً عليها ، والمراد إثبات الملك والقدرة على الأشياء سبحانه وتعالى وهو على كل شىء قدير ، الواحد الأحد الواحد فى الحقيقة ، هو الذى لا ينقسم فى وجود وهو المنفرد الذى لا ثانى له ، والواحد أيضاً الذى لا ثانى له ، وكذلك لا يشبهه شىء فيكون ثانياً . وقيل إنما قيل له واحد لأنه لم يزل عز وجل قبل الخلائق متوحداً بالأزل لا ثانى معه ، ثم خلق الخلق وكان ثانياً محتاجاً بعضهم إلى بعض .

وتوحد هو سبحانه بالغنى عن جميع خلقه لأنه سبحانه كان قبل كل شىء فتوحد سبحانه بالوحدانية ، هو الأول السابق بالوحدانية ، والخلق ثانياً بالابتداع ، والواحد اسم يدل على نظام واحد ليس قبله شىء من العدد وهو خارج من العدد لا يزيد فيه شىء ولا ينقص منه شىء ، يقول واحد أحد فلا يزيد على الواحد شىء . ويقول نصف الواحد لم يتعين الوصف عن الواحد . والله سبحانه محدث الشىء وإذا دل أنه محدث الشىء دل أنه معنى الشىء ، وإذا دل على أنه معنى الشىء ، دل أنه لا شىء قبله ولا شىء بعده فهو المتوحد بالأزل فلذلك قيل واحد .

وفى الواحد عن العرب لغات كثيرة [٥٠] يقال واحد وأحد ووحيد ووحاد وموحد وآحاد . فأما الواحد والأحد صفتان معروفتان قد نطق بهما القرآن فى صفات الله عز وجل . قال الراعى واسمه حصين بن عمر :

• يهدى الأدلاء فيها كوكب وحد •

---

(١) سورة الفرقان : آية ٣٠ .

(يعنى بالكوكب ها هنا الجدى لأنه مفرد) . قال صخر الفرقى :

منت لك أن تلاقينى المنـــايا　　أحاد أحاد فى شهر حلال

ولكنما أهــلى بواد نيســه　　ذئاب نيبى الناس مثنى وموحدا

قال طرفة فى الأوحد :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت　　فتلك سبيل لست فيها بأوحد

قال أهل اللغة ، يعنى لست فيها بواحد ، ومثله فى الأذان الله أكبر الله أكبر أى كبير . ومثله فى القرآن وهو أهون عليه ، أى هين عليه لأن الفعل فى معنى فاعل . قال آخر :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل　　على أينا تعدوا المنيـــة أول

(معناه أنى لوجل) . قال الفرزدق :

إن الذى سمك السماء بنا لنـــا　　بيتاً دعائمه أعــز وأطول

أى عزيزة طويلة وجمع الواحد واحدان * قال آخر :

* وقد بلوتكم مثنى ووحدانـــا *

قال الكميت :

وضم قواصى الأحبـــاء منهم　　فقد رجعوا كقــوم واحدين

قال الأصمعى هذا مما يعاب به على الكميت أن جمع الواحد واحدين ، وإنما يجمع الواحد بغير لفظه يقال اثنان وثلاثة ولا يقال واحدين .

(فصل)

وإنما جمع الواحدين لمكان الحى لأنه جمع ، والأحد اسم أكبر من الواحد ، ألا ترى لو قلت فلان لا يقوم له واحد لجاز فى المعنى أن يقوم له ثلاثة واثنان فما فوقهما ، وإذا قلت لا يقوم له أحد ، فقد أخبرت أنه لا يقوم له واحد ولا اثنان ولا أكثر ، وفى الأحد خصوصة ليست فى الواحد يقول ليس فى الدار واحد يجوز أن يكون فيها واحد من الدواب [٥١] والطيور والوحوش والإنس. فكان الواحد يعبر للناس ، وإذا قلت ليس فى الدار أحد فهو مخصوص فى الآدميين دون غيرهم . والأحد ممتنع فى الحساب

تقول واحد واثنان وثلاثة فهو فى العدد وداخل فى العدد . والأحد ممتنع ولا يقال أحد واثنان وثلاثة ،ولا يقال أحد فى أحد كما يقال واحد فى واحد. والأحد ممتنع من هذا لا يقال أحد واثنان وثلاثة ولا يقال أحد فى أحد كما يقال واحد فى واحد . والأحد إن لم يتجزأ من الواحد فهو يتجزأ من الاثنين والثلاثة فما فوقها. تقول جزء واحد فى جزأين فما فوقها والآخر يجىء فى الكلام بمعنى الواحد الأول . والعرب كانت تسمى الأحد فى الجاهلية الأول ، وقولك يوم الأحد دليل على اليوم الأول ، والاثنين دليل على اليوم الثانى . وفى التوراة أن أول ما خلق الله عز وجل من الأيام يوم الأحد . وضد الواحد اثنان ، كما أن ضد الأول الآخر . قال الله عز وجل . (قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً ، وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً) (١) . والأحد إذا لم يكن بمعنى الأول جاز فى الخبر فنقول : ما جاءنى أحد . قال الله عز وجل : (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد)(٢) وقال سبحانه وتعالى: (أيحسب أن لم يره أحد)(٣)، وقال المفسرون فى هذين الموضعين هو الله سبحانه أى معناه، أيحسب أن لن يره أحد أى الله عز وجل ، وقوله تعالى هو الله أحد فهو خبر ، وربما جاء بمعنى الشىء يقال فلان لا أحد أى لا شىء إذا خلا من الفهم والعقل ، والخبر إذا كان بمنزلة لا شىء واحد يكون بمعنى الجمع. تقول العرب شثت أحد بالأيام لا يأكل فاجتمل بمعنى الواحد والجمع . قال النابغة الذبيانى(٤) :

وقعت فيها أصيلا كى أسائلها أعيت جواباً وما بالربع من أحد

قال جرير :

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

[٥٢] والأحد يجمع آحاد على القياس ؟

---

(١) سورة يوسف : آية ٣٦ .

(٢) سورة البلد : آية ٥ .

(٣) سورة البلد : آية ٧ وكتب فى المخطوطة « لن » سهواً بدلا من « لم » .

(٤) كتب فى المخطوطة « الذينانى » .

(مسألة) روى أن رجلا من اليهود يقال له (١) عمرو بن الطفيل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انسب لنا ربك ! أهو من ذهب أم من فضة أم من مسك ؟ فأنزل الله عز وجل : (قل هو الله أحد) الذى ليس له عدد ولا أجزاء ولا أبعاض ، وقال أحدهم أنزل الله قل هو الله أحد ، وقال وأنا أحد ، فأنزل الله صاعقة فأهلكته فى مكانه ، وفيه أنزلت هذه الآية : (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال) (٢) وأجمع القراء على تنوين أحد إلا نصر بن عاصم فإنه قرأها أحد الله الصمد غير منونة .

(مسألة) : إن قال قائل إذا قلت إن الله واحد وأنت واحد فما الفرق ؟ قيل له أنا واحد فى الاسم أشياء فى الحقيقة لأن لى النصف والربع والثلث والثلثان والعشر ، والله سبحانه وتعالى واحد فى الاسم واحد فى المعنى لا يجوز عليه التجزؤ والقسمة والتبعيض جل الله عن ذلك . وفرق آخر إن الله سبحانه قدير أن يرفع الاجتماع منى فأصير متفرقاً بعد إذ كنت مجتمعاً والله عز وجل لا يجوز عليه ذلك لأنه سبحانه الخالق والخالق لا يشبه المخلوق .
الصمد ، قال عكرمة ومجاهد(٣) : الصمد الذى لا جوف له ، وقال ابن عباس وسفيان : الصمد السيد ، وعن الحسين وسعيد بن جبير قالا : الصمد الذى يصمد إليه فى الحوائج ، وعن عامر قال : الصمد الذى لا يأكل الطعام ، وقال أبو وائل : الصمد هو السيد وهو معروف فى لغة العرب ، وهو السيد الذى لا فوقه سيد . قال الأسدى :

لقد بكر الناعى بخير بنى أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال طرفة :

وإن يلتقى الحى الجميع تلاقنى ... إلى ذروة البيت الكريم المصمد

وقال عمر بن الأسلم : بعد قتله حذيفة بن بدر

---

(١) « له » زيادة من عندنا .

(٢) سورة الرعد : آية ١٣ .

(٣) مجاهد : هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر . محدث جليل وكان مولى لقيس السائب المخزومى . مات بمكة وهو ساجد سنة ١٠٣ هـ (ابن قتيبة : المعارف ص ١٩٦) .

[٥٣] علوتــه بحسام ثم قلت لـــه خذها حذيف فأنت السيد الصمد

وقال آخر :

سيروا بنا نصف هذا الليل واعتمدوا إلى رهيـــنة إلا السـيد الصمـد

ويقال الصمد ، الذى تصمد الناس إليه فى حوائجهم كلها. وقال الحسن : الصمد الذى لا يموت . وقد غلط فى تأويل هذه الآية بعض الناس بقوله الصمد الذى لا جوف له . وقيل كان سبب نزول سورة الإخلاص أن قريشاً واليهود قد جاءهم الخبر بهم جميعاً أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن ينسب لهم ربه سبحانه وتعالى فقالوا : صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس ؟ أيأكل ويشرب ؟ ما هو ؟ وكيف هو ؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى جواباً لسئوالهم : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) .

الوَتر والوِتر فيه لغتان : وتر ووتر بفتح الواو وكسرها * ويقال الكسر لغة بنى تميم وعليه عامة الناس وأكثر القراء ، وقرأ قوم منهم بالفتح * وقرأ أبو عمرو بن العلاء وغيره الوتر بمعنى الفرد ، والشفع بمعنى الزوج . الأول والآخر : قال ابن عباس رضى الله عنه فى معنى قوله عز وجل : (هو الأول والآخر)(١) يقول الله عز وجل أنا الأول فلم يكن لى سابق من خلقى ، وأنا الآخر فليس لى غاية ولا نهاية. وقال الحكيم : قيل له الأول لأنه لم يزل قبل كل شىء وكانت الأشياء بعده محدثة ، ودل تأويله على أنه لا يزال ولا يزول لأن الذى لا أول له لا آخر له . فلما ثبت أن الأشياء محدثة وأن المبتدع لها لم يزل قبلها ولا يزول بعدها ، ذلك الذى ابتدعها لم يزل قبلها ولا يزال بعدها هو الأول الذى كان قبلها أولياً ، والآخر الذى يكون بعدها أبدياً ، فقيل هو الله الأول والآخر . وقال آخرون قوله تعالى هو الأول لم يزل ولا شىء وهو الآخر يبقى ويفنى كل شىء . وإنما اختلفت اللفظتان [٥٤] فى

---

(١) سورة الحديد : آية ٣ .

الأول والآخر بوجود العالم وعدمه لأنه قيل أول يراد أنه كان ولا شيء . فلما أحدث العالم ثم أفناه قيل آخر يراد به أن العالم فني. والأول هو الآخر والآخر هو الأول، ولو لم يحدث العالم لما حسن أن يقال هو الآخر وأنه يفني الأشياء، وهو كما كان سبحانه لم يتغير بحدوث العالم وفنائه. فإن قيل لم يزل أولا آخراً ، قيل له الأول الآخر ، لم يزل ولا يزول سبحانه وتعالى ...

(الظاهر والباطن)(١). قال ابن عباس قوله عز وجل هو الظاهر والباطن، يقول الله أنا الظاهر ظهرت فوق الظاهرين بقهري المتكبرين، وأنا الباطن فليس من دوني إلـه ولا لي قاهر، والظاهر بمعنى الغالب، يقال ظهر فلان على فلان أي غلبه ، وفلان ظهير لفلان أي معين له ، ومنه قوله تعالى وإن تظاهرا عليه أي تعاونا عليه ، قال تعالى : (والملائكة بعد ذلك ظهير) (٢) أي معين قوي ، وقال الحكيم(٣) إنما قيل له الظاهر لظهور صنعته الدالة على أنه محدثها ومدبرها وكان ظهور صنعة الصانع ظهور الصانع لها ، وقيل له الباطن لأنه خفي عن أن تدركه الخلايق بكيفية أو تحيط به أوهامهم أو تدركه عقولهم ، فلما كان هكذا قيل له الظاهر والباطن فكان لظهور صنعته ظاهراً ، ولامتناعه عن درك المخلوقين بذاته باطناً. فهو الظاهر والباطن عز وجل. ولا يقال لم يزل ظاهراً بمعنى أن الأشياء لم تزل وأنه ظاهر عليها قاهر لها وباطن لها وعالم بها، لأنها لو كانت قديمة لم يكن هو ظاهر عليها دون أن تكون هي ظاهرة عليه إذا استويا في الأول .

قال الحكيم إنما قيل لـه الدائم لأنه لم يزل ولا يزول ، فاذا ثبت أنه لم يزل ولا يزول فهو الواحد الخالق للزيادة والنقصان والزوال والانتقال والفناء وهو سبحانه وتعالى لا زيادة فيه ولا نقصان وهو الدائم الخالق . والوصف لله أنه الدائم وهو من صفات الذات ، ويوصف [..] أنه لا يزول وإنما لا يفنى سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الحديد : آية ٣ .

(٢) سورة التحريم ، آية ٤ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن المؤذن الحكيم الترمذي المتوفى شهيداً سنة ٢٥٥ هـ صاحب كتاب «نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول» (انظر : حاجي خليفة : كشف الظنون).

(الخالق القادر) : وهو سبحانه الخالق والخلاق معناه أنه ابتدأ الخلق أول مرة ، والخلاق معناه أن من شأنه أن يخلق كل يوم خلقاً من بعد خلق . والخالق على وزن فاعل أنه خلق فى الابتداء ، كما تقول قاتل وحارز وخلاق على وزن فعال كما يقال قتال وحراز ، لم يكن من عادته أن يقتل ويحرز . والخلق مصدر ، قال الله عز وجل : هذا خلق الله . واشتقاق الخلق بالتقدير ، ويقال خلق إذا قدر .

قال زهير بن أبى سلمى :

ولأنت تفرى(١) ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

يمدح رجلا يقول ، يقطع ما قدرت ويتم ما أبدأت به من الأمور وتحكيمها . وإنما سمى نفسه عز وجل خالقاً لأنه قدر الأشياء ثم أمضاها فهو الخالق فى ابتدائه الخلق * والخالق فى تتميمه إياه إلى آخر الدهر بعلم وحكمة ، يقال خلق إذا قدر بعلم وحكمة وتدبير ومعرفة ، وخرق إذا قدر بغير علم وتدبير فاسد ، ومن ذلك قيل لمن لا يحسن العمل أخرق والمرأة خرقاء . قال الله عز وجل : (وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم)(٢) أى كان تقديره لهم حين خلقهم بعلم وحكمة وقدر ، وما نسبوا إليه من البنين والبنات كذباً بغير علم ولا حكمة ، فسمى خلقهم وفعلهم خرقاً إذا كان جهلا وفساداً ، وقال عز وجل فى موضع آخر : (وتخلقون إفكاً)(٣) قال أبو عبيدة : يقدرون كذباً ويخترصون . ويقال قد اختلق كذباً وخلق إفكاً . والله سبحانه وتعالى خالق لأنه يفعل أفعاله مقدرة على ما دبرها وهذا هو معنى الخالق فى اللغة ، كما قال الشاعر :

---

(١) يفرى الفرى : أى يأتى بالعجب فى عمله . ومنه « لقد جئت شيئاً فرياً » أى شيئاً يتحير فيه ويعجب منه .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٠ .

(٣) سورة العنكبوت : آية ١٧ . وكتبت فى المخطوطة سهواً « ويخلقون » .

ولا تأط بأيدى الخالقين ولا أيدى الخوالق إلا حيد الأدم

(معناه التقدير للأدم) . وكذلك ما يروى عن بعض الصحابة قال: لا أخلق إلا فريت ولا أعد إلا وفيت ، يعني لا أقدر إلا قطعت .

(مسألة) : فان قال قائل أتزعمون أن الإنسان يخلق؟ قيل له [٥٦] نعم ، قد يخلق من أفعاله من يفعله مقدراً ، إذ قال سبحانه لعيسى صلوات الله عليه : (وإذ تخلق (١) من الطين كهيئة الطير)(٢) يدل على ما قلنا . فان قال أفيكون من أفعال الناس ما ليس هو مخلوقاً ؟ قيل له نعم ، فان قال ما هو ؟ قيل له ما فعله من غير أن يقدره وما فعله على سبيل السهو والغفلة وكل ذلك غير مخلوق له ، وإنما لم يجز أن يكون من أفعال الله تعالى ما ليس بمخلوق لأن الله تعالى لا يفعل شيئاً على وجهة السهو ولأنه لا يفعل شيئاً سبحانه إلا وهو مقدر له سبحانه وتعالى .

(مسألة) : فان قال أفتزعمون أن الله تعالى قادر ؟ قيل له نعم ، فإن قال أفليس قادر من صفات الذات ؟ قيل له إن القادر هو الموصوف وليس هو الصفة ، وإنما الصفة قولنا الله قادر فوجب هذا الوصف له والله سبحانه وتعالى قادر لأن ذاته ذات قادرة ولم تكن قادرة بقدرة هي غيره ؛ فان قال أفتزعمون أن غير الله يكون قادراً على الحقيقة ؟ قيل له نعم ، لأن غيره لو لم يكن قادراً على الحقيقة لم يجز أن يكون فاعلا على الحقيقة ، ولأن الأفعال لا توجد إلا ممن قدر عليها . فان قال فما أنكرتم أن يكون وصفكم لغير الله بأنه قادر تشبيهاً لله بغيره ، قيل له ليس معنى الصفتين واحداً ولا أما ثبتنا باحدى الصفتين ، هو ما أثبتناه بالصفة الأخرى لأنه الله سبحانه قادر وحده ولم يثبت معه معنى يسمى قدرة كان بها قادراً ، وأثبتناه وصفاً لغيره معنى معه يسمى قدرة هي غيره ليست قادرة ، فلما اختلف معنى الصفتين كانت إحداهما تثبتاً للموصوف ، والأخرى تثبتاً

---

(١) كتبت فى المخطوطة سهواً « يخلق » .

(٢) سورة المائدة : آية ١١٠ .

للمعنى مع الموصوف ولم يوجب هذان الوصفان تشبيهاً للموصوفين . ولكن إن قال قائل لغير الله أنت قادر بنفسه كما وصف الله تعالى بأنه قادر بنفسه ولم يثبت باحدى الصفتين ما أثبته بالأخرى وجعل معنى صفته معنى واحداً يوجب أن يكون [٥٧] تشبيهاً لله بخلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !!

والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء عموم لا خصوص .

(البارئ المصور) : قال أهل اللغة البارئ الخالق والخالق البارئ . قال سبحانه وتعالى الخالق البارئ المصور ، ففرق بين الصفتين ، كما يقال عاقل لبيب واللب هو العقل ، وقال الفضل : البارئ الخالق فاتبع النعت بمثله ، وهذا موجود فى لغة العرب كثير .

قال كعب بن سعيد الغنوى :

أخى ما أخى لا فاحش عند بيته ⁂ ولا فرع عند اللقـاء هيوب

والفرع هو الهيوب وكررهما لاختلاف اللفظتين .

البرى فى اللغة معناه التسوية ، فقال برى القلم إذا سواه ، وبرى القوس إذا نحتها ، وفى المثل أعط القوس باريها . قال الشاعر :

يا بارى القوس برياً ليس يحسنه ⁂ لاتظلم القوس واعط القوس باريها

أى من ينحتها بعلم ومعرفة وحكمة ، وقيل لكل شيء نحته بريته .

قال الشاعر :

كمثل الحنى براها الكلال ⁂ يركبن الاوسطرن الا

فقال براها الكلال أى نحتها ولم يهمز . وأكثر العرب على ترك الهمز من البرية. قال سبحانه هو الخالق البارئ المصور لأنه سبحانه خلق الخلق ، ثم برأهم السمات ، ثم أظهر صورها فقامت تامة الخلق بتدبيره. والحالة الأولية خلق ، والثانية برء ، والثالثة بالتصوير . والصورة اشتقاقها من صار يصير معناه التمام والغاية ، ومنه قولهم إلى ما صار أمرك؟ أى أين منتهاه وغايته؟ ويكون الصورة بمعنى المثال ، لأنه قيل للتماثيل تصاوير لأنها مثلت على تلك الصورة. فسمى الله تعالى نفسه المصور لأنه ابتدأ تقدير الخلق وتصويرها فهو الخالق

المصور بلا غاية ولا مثال، بل هو سبحانه وتعالى منشئ الأمثلة والصور سبحانه وتعالى !!

السلام : اسم من أسمائه عز وجل [٥٨] ومنه سمى الرجل عبد السلام ، فسمى الله نفسه السلام بالسلامة مما يلحق المخلوقين من العيب والنقصان والفناء والموت والزوال والتغيير . قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله : السلام ذكره سلامة على من ذكره، وهو الذى يسلم الناس من جوره ، وقال الفضل : السلام هو الذى يسلم من أطاعه من عذابه ، وقال الحسن : الذى يسلم الخلق من ظلمه وكل ما أمر به فهو سلام ، ومعنى سلام عليكم أى أمان لكم مما تخافوه ، والسلام والسلامة واحد ، وقيل هو مصدر السلامة قال الله عز وجل: (فسلام لك من أصحاب اليمين) (١) ، أى فسلامة لك منهم ، أى يحيونك عنهم بالسلامة وهو معنى قول المفسرين . وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً أى صواباً من القول لأنه قد يسلم من الكذب واللعب والعيب والإثم ، قال الكميت : ويحيوا السلام أهل السلام ، يعنى أهل مكة لأن أهل مكة أهل الله ، قال ابن الكلبى : إنما سموا بذلك حين أرسل الله الطير الأبابيل على الأحباش(٢) فذبت عنهم فسمت العرب أهل مكة أهل الله عز وجل .

المؤمن : قال الكلبى : المؤمن الذى أمن من أطاعه من عذابه، والمؤمن الذى لا يخاف ظلمه، قال غيره لأنه آمن عباده أن يظلمهم ، أى أعطاهم الأمان على ذلك والعباد آمنون والله تعالى مؤمنهم .

قال النابغة الذبيانى :

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند

يقول آمن الطير فى الحرم من أن يصطاد . قال أبو الحسن رحمه الله : المؤمن الذى يؤمن منه الجور ، وقيل المؤمن الأمين على الأشياء .

المهيمن : قال بعض المفسرين هو الشاهد ، من قوله تعالى ومهيمناً عليه،

---

(١) سورة الواقعة : آية ٩١ .

(٢) وهم الذين غزوا مكة بقيادة أبرهة فى عام الفيل . وفى المخطوطة كتب « الحبشة » بدلا من الحبش أو الأحباش .

أى شاهداً مؤمناً عليه ، قال غيره : أمين عليه وهما بمعنى ، وقال الكسائى : المهيمن الشاهد والمهيمن أيضاً |٥٩| الأمين ، يقال هيمن هيمنة . قال الشاعر :

شهيد على الله أنى أحبها ... كفى شاهداً رب العباد المهيمن

وقال قوم من أهل اللغة مهيمن اسم مبنى من أمين ومؤمن ، قال وهو فى الأصل مؤتمن فقلبت الهمزة هاء لقرب المخرج مخرجهما كما قلبت فى أرقت الماء وهرقت وهيهات وإيهات وإياك وهياك فأبدلوا من الهمزة هاءاً :

وأنشد الأعشى (١) :

فهياك والأمر الذى قد توسعت ... موارده ضاقت عليك مصادره

وقيل الهاء فى مهيمن بدل من الهمزة التى فى الأمين عند أهل اللغة :

العزيز : يكون على وجوه ، يقال عز إذا امتنع ولم يقدر على شىء منه ، فلزمه هذا الاسم على الحقيقة إذا لم يقدر على شىء منه ، ولم تخلص هذه الصفة إلا لله عز وجل إذ كان كل عزيز من الأشياء ، ويوجد على حال ما قال الله وهو عز وجل وهو ممتنع أن تدركه الأوهام والصفات والخطرات . والوجه الآخر هو الغلبة والقهر ، يقال عز إذا غلب ، وفى المثل من عز بز أى قهر وسلب . وأنشد :

وصار من عز بز صاحبه ... إلا قريباً أو دانى النسب

وقال عز وجل: وعز نى فى الخطاب ، أى وغلبنى . ويقال استغراق المريض إذا غلبه المرض على عقله . والوجه الثالث العز والمنعة مما يناوئه ويكيده والاحتراز منه ، ويقال فلان فى عز أى فى منعة .

وقال أبو كثير فى صفة عقاب :

حتى انتهيت إلى فراش عزيزة ... سوداء روية أنفها كالمخصف

يعنى وكر عقاب سماها عزيزة لأنها تأوى إلى كل ممتنع من الجبال . وأما قوله عز وجل: (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) (٢) ، قيل معناه

---

(١) « الأعشى » وكتبت فى المخطوطة « الأخشى » .

(٢) سورة ص : آية ٢ .

الأنفة والحمية ، ومثله : (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم)(١) . [٩٠] يعنى الأنفة والحمية ، فالعزة من العبد الحمية والأنفة ، وهى مذمومة ، ومن الله عز وجل مدح وثناء . وقال عز وجل : (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً)(٢) ، قال سبحانه وتعالى : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون)(٣) . والعزة أيضاً الملائكة ، وفى الحديث أن الله الذى لا إله إلا أنا الكبرياء ردائى والعظمة إزارى والعزة لى لا لغيرى ، فمن نازعنى فى شىء منها أدخلته جهنم خالداً مخلداً مهاناً . قال ابن عباس فى قوله تعالى (عزيز حكيم) ، قال عزيز فى نقمه حكيم فى أمره عز وجل .

الجبار : الجبار الممتنع ومنه سمى النخل الذى قد طال أو فات اليد وامتنع جبار الواحدة جبارة . قال الأعشى :

طريق وجبار رواء أصوله ... عليه أبابيل من الطير يتعب

ويقال ناقة جبارة إذا عظمت وسمنت والجميع جبابر . ويقال للملك إذا تكبر ولم يتكلم ولم يصل إليه فى ظلامه ولم يقدر على الانتصاف منه جبار . قال الله عز وجل : (فيها قوماً جبارين)(٤) ، قال أهل التفسير قوم عاد . وقيل فى قوله تعالى : (وما أنت عليهم بجبار)(٥) أى ملك مسلط ، والجمع جبابرة ، فسمى نفسه عز وجل جباراً لأنه ارتفع عن أن يناله أحد ويدركه بصفة أو حد ، وهو الجبار على الحقيقة سبحانه الذى فات أيدى المتناولين وحير الخلايق ونعشهم(٦) أجمعين . وجائز أن يقال لم يزل جباراً إذا كان عزيزاً لا يناله أحد ولا يقهره . وقال المفضل : الجبار العالى الذى لا يقدر

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٠٦ .
(٢) سورة فاطر : آية ١٠ .
(٣) سورة الصافات : آية ١٨٠ .
(٤) سورة المائدة : آية ٢٢ .
(٥) سورة ق : آية ٤٥ .
(٦) نعشه الله : رفعه ، ونعشهم ارتفع فوقهم أجمعين .

عليه ، والجبار الممتنع على معنى العزيز . ولا يجوز أن يقال متعزز ولا متجبر وجايز أن يقال جبار الجبابرة .

المتكبر : التكبر المتكبر المتعظم يقال التكبر التعظم ، تكبر الرجل واستكبر وهو من الكبر ، والكبر العظمة والاستطالة ، ويقال المعظم الشيء كبر بكسر الكاف . قال قيس :

[٦١] تقوم فى كبر شأنها فإذا قامت رويداً تكاد تنعرف

كبر شأنه معظمه . قال الله : (والذى تولى كبره منهم)(١) ، قال أبو عبيدة يعنى معظمه وهو معنى الكبر من الأمر ، وفرقوا بينه وبين الكبر فى السن . وفى الحديث « لولا الكبر ، بضم الكاف ، وهو الأقرب إلى الأب إلا فلان». ذو كبر أى ذو كبرياء والكبرياء مأخوذ من الكبر وهو الامتناع والصعوبة وقلة الانقياد . قال حميد فى صفة ناقة :

عفت مثل ما يعفو الطليح فأصبحت كبراء الصعب وهى ركوب

الطليح المهزول ، وعفى الطليح إذا ضمر ، والصعب الذلول . ويقال المتكبر المتعظم والكبرياء العظمة . والمتكبر صفة وجبت له لذاته ومتكبر وجبار بمعنى واحد بمثل متقدم وقديم ، ومتوحد وواحد .

القديم : القديم ومن صفاته عز وجل القديم ، ووجب له هذا الوصف لتقدمه . وكل متقدم الأشياء فواجب له هذا الاسم إذا بولغ له فى الوصف بالتقدم غير أن سائر الأشياء إذا سميت بهذا الاسم فانما يعنى به أنه قديم إلى نهاية وغاية وأول ، والله سبحانه وتعالى قديم لا إلى أول ولا غاية ولا نهاية ، ومن ذلك قوله : (حتى عاد كالعرجون القديم)(٢) يعنى أنه المتقدم . ومنه قوله تعالى: (فسيقولون هذا إفك قديم)(٣) . وكذلك

---

(١) سورة النور : آية ١١ .
(٢) سورة يس : آية ٣٩ .
(٣) سورة الأحقاف : آية ١١ .

قولهم ملك فلان لهذه الدار قديم، إنما أراد بذلك متقدم البناء وتقدم الملك، فلما أراد المبالغة فى الوصف بالقدم قالوا قديم وردوا ذلك كله إلى أول غاية لأنهم كانوا يعلمون مع وصفهم له بذلك أنه فى الأصل محدث والله سبحانه قديم لا إلى غاية ولا إلى نهاية أول سبحانه ! وقولنا الله قديم وهو صفة له لذاته ليس يثبت معه معنى يسمى قديماً فنقول أنه وصف أو غير وصف مع أن الوصف لا يكون إلا كلاماً فكل من عنى بالصفة والوصف غير الكلام فهو مخطىء . ولسنا نقول إن القديم صفة لأن القديم هو الموصوف ، وإنما قولنا هو القديم [٦٢] صفة أوجبت لذاته، فمعنى قولنا صفات الذات عنينا بها الصفات وجبت له لذاته وهو قولنا الله قديم والله عالم وقادر ، ومعنى صفات الفعل أن ما أردنا به الصفات التى وجبت لله لأفعاله ، نحو قولنا إنه خالق ورازق وصانع ومنعم، والصفة والوصف بمعنى ،وهو قول الواصف بما تصفه . وليس بين أهل اللغة اختلاف فى ذلك لأنهم جميعاً يخبرون أن الوعد والعدة عندهم واحد، والوصف هو الصفة واحد ، والوجه والجهة . وجائز أن يقال قديم أزلى لأن القديم المتقدم للأشياء والذى لم يزل قبل الأشياء ه

السبوح : اسم مبنى على فعول من قولك سبحان الله. قال ثعلب : سبوح قدوس مضموم الأول وقد يفتح أوله وكل اسم على وزن فعول فأوله مفتوح إلا هذين الإسمين فانه يضم أولهما . قال أبو عبيدة : مجاز سبحان الله موضع التنزيه والتعظيم والموحد، وإذا وحد الله فقد نزهه وأبرأه من الشرك والمشرك غير المسبح لأنه غير موحد والله سبحانه مبرأ من شركه منزه عنه عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون !

القدوس : القدوس مبنى على فعول مثل سبوح، والتقديس قريب من التسبيح فى المعنى ومن قدس الله فقد نزهه وأخلص له الوحدانية . قال الله عز وجل حكاية عن الملائكة (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)(١) أى نطهر ، والتقديس هو التطهير . وقيل قوله الأرض المقدسة أى المطهرة .

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٠ .

يقال قدسه الله وتقدس بمعنى تطهر (١) . وسمى جبرائيل روح القدوس لأنه ينزل على كل نبي طاهر ويطهر كل من ينزل عليه، وبيت المقدس أى المطهر . ومعنى القدوس أى الطاهر . هو سبحانه الطاهر لعلوه(٢) عن الأشباه والأمثال تعالى ربنا علواً كبيراً .

الحى : الحى مشتق من الحياة الدائمة الذى لا يزال حياً وهو يحيي ويميت وهو الحى الذى لا يموت ، وقولنا إنه حى لم يثبت بهذا القول غير الله سبحانه وتعالى ولم يثبت معه معنى يسمى [٦٣] حياة بل هو الحى بنفسه .

مسألة : فان سأل سائل فقال ما معنى وصفكم ان كنتم لا تثبتون له بقوتكم حياة ؟ قيل له إن معنى ذلك أنا أثبتناه حياً بنفسه لأنه عالم وقادر وذلك أنه لا يجوز أن يعلم إلا حى ولا يقدر على الأشياء إلا حى ، فلما كانت أفعاله دالة على علمه بها وقدرته عليها كانت أيضاً دالة على أنه حى . فان قال فاذا وصفتموه بأنه حى ، ووصفتم غيره بأنه حى على الحقيقة فلم تنكرون أن تكونوا قد شبهتموه بغيره ؟ قيل له إن معنى وصفنا الله أنه حى هو إثبات له وحده وليس هو إثباتاً لمعنى معه يسمى حياة ووصفناه لغيره بأنه حى ليس هو إثبات له وحده ولكنه إثبات لمعنى آخر معه هو غيره يسمى حياة ، كان الوصفان مختلفين وكان أحدهما إثباتاً لمعنى وهو غير الموصوف لم يوجب مع اختلافهما تشبيهاً لله تعالى بغيره ولكن لو وصف واصف على الله بأنه حى بنفسه كما وصف الله بذلك لكان يجب أن يكون قد شبه الله بغيره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! !

القيوم : قال أبو عبيدة القيوم القائم وهو الدائم الذى لا يزول وهو فيعول . عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله عز وجل الحى القيوم ، معنى الحى قبل كل شىء الذى لا يموت ولا تفنيه الدهور ولا تغيره انقلابات الأمور ، وفى معنى القيوم لغتان : قيوم وقيام وقد قرىء بهما جميعاً . قرأ عمرو القيام وفى الدعاء اللهم قيام السموات والأرض ! أى عمادها . ومثله فى التقدير : ما فيهما

---

(٢) تطهر : زيادة من عندنا .

(٣) كتبت فى المخطوطة « لعله » .

ديور ولا ديار ، أى ليس فيهما ساكن دار . وعن مجاهد أن القيوم القائم على كل شيء فهو عز وجل القائم على كل نفس إلى انقضاء مدتها ويتولى مجازاتها بما كسبت ، تبارك الله الحى القيوم . عن ابن عباس أيضاً القيوم ، الأول الذى لم يكن قبله شيء وهو بالعبرانية شراهيا .

الغفور : يقال غفور وغفار وغافر ، ثلاث لغات وهو من المغفرة وهو الستر كأنه ستر ذنوب العباد ، ويقال فى [٦٤] الدعاء اللهم غفور تعمدنى بمغفرتك ! ! أى استر ذنوبى . وأصله من غفرت الشيء إذا غطيت . وتقول تغمده الله برحمته أى غمده فيها . ويقال غفر غفراً ، ومنه اللهم غفراً ، قال الشاعر :

فى ظل من عنت الوجوه له ملك الملوك ومالك الغفر

ويقال لجنة الرأس مغفرة لأنه يغطى الرأس ويستره والغفور على وزن فعول ، يعنى من شأنه ستر العيوب ويغفر الذنوب ، والغفار هو الذى يغفر ذنباً بعد ذنب وهو التكرير بوزن فعال والتشديد يدل على التكرير والتكثير . وأما الغافر : فانه يقال بالإضافة غافر الذنب وهو على وزن فاعل بالتخفيف يدل على التقليل ، والله سبحانه وتعالى الغفار لا غفار غيره .

ملك ومالك ومليك : قد جاء بهذا كله القرآن ملك ومالك ومليك ، وهى كلها مشتقة من الملك : والملك يوصف به المخلوق ، ويقال للرجل ملك ومالك ومليك ، ويقال ملك ساكنة اللام ولم يجىء بهذه اللغات فى القرآن ولا روى أن أحداً قرأها ، قال السجستانى لو قرىء بها لجاز لأنها لغة مشهورة معروفة . قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

ويروى تحتها . يقال رجُل ورجْل و نَجد و نَجْد و طرَف وطرْف وعلم وعلْم وهو فى كلام العرب كثير . ويقال مالك كل شيء ولا يقال ملك كل شيء لأن مالك أوسع وأجمع . قال أبو عبيدة فى قوله تعالى الله الملك الحق وهو الذى لا يموت ولا يسلب ملكه ، وكل ملك سواه فقد جعله ملكاً وهو يسلبه ملكه بموت أو غيره ، فلما أمات الله الملوك وسلبهم ملكهم ، قال سبحانه

لمن الملك اليوم ؟ فأجاب نفسه إذ لم يكن أحد يجيبه ، لله الواحد القهار .

(مسألة) قال أبو عبيدة : المالك يكون ملكاً وغير ملك ، ولا يكون الملك إلا مالكاً ، وهذا فى الدنيا للمخلوقين والله عز وجل ملك ومالك .

مسألة : فان قال قائل أتزعمون أنه لم يزل مالكاً للأشياء كما أنه |٦٥| لم يزل قادراً عليها؟ قيل له نعم. فان قال ما معنى ملك ما لم يوجد؟ قيل له هو قدرته عليه ، فلما كان قادراً على ما لم يوجد كان مالكاً له ، وقد تبين ذلك فى كتابه فقال عز وجل : (مالك يوم الدين) لعلمه ، ويوم الدين لم يوجد . وقد أخبر عز وجل أنه مالك له ، إذ كان قادراً عليه . فان قال أفتزعمون أنه لم يزل مالكاً ؟ قيل له نعم ومعناهما واحد ، وإنما يراد به إثبات الملك والقدرة على الأشياء .

مسألة : فان قال فالله تعالى مالك الدنيا والآخرة فلم قال مالك يوم الدين ؟ قيل له إن الدنيا يملكها الله أقواماً فنسب الملك إليهم ، فلما كانت الدنيا يملكها الله تعالى ويملكها غيره بالتشبيه لا على الحقيقة ، والآخرة لا يملكها إلا هو عز وجل ولا يملك ذلك اليوم غيره خص لعلمه كذلك. وقد قيل إن الدنيا ملكها أربعة : مؤمنان وكافران ؟ فالمؤمنان : سليمان بن داود وذو القرنين ، والكافران : نمرود بن كنعان وبخت نصر . قال أبو عبيدة العرب ربما وضعت فعيلا فى موضع مفعل بكسر العين ، وفى معنى قوله تعالى : الكتاب الحكيم ، قال الحكيم بفتح الكاف . وفى قوله ما لدىّ عتيد مجازة معتده فسمى نفسه حكيماً لأنه أحكم ما خلق فلم يفته شىء ، ولم يكن فى ملكه خلل سبحانه وتعالى .

مسألة : والحكيم صفة ذات ، وصفة فعل. فالذات هو العليم والفاعل الذى يوجد أفعاله بحكمة ، والحكيم بمعنى العليم والحكمة هى العلم ، فان قال قائل أفتزعمون أن الله لم يزل حكيماً ؟ قيل له قد نقول ذلك على أنه لم يزل عالماً لأن الحكيم قد يستحق هذه الصفة لعلمه بالأشياء وقد يستحق ذلك أيضاً لفعله الأفعال محكمة لا تفاوت فيها فوجب أن

يوصف أنه لم يزل حكيماً بمعنى أنه لم يزل عالماً . ولا يجوز أن يوصف بأنه لم يزل حكيماً على أنه أفعل أفعالا محكمة متقنة لأن هذه من صفاته الفعلية . فان قال لم زعمتم أن العلم حكمة ؟ قيل له هذا فى اللغة [٦٦] مشهور ، والعالم عند جماعة أهل اللغة يسمى حكيماً ويدل عليه قوله عز وجل: (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً)(١) ، وقال جل وعلا: (وأتاه الله الملك والحكمة)(٢) يعنى العلم والكتاب ، وإنما سمى الكتاب حكمة لأن العباد يعملون به والله أعلم . .

الواسع : الواسع الغنى يقال أعطى من سعة أى من غنى : قال الله عز وجل: (لينفق ذو سعة من سعته)(٣) أى ذو غنى من غناه . وقال تعالى : (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة)(٤) يعنى أولوا الغنى . وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل (إن الله واسع عليم)(٥) أى جواد يسع ما يسأل . ويقال وسع الله على فلان أى أغناه ، وقال المفضل واسع أى ذو سعة ووسع أى ذو قدرة وفضل ، فالوسع القدرة والسعة الفضل ، وفى بعض الكتب أن معنى الواسع أنه واسع الرحمة وواسع المغفرة والرزق أجرى هذه الصفة على نفسه وهو يعنى به ما وصفناه من الرحمة والمغفرة على التوسع فى اللغة ، وللأشعرى فيه وجهان أحدهما أنه واسع أفضاله على خلقه بمعنى أنه جواد مأخوذ ذلك من بذل العرف فلا يمنع ما سئل منه أى لا يبخل ولا يفوته شىء سبحانه .

وأنشد ابن الأنبارى من قرى الطائى :

حمال أثقال أهل الود آونة ... أعطيهم الجهد منى بله ما أسع

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٩ .
(٢) سورة البقرة : آية ٢٥١ .
(٣) سورة الطلاق : آية ٧ .
(٤) سورة النور : آية ٢٢ .
(٥) سورة البقرة : آية ١١٥ .

معناه أعطيهم جهدى ، ولا أدع ما أقدر عليه . والوجه الآخر أنه يسع علمه كل شيء فلا يخفى عليه شيء من أفعال عباده ولا يغيب عليه منها شيء .

مسألة : يقال الله تعالى عليم وعالم وعلام كله بمعنى العلم . وفى الحديث « إنى عليم أحب كل عليم » . وجائز أن يقال هو فوق عباده بالعلم والقدرة كما قال الله عز وجل : (وفوق كل ذى علم عليم)(١) يعنى نفسه عز وجل وهو على التوسع والمجاز .

مسألة : فان قال قائل أفتزعمون أن العلم من صفات الذات ، قيل له كذلك يقول وليس يثبت مع الله معنى يسمى علماً ، فيجوز أن يقال إنه من صفات الذات [٦٧] ولكن قلنا إن الله عالم وهو صفة الله تعالى وجبت لذاته ، وقال الشيخ أبى الحسن رحمه الله : العليم صفة ذات لم يزل الله تعالى عالماً بما يكون وبما لا يكون . فان قال قائل فلم قلتم إنه لم يزل عالماً؟ قيل له لما كانت أفعاله تقع منتظمة متسعة غير مختلفة ولا متفاوتة علمنا أنه عالم بها قبل كونها وقادر عليها .

الغنى : معنى الغنى أنه سبحانه وتعالى لا يصير إليه نفع ولا ضر وهو الغنى عن جميع الأشياء ، وقد قال سبحانه وتعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد)(٢) ، فهو تعالى الغنى كما وصف نفسه وجميع خلقه فقراء إليه عز وجل .

مسألة : فان قال قائل أفتسمون غير الله غنياً ؟ قيل له نعم ، قد جاء فى القرآن ذلك وهو قوله للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله إلى قوله : (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم) (٣) ، قال المفضل : أى الجاهل بأمرهم ، وقد سماهم أغنياء . فان قال ما الفرق

---

(١) سورة يوسف : آية ٧٦ .

(٢) سورة فاطر : آية ١٥ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٧٣ .

بين التسميتين ؟ قيل له إن غنى الغنى منا وهو غنى مستفاد ، وليس يطلق عليه الوصف بالغنى كما يوصف الله تعالى بأنه الغنى الحميد ، لأن غنى الخلق غنى حادث بعد إذ لم يكن وقد يزول بعد إذ كان ، فلا يشبه بصفة الغنى الذى لم يزل ولا يزول .

الحميد : قال أبو عبيدة الحميد بمعنى المحمود وحمد الله هو الثناء .

مسألة . فان قال قائل أفتزعمون أن الله تعالى حمد نفسه بقوله الحمد لله ؟ قيل له نعم ! ! وإنما قوله تعالى الحمد لله بيان للعباد كيف يحمدونه ليحمدوه كذلك . فان قال أفتزعمون أن الحمد هو الشكر ؟ قيل له لا ، لأن الحمد هو ضد الذم ، والشكر هو الاعتراف بالنعمة وضده الكفر وهما مختلفان وكذلك مدح نفسه بصفات ذاته بحسن نظره للعباد وأراد أن يبين للعباد صفاته ومدحه ليمدحوه بمثل ما مدح نفسه .

الشكور : ووصف الله نفسه أنه الشكور على سبيل التوسع والمجاز دون الحقيقة فنحن نصفه بذلك كما وصف نفسه .

مسألة : فان قال قائل ولم زعمتم أن ذلك مجاز ؟ قيل له إن الشكر إنما شكر [٦٨] النعمة التى كانت للمشكور على الشاكر ، فلما لم يكن للعباد على الله نعمة لم يجز أن يكون شاكراً لهم فى الحقيقة ، ولكن لما كان مجازياً للمطيعين على طاعتهم جعل مجازاته إياهم على هذه الطاعات شكراً منه لهم على المجاز كما فى مكافآت النعم كما بينا وقد يقال إنه شكر على التوسع ، وإن كان الشكر على الحقيقة هو الاعتراف بالنعمة والشكور من الناس هو الذى يرضى بالقليل من العطاء . وكذلك يقال لمن قدر عليه الرزق شكر الله أى قنع بالقليل ، ويقال دابة شكور إذا كانت تسمن على القليل من العلف . قال الشاعر :

ولابد من غزوة فى الصيف وحر ب بكل الوقـاح(١) شكور

---

(١) الوقاح المذكر والمؤنث : ذو الوقاحة .

والله سبحانه سمى نفسه الشكور لأنه يرضى من عباده القليل من العمل والعبادة والله أعلم .

الكريم : قال أهل اللغة الكريم المرتفع من كل شيء . يقال فلان أكرم قومه أى أرفعهم منزلة وقدراً. وكذلك كل شيء ارتفع عن منزلة نظرائه . وقال فرس كريم إذا كان أشهر الأفراس فراهة ، وشجرة كريمة أى ناعمة حسنة الثمرة ، نضرة ، قال الله عز وجل (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم)(١) وأما قوله تعالى : (إنى ألقى إلى كتاب كريم)(٢) أى شريف ، وقيل مختوم لأن شرف الكتاب ختمه . ويقال كريم أى فاضل. قال الله عز وجل: (لهم مغفرة ورزق كريم)(٣) أى فاضل ، وقال : (أرأيتك هذا الذى كرمت على)(٤) أى فضلته على ورفعته فوقى ؛ وقوله تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم)(٥) أى شرفناهم وفضلناهم على سائر الخلق . قال أبو عبيدة أى كرمناه إلا أنه أشد مبالغة فى الزلفى وكل شيء وصف بالكرم فانما أريد به الارتفاع والشرف والفضل. ويقال الكريم الذى لا يمن إذا أعطى فيكدر العطية بالمن :

قال الشاعر :

ربى كريم لا يكدر نعمة وإذا تنوشد فى المهارق أنشدا

والمهارق الصحائف وأحداها مهراق ، وقيل الكريم الصفوح . قال أبو عبيدة [٦٩] فى قوله عز وجل: (فان ربى غنى كريم)(٦) أى صفوح. وقال أبو محمد رحمه الله : الكريم صفة ذات، وصفة فعل ، فالذاتية بمعنى العزيز المنيع ، والفعلية بمعنى المفضل بالإعطاء . فيجوز أن يقال إنه لم يزل كريماً على معنى الأول ، ولا يجوز أن يقال لم يزل كريماً على معنى الثانى .

---

(١) سورة لقمان : آية ١٠. كتب فى المخطوطة سهواً « وأنبتنا » .

(٢) سورة النمل : آية ٢٩ .

(٣) سورة الحج : آية ٥٠ .

(٤) سورة الإسراء : آية ٦٢ .

(٥) سورة الإسراء : آية ٧٠ .

(٦) سورة النمل : آية ٤٠ . وكتب فى المخطوطة سهواً « إن » .

مسألة : فان قال قائل لم زعمتم أنه يجوز أن يقال كريم على معنى أنه عزيز ؟ قيل له ذلك موجود فى اللغة لأنه يقال أكرم على من فلان ، يراد أنه أعز من فلان ، وليس هذا من معنى الكرم الذى هو الجود والأفضال .

الجواد : الجواد فى اللغة الذى يتفضل على من لا يستحق ويعطى من لا يستوجب ، والذى لا تحصى عطاياه .

مسألة : فان قال قائل أليس يقال فرس جواد على غير معنى الافضال؟ قيل له نعم ، قد يقال فرس جواد يريدون أنه سريع العدو ، ولا يجوز أن يصف الله تعالى بشىء من هذا المعنى لأن الغدو حركات لا تجوز عليه ولا يجوز أن يوصف بالسرعة تعالى الله !! وإنما يوصف بأنه جواد كما يوصف ذو البذل والسخايا منا لأنه جواد ، يريد به إنعامه وأفضاله وجوده وكرمه ، فلما سمى نفسه بأنه جواد كريم وصفناه به ولو لم نصفه بذلك لكنا قد وصفناه بضده ، فلما نفينا عنه الأضداد وصفناه تعالى بأنه الجواد الكريم .

مسألة : فان قال أفيجوز أن يقال لم يزل جواداً ، قيل له نعم لأن الجود منه هو إنعامه وأفضاله على عباده وذلك فعل منه فلا يجوز أن يكون لم يزل موصوفاً بذلك .

مسألة : فان قال أفتزعمون أنه سخى ؟ قيل له لا ، فان قال فما الفرق بين وصفكم أنه جواد وبين امتناعكم من وصفكم أنه سخى ؟ قيل له نعم إن السخى فى أصل اللغة إنما هو اللين ، ومنه يقال أرض سخاوية وقرطاس سخاوى أى لين : قال الشاعر :

أتانى وعيد والتنايف بيننا سخاويها والغايط المتصوب

وإنما قيل للجواد من المخلوقين سخى للينه عند الحوائج إذا طلب منه ، وكذلك يوصف الجواد منهم بأنه لين الأخذ ، يعنى يراد به ليناً جانبه إلى مايسأل ، فلما كان اللين لا يجوز على الله تعالى لم يجز بأن يوصف بأنه سخى ووجب [٧٠] أن يكون يوصف بأنه جواد مفضال منعم عز وجل .

مسألة : فان قال أتسمون الله تعالى لطيفاً ؟ قيل له نعم لأنه لطيف فى صنعه برأفته ورحمته فلم يدع شيئاً من لطيف صنع إلا خلقه بلطفه وحكمته .

واللطيف فى معنى الرفيق العالم بالشىء . فالله سبحانه لطيف بالخلائق كلهم بلطفه. وصلوا إلى بغيتهم بعلم ورحمة وحكمة ، وقال المفضل : اللطيف الواسع العليم فى العلم ، واللطيف التوسع فى علم الشىء ، والوصف له تعالى أنه لطيف بمعنى أنه منعم وبمعنى أنه لطيف التدبير والصنع ولأن تدبيره لطيف لا تعرفه العباد للطفه . وقد وصف نفسه تعالى بأنه لطيف خبير ، والنعمة تسمى فى اللغة لطفاً ، يقال فلان بولده ألطف منه بغيره ، يريدون أن نعمته عليه أكثر .

الخبير : الخبير العالم بالشىء ، يقال فلان يخبر بهذا الأمر أى يعلمه وهو خبير به . قال الله عز وجل: (فاسأل به خبيراً)(١) أى عليماً به . وقال الشاعر :

وقومى إن جهلت فسائلهم   كفى قوماً بصاحبهم خبيرا

الجليل العلى العظيم : كل هذه الأسماء بمعنى واحد وهو أنه سيد ومالك الأشياء قاهر ،وأنه على جميع الأشياء مقتدر ، لأن سيد القوم كبيرهم وجليلهم وعظيمهم ، والعلى لا يكون إلا بمعنى الغالب ، والقاهر فى اللغة نحو قوله عز وجل: (ولعلا بعضهم على بعض)(٢) يعنى بذلك، ولغلب بعضهم بعضاً وقهره . ومثله قوله تعالى: (إن فرعون علا فى الأرض)(٣) يعنى قهر أهلها واستولى عليهم . قال الشاعر :

فلما علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسر وكاسر

يعنى غلبناهم وقهرناهم واستولينا عليهم .

مسألة : فان قال قائل أفتزعمون أنه لم يزل علياً ؟ قيل له نعم [٧١] لأنه لما كان تعالى لم يزل قاهراً مقتدراً على الأشياء كلها كما قلنا وجب أن يقال له علياً ومتعالياً . وقد وصف نفسه بأنه متعالى على جهة أنه متنزه جليل نحو

---

(١) سورة الفرقان : آية ٥٩ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ٩١ .

(٣) سورة القصص : آية ٤ .

قوله تعالى : (فتعالى الله عما يشركون)(١) .ونحو قول المسلمين تعالى الله عن وصف الجاهلين ، لأن معنى ذلك أن الله تعالى يجل عن ذلك وأنه متنزه عنه .

مسألة : فان قال أفتزعمون أنه رفيع وأنه شريف كما زعمتم أنه على ؟ قيل له إن أصل الارتفاع فى اللغة والشرف هو ما يعقل من ارتفاع مكان الشىء وإشرافه فلما لم يجز على الله تعالى أن يوصف بارتفاع المكان ولا بالإشراف لم يجز أن يقال إنه شريف رفيع . فان قال أفليس يقال فلان شريف رفيع وإنما يعنون به سؤدده وقدره وليس يعنون بذلك ارتفاع مكانه ؟ قيل له بلى ولكن أصل ذلك هو من الارتفاع والإشراف المعقولين اللذين وصفناهما فوصفوا بذلك السيد من هذا المعنى توسعاً وأرادوا أنه أرفع من غيره وأشرف فلما كان أصل هذا المعنى لا يجوز على الله لم يجب أن يوصف به ولو وجدنا فى صفاته شيئاً من هذه الحمل على المجاز دون الحقيقة . فان قال أفليس العلو أيضاً فى اللغة ، وقد يكون بمعنى الارتفاع وعلو المكان ؟ قيل له بلى وليس هذا فى المعنى الذى وصفنا الله بأنه على وإنما وصفناه بذلك على وجه ما ذكرناه . فان قال أفليس قال رفيع الدرجات ذو العرش ، قيل له بلى وقوله رفيع إنما هو رفيع الدرجات وليس بصفة الله والدرجة هى غير الله ، والله لا يوصف بأنه رفيع ولو وجدنا ذلك فى صفاته لما كان ذلك إلا على المجاز دون الحقيقة .

المجيد والماجد: هما إسمان على وزن فعيل وفاعل ، وهو مأخوذ من المجد والجلالة والعظمة ،وقد يوصف الإنسان بالمجد [٧٢] فيقال ماجد ولا يقال مجيد . والماجد هو الفاعل للمجد بالاكتساب والمجيد هو معدن المجد ، ومثله حكيم وحاكم، فالحاكم الذى يفعل الحكمة ، والحكيم معدن الحكمة .قال أبو عبيدة : المجيد معناه الماجد ، وقال غيره معناه مجيد أى كريم عزيز . وقال تعالى : (بل هو قرآن مجيد)(٢) معناه كريم عزيز . وماجد ومجيد من صفاته لذاته .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٩٠ .

(٢) سورة البروج : آية ٢١ .

الودود : قال ابن الانبارى : الودود المحب لعباده من قولهم وددت الرجل أوده وداداً وودا ، والود بفتح الواو اسم للصنم ، قال الله تعالى (وداً ولا سواعاً)(١) قال الشاعر :

بودك ما قومى على إن تركتهم ‏ ‏ ‏ سليمى إذا هبت شمال وريحها

ويروى على وجهين : بودك بالفتح والضم فمن فتح الواو أراد بحق صنمك عليك ! ومن ضم أراد بحق المودة الذى بينى وبينك ومعنى البيت ، أى شىء وجدت قومى يا سليمى على تركك إياهم فاصدقى وقولى الحق . ويقال وددت الرجل وداً ووداداً . قال الشاعر :

وددت ودادة لو أن حظى ‏ ‏ ‏ من الخلان أن لا يصرمونى

وددت الرجل ودادة ، قال العجاج :

إن بنى اللئام زهدت مالى ‏ ‏ ‏ فى صدورهم من مودده

أراد «من مودة» فأظهر الدالين لضرورة الشعر . وقال ابن قتيبة الودود فيه قولان ، يقال فعول بمعنى مفعول كما يقال رجل هيوب بمعنى مهيب ، يراد به أنه مودود ، ويقال مفعول بمعنى فاعل كقولك غفور بمعنى غافر . والمعنى أنه يود عباده الصالحين . وقد تأتى الصفة بالفعل لله جل ذكره ولعبده فيقال للعبد شكور لله أى يشكر له نعمه ، والله شكور للعبد ، أى يشكر له عمله . والعبد تواب إلى الله جل ذكره من الذنب ، والله تواب عليه .

الباعث : [٧٣] فى كلام العرب المثير المنهض ، يقال بعثت البعير إذا أثرته وأنهضته من مكانه ، وكذلك بعثت الرجل إذا أثرته من مكانه الذى مكث فيه اضطجع ، قال الأعشى :

فلا تبعث الأفعى بذاك تثيرها ‏ ‏ ‏ ودعها إذا ما غيبتها سفاتها

أى لا تثير الأفعى من الموضع الذى رقدت فيه وسفاتها يريد ما دخلت فيه من السفا وهو التراب ، وقال أيضاً :

مهلا بنى فان المرء يبعثه ‏ ‏ ‏ هم إذا خالط الهينوم(٢) والضلعا

---

(١) سورة نوح : آية ٢٣

(٢) الهينوم : كلام لا يفهم . وكتب فى المخطوطة «الهيزوم» .

يعنى إذا كان فى صدره اثار ذلك الأمر ، يهتم له. فقيل لله تعالى باعث لانه سبحانه وتعالى يبعث الخلايق بعد الموت أى يثيرهم من القبور وينهضهم من مضاجعهم. قال الله تعالى: (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)(١) . وقيل ليوم القيامة البعث، لأن الخلائق يثارون فيه من قبورهم. والباعث أيضاً أخذ من بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام إلى الناس ، أثارهم من بين القبائل والشعوب، والمعنيان جائزان فى صفة الله عز وجل لأنه باعث الأنبياء والرسل لا باعث غيره تبارك الله الباعث ! وقال المفضل :

فى قوله عز وجل من بعثنا من مرقدنا ، فقال لكل تحريك وانزعاج بعث ، وفى قراءة ابن مسعود من أهبنا من مر قدنا والمعنيان متقاربان لأن أهبنا أنبهنا : يقال أهب من نومه إذا انتبه ، قال الشاعر :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا سائلكم هل يقبل الرجل الحب

الوارث : قيل لله تعالى وارث لأنه يبقى بعد فناء الخلق كلهم فلا يكون مالك غيره سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون)(٢) .

الديان : الديان مشتق من الدين وهو الطاعة، لأن الخلق كلهم دانوا له وتذللوا فلم يفته شيء من خلقه الايقال دان له أى أطاعه ، وقيل فى صفته تعالى ديان يوم الدين ، أى إليه حساب الخلائق يوم الحساب ، وفى المثل كما تدين تدان ، كما تفعل تجازى به من خير وشر . قال ورقة بن نوفل :

واعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأنك كما تدين تدان

والدين على وجوه كثيرة ليس هذا موضعه ، والديان الذى يلى المجازاة وهو قادر عليها فيجازى كلا على استحقاقه وهو ديان يوم الدين لأنه يجازيهم

---

(١) سورة يس : آية ٥٢ .

(٢) سورة مريم : آية ٤٠ .

بأعمالهم ، وقيل إن إعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكى إليه امرأته وقال شعراً :

إليك أشكو ذرية من الذرب يا مالك الملك وديان العرب

فقال صلى الله عليه وسلم : ذلك الله عز وجل .

المنان : معناه المعطى ، يقال منّ فلان على فلان إذا أعطاه ، وقال عز وجل : (ولا تمنن تستكثر) (١) ، وقال المفسرون أى لا تعطى لتأخذ أكثر مما أعطيت من المكافأة فى الدنيا . وقال الله تعالى : (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)(٢) أى يعطيهم من فضله ، والمنان على وزن فعال وكما جاء على هذا الوزن فمعناه أن من شأنه أن يفعل ذلك * والمنان من شأنه المن بلا عطاء فتبارك الله المنان . وقيل المنان المنعم على عباده لأن المنة هى النعمة ، والمنة من الخلق هى الامتنان . ويقال امتن عليه بالعطية ومن عليه أيضاً منة ومناً وهو مذموم . قال الشاعر :

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ليس الكريم إذا أسدى بمنان

قال الله سبحانه وتعالى : (قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم)(٣) فمن الله محمود ومن العباد مذموم .

(مسألة) : فان قال قائل أفتزعمون أن الله تعالى حنان ، قيل له لا نقول له ذلك لأنه سبحانه ليس لوصفه ذلك بمعنى ، لأن الحنين هو حنين القلب إلى |٧٥| الشيء ، والله سبحانه لا يجوز أن يوصف بذلك بأن له قلباً فيوصف بالحنين . ولو سمعنا ذلك فى بعض صفات الله عز وجل لكان يجب أن يحمل ذلك على المجاز وكان لا يجوز معناه على الله عز وجل على جهة الحقيقة . فان قال أفليس قد قال تعالى ذلك وعنى به يحيى عليه السلام لأنه

(١) سورة المدثر : آية ٦ .
(٢) سورة إبراهيم : آية ١١ .
(٣) سورة الحجرات : آية ١٧ .

كان حنّاناً لوالديه ، وأراد به معناه أنه كان رحمة من الله على عباده . قال المفضل (وحناناً من لدنا)(١) أى رحمة . قال الشاعر :

ونمنحها بنو سمحى بن جزم معيزهم حنانك ذا الحنــــان

وإنما ذكر إبلاله أغير عليها ومعنى حنانك أى رحمتك يارب !! فتقول حنانك ، وحنانيك أى رحمة بعد رحمة ، ونمنحها أى نجعلها منحة يسقون غنمهم لبنها ، والمعيز المعز . وأما قوله وحناناً من لدنا أى رحمة لأبويه وزكاة أى تصدق بها على والديه . وأما حنان عندنا لا يجوز لأنه مأخوذ من الرقة كما يقال حنت الناقة إلى ولدها . وحنين الناقة على معنيين ، حنينها صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها ، وحنينها هرعها(٢) إلى ولدها من غير صوت . قال راوية :

حنت قلوصى (٣)أمس الملا ردن حتى فما ظلمت أن تحـــــنى

فلا يجوز هذا الاسم عند الله وإن كان قد قال به قوم فانا لا نقول به لأنه لا يصح معناه معنا ، ومما يؤيد قولنا ما رواه أبو عبيدة إسناداً عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : والله ما أدرى ما الحنان ؟ فهذا ابن عباس بحر العلم والقدوة فيه يقسم بالله ما يدريه فكيف يجوز لغيره القول فيه .

(مسألة) : فان قال أفتزعمون أن آمين اسم من أسماء الله تعالى ، قيل له إن قصد بقوله آمين أنه يؤمن منه الجور فعسى أن يجوز والله أعلم ، وإن كان قد قال به قوم فلسنا نقدم عليه إذا لم [٧٦] يصح معناه عندنا .

الرءوف : قال ابن الأنبارى الرءوف فى كلام العرب الشديد الرحمة . وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى (إن الله بالناس لرءوف رحيم)(٤) فى معنى

---

(١) سورة مريم : آية ١٣ . قال تعالى : (وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا) .

(٢) كتبت فى المخطوطة « ايراعها » .

(٣) القلوص من الإبل : الطويلة القوائم ، الشابة منها أو الباقية على السير . أوله ما يركب من إناثها ، والجمع قلائص وقلاص ، وقلص وقلصان .

(٤) سورة البقرة : آية ١٤٣ .

الآية تقديم وتأخير ، قال والمعنى أن الله بالناس لرحيم رءوف أي رحيم شديد الرحمة واسعها ، وقال فى الرءوف بضم الهمزة بلا إثبات واو أو من غير إثبات فى واوه . قال كعب بن مالك الأنصارى رحمه الله تعالى :

نطيــع نبينا ونطيــع رباً هو الرحمن كان بنا رءوفا

وقال جرير فى اللغة الثانية :

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الوالد الرءوف الرحيم

واللغة الثالثة أتيت رأف بعباده بتسكين الهمزة . قال الشاعر :

فأســلموا للنبى لا أباً لــكم ذى خاتم طاعة الرحمن مختوم

رأف رحيم بأهل البر يرحمهم مقرب عند ذى الكرسى مرحوم

قال الكسائى والفراء : يقال رأف بكسر الهمزة ، وقال أبو عبيدة : رءوف فعول من الرأفة وهى أشد الرحمة ، قال الكميت :

وهم الأرأفون بالناس فى الاوا (١) والأحلمون فى الأحلام

والله عز وجل هو الرءوف لأنه المتناهى فى الرحمة بعباده لا راحم أرحم منه ولا غاية وراء رحمته تبارك وتعالى الله الرءوف الرحيم *

الفتاح : قال ابن الأنبارى الفتاح فى كلام العرب الحاكم ومنه قول الله عز وجل : (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)(٢) معناه إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء . قال الشاعر :

ألا أبلغ بنى عصم رسولا بأنى عن فتاحكم غــنى

معناه عن محاكمتكم . وقال الفراء أهل عمان يسمون القاضى الفتاح . وقال قوم معنى قوله إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر ، وذلك أن أبا جهل لعنه الله قال يوم بدر اللهم [٧٧] انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لديك فقال الله عز وجل ، (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)(٣) ،

---

(١) الأوه : بالضم والشد (الداهية) .

(٢) سورة الأنفال : آية ١٩ .

(٣) سورة الأنفال : آية ١٩ .

معناه إن تستنصروا فقد جاءكم النصر ، ومن ذلك الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ،والصعاليك عندالعرب الفقراء.

قال حاتم :

غنينا زماناً بالصعاليك والغنى وكلا سقاته بكاسيهما الدهر

فما زادنا بوى(١)على ذىقرابة غنانا ولا أزرى بأعراضنا الفقر

قال غيره :

كأن الفتى لم يعز يوماً إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ما تمولا

أى لم يك فقيراً ،والصعلوك الفقير .وقال المفضل: فى قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا أى يحكم بيننا .

الحليم : قال ابن الأنبارى الحليم معناه فى كلامهم الذى لا يعجل بالعقوبة. يقال حلمت على الرجل أحلم حلماً أى لم أعجل عليه ، قال جرير الخطفان :

حلمت عن الأراقم فما استجابوا وقد أبرحت قدورهم تفور

ويقال قد حلمت فى النوم أحلم حلماً وحلماً . وقال المزمل :

حلمت بكم فى نومتى فعصيتم فلاذنب لى إن كنت فى النوم أحلم

ويروى إن كانت العين تحلم .

(مسألة) : فان قال أفتزعمون أنه لم يزل حليماً ؟ قيل له لا ، دون أن يرجع بقولنا لم يزل حليماً ، إلى أن يرد ذلك إلى غاية وأول فيقول لم يزل حليماً عن عباده منذ عصوه ، لأن الحلم من الله تعالى فعل وهو إمهاله للعباد بعد المعصية وصرفه الأسقام عنهم إذا لم يعاجلهم به ، فلما كان ذلك منه فعلا لم يجز أن يقال لم يزل حليماً كما يقال لم يزل قادراً . فان قال أفتزعمون أنه لو لم يحلم عن أهل المعاصى لم يكن حليماً ؟ قيل له كذلك نقول ، ولكن إذا كان عالماً بأن استصلاح عباده إذا خلقهم وكلفهم طاعته بأن يحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فى أول ما |٧٨| يستحقون ذلك فلا يجوز أن يحلم عنهم وأن لا يمهلهم ، ليتوب منهم من يعلم أنه سيتوب بعد ذلك من ذنوبه .

١) البوى : التقليد والمحاكاة . وكتبت فى المخطوطة « باوى » .

(مسألة) : وصفة الحلم صفة ذات ، وصفة فعل فالحليم بمعنى العليم ، ومن قوله (فبشرناه بغلام حليم)(١) يعنى عليماً فهذه صفة ذات ، والحليم من تأخير العقوبة صفة فعل والله أعلم .

المقيت : قال ابن الإنبارى المقيت فيه قولان * قال بعض المقيت الحفيظ وقال ابن عباس رحمه الله المقيت المقتدر ، واحتج بقول الشاعر :

وذى ضغن كففت النفس عنه ‏ ‏ ‏ وكنت على مساته مقيتا

معناه مقتدراً ، وعلى هذا القول أهل اللغة ، وقال بعض فصحاء المعمرين أو فصحاء العرب شعراً :

ثم من بعد الممات ينشرنى ‏ ‏ ‏ من هو على النشر يابنى مقيت

أى مقتدر . وقال أبو عبيدة : المقيت عند العرب أيضاً الموقوف على الشيء ، وينشد :

ليت شعرى وشعرن إذا ما ‏ ‏ ‏ قربوها متطوية ودعيت

إلى الفضل أم على إذا ما حسبت ‏ ‏ ‏ أنى على الحساب مقيت

معناه أنى على الحساب موقوف .

* * *

---

(١) سورة الصافات : آية ١٠١ . وكتب فى المخطوطة سهواً « وبشرناه » .

الباب العاشر

فى فضل قول لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها حقنوا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله » .

(فصل)

فى قوله عز وجل لا إله إلا هو(١) وحد نفسه وشهد لها أنه لا إله إلا هو كقوله عز وجل شهد الله أنه لا إله إلا هو .

افتتح ربنا سبحانه وتعالى الآية باسم من أسمائه وهو الاسم الأعظم الذى يفتتح الصلاة والاستعاذات والعبادات والتكبيرات وجميع المبتدءات [٧٩] من جميع الطاعات ويدل على ذلك ما تواترت به الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شرف هذه الآية وفضلها على سائر الآى ، وأنها سيدة آى القرآن ، وأن البقرة فضلت بها على سائر القرآن ، ثم اتبع هذا الاسم فنفى كل معبود سواه وهى كلمة التوحيد والإخلاص التى لا يقبل الله من عباده قولا ولا عملا ولا دينا إلا بها ، وبعث بها الرسل فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٢) . وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم: « أعلى الإيمان قول لا إله إلا الله ، وأدناه إماطة (٣) الأذى عن الطريق» . وروى جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله

---

(١) يشير المؤلف بذلك إلى آية الكرسى فى سورة البقرة ، وهى آية ٢٥٥ من سورة البقرة وأولها (الله لا إله إلا هو الحى القيوم ...) .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٢٥ .

(٣) كتبت فى المخطوطة « أماطط » .

عليه وسلم أنه « أفضل الذكر قول لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » .

(مسألة) : قال أبو بكر المقرى : لا إله إلا الله فى القرآن تسعة وثلاثون موضعاً . عن ابن عباس فى قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) .. الآية ، قال العدل شهادة أن لا إله إلا الله ، قال ابن مسعود : إن أجمع آية فى القرآن : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)(١) .. الآية . وفى قوله تعالى : (لا تستوى الحسنة ولا السيئة) (٢) .. الآية ، قيل الحسنة شهادة أن لا إله إلا الله ، والسيئة الشرك بالله . وعن ابن عباس : إذا قال العبد لا إله إلا الله أخذت عمودين فتخرق سماء سماء وصفاً صفاً من الملائكة ولها دوى كدوى النحل حتى تبلغ العرش فيقول لها حملة العرش اسكنى يا عظمة الله ، فتقول لا أسكن حتى ينظر الله إلى قائلى فلا يلتئم الخرق الذى أخرقته لا إله إلا الله حتى ينظر الله عز وجل إلى قائلها . قال ابن عباس من نظر الله إليه بالرحمة لم يعذب .

(مسألة) : فى قوله تعالى : (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) (٣) : الظاهرة هى قول لا إله إلا الله ، والباطنة ستره المعاصى للعباد ، وقيل يا رسول الله الظاهرة قد عرفناها فالباطنة ما هى ؟ قال صلى الله عليه وسلم ما لو رآك الناس عليها مقتوك . ومن قرأ على اللسان نعمة واحدة ظاهرة [٨٠] فهو قول لا إله إلا الله والباطنه فى القلب . ومن نعم الله عز وجل على عباده النفس الذى يتنفسون به ، لما روى عن عبد الله بن مفرج أنه قال : إنى أحصيت فى يومى وليلتى من وجه واحد أربعة عشر ألف نعمة ، قيل له كيف يا أبا محمد ؟ قال : قد أحصيت فى يومى وليلتى فاذا هو أربعة عشر ألف نفس . وعن سليم قال : سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اخرج فنادى من شهد أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة !

---

(١) سورة النحل : آية ٩٠ .
(٢) سورة فصلت : آية ٣٤ .
(٣) سورة لقمان : آية ٢٠ .

قال : فخرجت فلقينى عمر رحمه الله فقال مالك يا أبا بكر ؟ فقلت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج فنادى من شهد أن لا إلـه إلا الله وجبت له الجنة فقال لى : ارجع إلى رسول الله فانى أخاف أن يتكلوا عليها . قال فرجعت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ردك يا أبا بكر ؟ فأخبرته بقول عمر ، وقال عمر رضى الله عنه نعم يا رسول اتركوا الناس فليعملوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر . وعن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قال لا إلـه إلا الله مخلصاً خرقت سبع سقوف السموات فلم يلتئم خرقهن حتى ينظر الله إلى قائلها فيغفر له .

مسألة : وفى قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب ، قال ضبى قول لا إله إلا الله. وعن غسان بن مالك الأنصارى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يوافى عبد يوم القيامة وهو يقول لا إلـه إلا الله يبتغى بذلك وجهه تعالى إلا حرمه الله على النار . وعن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من مات وهو يشهد أن لا إلـه إلا الله صادقاً من قلبه دخل الجنة . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا إلـه إلا الله كلمة ألف الله بها بين المؤمنين ، فمن قالها فقد وجب أن يتبعها بالعمل وأما من قالها ولم يتبعها بالعمل لم ينتفع . وقيل يا رسول الله إن الناس قالوا [٨١] لا إلـه إلا الله فعمى علينا الكافر من المؤمن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أدلكم على الفرق فى ذلك : إن المؤمن إذا قال لا إله إلا الله اتبعها العمل الصالح ، وإذا أصبح فهمه الجنة والنار ، وإن الكافر إذا قال لا إلـه إلا الله اتبعها الفجور ، وإذا أصبح فهمه بطنه وفرجه ودنياه .

مسألة : وفى قول الله عز وجل: (وما يدريك لعله يزكى)(١) أى يقول لا إله إلا الله . وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) سورة عبس : آية ٣ .

لما قال فرعون لا إله إلا الله جعل جبرائيل(١) عليه السلام يحشو فى فيه الطين والتراب . وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال لى جبرائيل عليه السلام لو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسه فى فى فرعون مخافة أن يثنى فتدركه الرحمة . قال أبو عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لى جبرائيل عليه السلام يا محمد ما غضب ربك على أحد غضبه على فرعون إذ قال ما علمت لكم من إله غيرى . وإذا حشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى (٢) ، فلما أدركه الغرق ما فككت أحشو فاه رملا مخافة أن تدركه الرحمة .

مسألة : قيل قال موسى صلى الله عليه وسلم : إلهى علمنى عملا أنجو به من النار وأدخل به الجنة . فأوحى الله إليه يا موسى قل لا إله إلا الله فقالها ، وأوحى الله إليه قلها فقالها ثلاثاً . فأوحى الله إليه يا موسى استحققت بقول لا إله إلا الله الجنة ، يا موسى لو وضع قول لا إله إلا الله فى كفة ، ووضع جميع ما خلقت فى كفة لرجح قول لا إله إلا الله بذلك كله . وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله تطفئ غضب الرب ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم ، فاذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم وقالوا لا إله إلا الله ردت عليهم ، وقال الله تبارك وتعالى كذبهم . وقوله عز وجل :

---

(١) أدرك فرعون وهو يغرق أن سيدنا موسى كان صادقاً فآمن ولكن توبته جاءت متأخرة وفى ذلك يقول الله تعالى : (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) .
سورة يونس : الآيات ٩٠ — ٩١ .

(٢) قال الله تعالى مخاطباً سيدنا موسى: (إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى . إذهب إلى فرعون إنه طغى . فقل هل لك إلى أن تزكى . وأهديك إلى ربك فتخشى . فأراه الآية الكبرى . فكذب وعصى . ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) . سورة النازعات : الآيات ١٦ — ٢٥ .

﴿ الذين يستمعون القول [٨٢] فيتبعون أحسنه ﴾ (١) . وقال بن زيد: نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله ، وهم زيد بن عمرو ابن نوفل ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، قالوها بلا كتاب أنزل ولا رسول أرسل إلا أنهم سمعوا أقاويل الناس وكان أحسنها قولا «لا إله إلا الله» فاتبعوه والذي جاء بالصدق ، قيل قول لا إله إلا الله . وزعم هاشم عن مهاجر أن خير الكلام لا إله إلا الله . وعن زيد بن أسلم قال: قال موسى عليه السلام يا رب من الأمة المرحومة ؟ قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم يرضون بالقليل بالعطاء ، وأرضى منهم بالقليل من العمل وأدخلهم الجنة بأن يقولوا لا إله إلا الله. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في القبور ولا في النشور وكأني بهم وهم ينفضون التراب من رءوسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » . وعن أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ليس على أهل لا إله إلا الله إذا قالها مخلصاً وحشة عند الموت ولا وحشة في القبور ولا وحشة في النشور ، وكأني أنظر إليهم وهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » . وعن الحسن أنه قال : لا إله إلا الله ثمن الجنة . وعن عثمان أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « إني لا أعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينها لنا » . فقال عمر أنا أخبرك عنها التي هي إلا ضن عليها عمه عند الموت وهي شهادة أن لا إله إلا الله، قوله إلا ضن عمه أي اداره عليها يقال الضنة على كذا وكذا أي أدرته. « اليصه والأصه » . قال سعيد بن حسان [٨٣] بن عبد الرحمن بن حسان لعله الأنصاري :

أرى الدنيا معيشتها فنـــاء	فيخبطهـا وإياهـا تليـص
فان قربت قريبـا في بغـاها	وإن بعدت فنحن لها نديص

(١) سورة الزمر : آية ١٨ .

نليص ندور حولها نطلبها، وندليص نحملق إليها وهو إحداد النظر وإدارة العين •
وفى الحديث أن رجلا قتل رجلا بقول لا إله إلا الله فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم : أقتلته بعد أن قالها ؟ فقال : يا رسول الله إنما قالها متعوذاً .
فقال النبى صلى الله علية وسلم : هلا شققت عن قلبه ؟ فقال الرجل :
هل كان يبين لى ذلك ؟ فقال عليه السلام : إنما كان يعرب عما فى قلبه لسانه .

ومنه الحديث أنهم كانوا يستحبون أن يلقنوا الصبى حتى يعرب أن يقول
لا إله إلا الله سبع مرات ، يعرب معناه أى يبين .

مسألة : عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بين قبرى ومنظرى ،
ويروى ومنبرى روضة من رياض الجنة » . فبلغنا أن رجلا قام هنالك فركع
ثم أخذته السنة فرأى بين القبر والمنبر ينسل ذهب بعضه لازق بالأرض وبعضه
مرتفع وآخر قد علا حتى خرق السماء مصعداً فقال ما هذا ؟ فقال له قائل :
هذا قول لا إله إلا الله إذا قالها العبد فى نفسه، وهذا الذى ارتفع منه إذا جهر
العبد بقولها، وهذا الذى مصعد إذا قالها العبد بنية صادقة مخلصاً لله صعدت
حتى تخرق سبع سموات ثم تكون تحت العرش فتقول إلهى اعتق قائلى من النار
فيقول الله سبحانه وتعالى: وعزتى وجلالى وعلوى فوق خلقى ما نطقت لسان
عبدى بهذه الكلمة مخلصاً وأنا أريد عذابه . وقيل كان هجير أبى بكر رحمه الله
ورضيه لا إله إلا الله . ومعنى لا إله إلا الله أى لا ثانى معه ولا أحد يستحق
العبادة سواه ، ويقال هو إقرار [٨٤] بعد نفى ، ويكره أن يقول الإنسان
لا إله، ويقطع حتى يصلها بلا إله إلا الله، ومعنى هجير أبى بكر أى عادته
ودأبه .

قال ذو الرمة :

رمى فأخطأ والأقدار غالبة

فايضاع والويل هجيراه والحرب إيضاع

أى ذهب مسرعاً . وقال آخر :

فقام هجيراه لما أن غدا
عند الصباح يحمد القوم السرا

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله » . وعنه صلى الله عليه وسلم قال لحذيفة : « خير لعبد عند موته يقول لا إله إلا الله دخل الجنة ، ومن ختم عند موته باطعام مسكين أو صيام يوم أو يومين دخل الجنة ، قال حذيفة : أكتم هذا أم أعلنه ؟ قال : بل اعلنه خير » . وروى الحسن أنه دخل على جابر بن زيد رحمه الله وهو يجود بنفسه(١) ، فقال له : يا أبا الشعثاء قل لا إله إلا الله فسكت، فاشتد ذلك على الحسن ، ثم أعاد عليه القول ثانية فلم يجب فاشتد ذلك على الحسن ، وقال: رجل مثل جابر بن زيد لا يرزق عند موته شهادة أن لا إله إلا الله ، ثم أعاد عليه القول ثالثة ، فقال جابر : طال ما قلناها إن تقبلت ثم تلا قول الله تعالى: (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك ..)(٢) الآية . فقال الحسن « عالم ورب الكعبة » . ولما دفن جابر بن زيد وقف الحسن على قبره وقال : « اليوم دفن ربانى هذه الأمة » .

مسألة : وقول لا إله إلا الله كسائر العبادات وأول المفترض على المكلفين فمن لم يقصد بقولها إلى توحيد الله ولا إنفاذ العبادة على سبيل الفرض الذى أمر به ، والنفل الذى ندب إليه بعد دخوله فى الجملة التى دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن مطيعاً بل يكن عاصياً ، ومن أقر بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وصدق به لم يثبت له الإسلام بهذا وحده حتى يقر [٨٥] بالجملة بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وأنما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو الحق المبين .

---

(١) حين وفاته .
(٢) سورة الأنعام : آية ١٥٨ .

مسألة : ولا يجوز لمن يبيع السمك وغيره أن يجعل قول لا إلـه إلا الله علامة لبيع سمكه ، وذلك أن يقولها أو يرفع بها صوته ليعلم أن معه سمكاً فيصل إليه من يريد شراءه. وكذلك يكره أن من يعمل عملا أن يقول عند فراغه منه لا إلـه إلا الله فيجعل ذلك علامة لفراغه من عمله كالبناء والعداد والكيال وغيره وكل ذى عمل إذا فرغ من عمل أو بلغ منه شيئاً وأراد رفع يده قال لا إلـه إلا الله فهذا لا يجوز . وقد قيل إن الكيال إذا كال وطفف وقال لا إلـه إلا الله تقول الملائكة عليهم السلام كذبت لعنك الله لست تعرف لا إلـه إلا الله . وتفسير ذلك أنه لم يعرف حق لا إلـه إلا الله فيضيع ما أمره الله به وركب ما نهاه الله عنه ، ولو عرف حق لا إلـه إلا الله لم يركب نهى الله تعالى ولا يضيع أمره ويصر على ذلك .

مسألة : وتقول قد هيلل فلان إذا أكثر من قول لا إلـه إلا الله ، وتقول بسمل الرجل إذا أكثر من قول بسم الله الرحمن الرحيم .

قال الشاعر :

ألا بسملت ليلى غداة لقيتها ... ألا حبذا ذاك الحبيب المبسمل

وقد أكثر من الحوقلة إذا أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال الشاعر :

فذاك من الأقوام كل منجل ... يحولق أما ساله الغرف سائل

ويقال حولق وحوقل إذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، وفيه خمسة أوجه في إعرابه تقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، والثانى لا حول ولا قوة إلا بالله ، والثالث لا حول ولا قوة [٨٦] إلا بالله ، والرابع لا حول ولا قوة إلا بالله ، والخامس لا حول ولا قوة إلا بالله .

ويقال أكثر من الحمدلة إذا أكثر من قول الحمد لله ، وأكثر من الجعفلة إذا أكثر من قول جعلت فداك ، وأكثر من الحيعلة إذا قال حى على الصلاة ، وحى على كذا .

الباب الحادى عشر

فى نفى التشبيه عن الله عز وجل من كتاب الضياء
ونقض ما اعتلت به الحشوية

قال الله عز وجل يصف نفسه: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(١) فنفى أن يشبهه شيء. وقال تعالى: (هل تعلم له سمياً)(٢)، يعني مثلا ونظيراً. وقال عز وجل: (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)(٣) أى أمثالا وأشباهاً وأحدهم ند ونديد. قال جرير:

إنما تجعلون إلى نـداً   وما يتم لى حسب نديد

وقوله وأنتم تعلمون، أى تعلمون أنه لا مثيل له عز وجل، وقال سبحانه يخبر عن بعض الجاهلين يقولون فى النار: (تالله إن كنا لفى ضلال مبين)(٤) إذ نسويكم برب العالمين، فأخبر أنهم كانوا فى ضلال مبين، إذ شبهوا الخالق بالمخلوقين وشبهوا القديم بالمحدثين. وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق لأن التفكر فى الخلق يدل على أن الإنسان مخلوق وأن للمخلوقين خالقاً بائناً عنه وعن صفات المخلوقين ». وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون ». روى عن الحسن أنه قال هم الذين صوروا الله فى قلوبهم، وعن عبد الله بن مسعود أنه قال

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .

(٢) سورة مريم : آية ٦٥ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٢ .

(٤) سورة الشعراء : آية ٩٧ .

ما عرف الله من شبهه بخلقه، وعن نافع أن عبدالله بن عمر كان جالساً فى إناس فأتى رجل فقال : أيكم عبد الله بن عمر ؟ فقال : أنا ! فقال الرجل : إنى تاجر أبتغى من فضل الله وإنى قدمت هذه البلدة الليلة فاذا أنا برجل قد وسمت فيه الخير فقعدت إليه فحدثنى حديثاً ضاق به صدرى ! فقال عبد الله: ما هو فانه لا إثم به عليك إذا حدثت به عن غيرك، فقال: قال لى إن الله تبارك وتعالى لما |٨٧| أراد أن يخلق آدم لم يدرى كيف يخلقه حتى خلق مرآة فنظر فيها إلى وجهه فخلق مثاله ، فقال له ابن عمر : تعالى الله لا مثل له إن! هذا من الشيطان أراد أن يدخلك فى دينه ألا وإن الشيطان قد آيس منكم أن تعبدوا أصناماً ظاهراً فبعد رؤيته ولكنه يأتى الإنسان فيقول كيف ربك فلا يزال حتى يصف ربه بصفة الخلق فيضل ويضل ، فاذا لقيته فأخبره أن عبد الله بن عمر برىء من دينك ألا وإن نبى الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الله عز وجل فقال: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (١) . فان وسوس الشيطان لكم فقولوا له كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه سيرجع أقوام من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفاراً . فقال له رجل يا عبد الرحمن بالإحداث كفرهم أم بالجحود ؟ قال لا ولكن بالجحود : يجحدون خالقهم فيصفونه بالصورة والأعضاء والمفاصل: (أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة)(٢) تمام الآية .

مسألة : قال المسلمون من شبه الله تعالى فهو منافق وليس بمشرك، كذلك رفع عن أبى عبيدة ومحبوب رحمهما الله . ويوجد فى الأثر عن محمد بن محبوب رحمها الله أنه قال : إذا قالوا إن لله يداً كيد المخلوقين فقد أشركوا والله أعلم وإنما لم يلحقهم بالشرك لأنهم تأولوا آيات الله عز وجل على غير تأويلها فى اجتهاد منهم على أن يوافقوا العدل منها وهم مصدقون بتنزيل ما جهلوا بتأويله متمسكون بما عرفوا طالبون لما لم يعرفوا .

---

(١) سورة الإخلاص .

(٢) سورة آل عمران : آية ٧٧ .

مسألة : وعن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهط من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟ قال فغضب صلى الله عليه وسلم حتى امتقع لونه ثم واثبهم غضباً لربه ، قال فجاء جبرائيل صلى الله عليهما فأسكته فجاءه بجواب [٨٨] ما سألوه بقل هو الله أحد إلى تمام السورة ، وبلغنا أن ابن مسعود رضى الله عنه مر بحلقة وفيهم رجل من اليهود يحدثهم ، فقال : ما يحدثكم ؟ قالوا : يحدثنا عن التوراة وعن ربنا ، قال : وعن ربكم بماذا ؟ .. قالوا : يقول أن الله لما خلق السموات والأرض صعد إلى السماء من بيت المقدس فوضع رجله على الصخرة التى فيه ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا فى النصف من شعبان ، فقال ابن مسعود رضى الله عنه : إنا لله وإنه إليه راجعون ثلاث مرات ثم قال لا كفر بعد إيمان ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فهلا قلتم كما قال إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم : (لا أحب الآفلين)(١) يعنى الزائلين المنتقلين ألا فاتهموا اليهود والنصارى على دينكم ولا تصدقوهم على ما يخالف كتابكم فانهم سيضلون أكثر هذه الأمة ألا إن ربكم ليس بزائل ، ومن وصف الله زائلا فقد كفر ، ومن شبهه بشىء من الأشياء فقد كفر .

مسألة : قال أبو المؤثر رحمه الله من خطر بباله أن الله تبارك وتعالى جسم هو أو ليس بجسم أو محدوداً أو غير محدود أو يعاين بالأبصار أو ليس يعاين أو سمع بذكر هذا فعليه أن يعلم أنه ليس كذلك ، فان جهل فلم يعلم أجسم هو أو ليس بجسم أو محاط به أو ليس يرى فقد هلك . وقال بشير بن محمد ابن محبوب : إذا خطر ببالك خاطر فى الله عز وجل أنه يشبه شيئاً أو يشبهه شىء فانف ذلك عنه عز وجل فانه تعالى يقول : (ليس كمثله شىء)(٢) . وإن دعاك الخاطر أن الله تعالى فى معزل أو كيف هو أو مثل ما هو أو هو نور من الأنوار وذو طول أو عرض أو جسم أو مؤلف أو مماس الأشياء أو مباين

---

(١) سورة الأنعام : آية ٧٦ .

(٢) سورة الشورى : آية ١١ .

لها فى معزل فانف ذلك كله عنه |٨٩| عز وجل فان هذه الأشياء لا تجوز منها شىء على الله تعالى ، كما قال أحمد بن النظر رحمه الله تعالى :

وأنه شىء فما مثـــله   شىء تعالى الله عن مثل
لقوله شىء وما لم يكن   شىء فمعدوم من الأصل
وبلا حـــراك وسكون   حى بلاروح ولاوصل
لا يوصف الله بجسم ولا   شكل ولامثل ولاعدل

مسألة : وإن دعاك الخاطر أن الله يظلم أو يجور أو يأخذ أحداً بفعل أحد ، أو يعذب الوالد بفعل الولد ، أو الولد بفعل الوالد ، أو يعذب من لم يكن منه معصية فى الدنيا فأنف ذلك عنه فان هذه الأشياء لا يجوز منها شىء على الله لأن فاعلها لا يستحق أن يوصف بالحكمة والرحمة والله عز وجل حكيم رحيم . وإن دعاك الخاطر جل ثناؤه يقول الكذب أو يخلف الميعاد ، أو يخبر بخبر لا يكون المخبر عنه كما أخبر فانف ذلك عن الله تعالى فانه لا يجوز عليه شىء من هذا لأن من كان منه هذا الفعل كان سفيهاً غير عالم بالغيب والله جل ذكره وتقدست أسماؤه نفى عن نفسه شبه المخلوقين بجملة انتظمت نفى عنه كل شبه بآية محكمة غير متشابهة ولا متصرفة فى المعانى وهو قوله : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(١) وفى هذه الآية دليل على تشابه الأشياء وتفارقها وتفاوتها وهو سبحانه مدح نفسه وأنه ليس كواحد منها ولم يستثن(٢) لطيفاً من جليل ، ولا ضياء من ظلام ، ولا حى من ميت نفى عن نفسه جميع الخلايق ، من الملائكة والجن والإنس والنور والظلمة والشمس والقمر وجميع الخلق وقضى على جميعها بأنها لا تشبهه وأنه لا يشبهها |٩٠| فتعالى الله رب العالمين ، وإنما شبه الله عز وجل من جهل اللغة ومعانيها واتساع العرب فيها حين وجدوا ذكر النفس والرحمة والعين واليد والقبضة واليمين .. وغير ذلك وسياتى ذلك بأدلة واضحة عنا إن شاء الله .

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .

(٢) كتبت فى المخطوطة « يستثنى » ولعله سهو .

الباب الثانى عشر

فى تفسير النفس فى لغة العرب على معان(1) مختلفة

النفس فى لغة العرب على معان مختلفة منها ما يراد به النفس المنفوسة وهو قوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت)(2) ومنها ما يراد به التوكيد وهو قولهم وهو الحق نفسه ، يريد هو الحق وكذلك لقيته بنفسى يريدون لقيته ، ومنه قول موسى عليه السلام: (رب إنى ظلمت نفسى)(3) إنى ظلمت لا غير. والنفس الرأى والإرادة كقولهم نفس فلان فى كذا وكذا أى إرادته فيه ، وهو بين نفسين أى بين رأيين وإرادتين . كما قال دريد يذكر حماراً :

تذكر من أنى ومن أين شربه   يؤامر نفسه كذى الهجمة الإبل

والنفس: الضمير وما فى قلب الإنسان ، والنفس: العين التى تصيب الإنسان. والنفس : الدم كقولهم امرأة نفساء ، فالنفس المنفوسة عن الله منفية لأنها لا تكون إلا للمخلوقين لأنهم بها يحيون وبها يموتون ، والله تبارك وتعالى لا يشبهه من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . فمن زعم أن لله تعالى غيره فى حاله فيه ، فقد أعظم على الله الفرية جل الله عما قال المبطلون علواً كبيراً .

مسألة : فان قال فما معنى قوله تعالى : (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك)(4) ، وقوله عز وجل: (ويحذركم الله نفسه)(5) ، قيل له معنى ذلك فى التفسير تعلم غيبى ولا أعلم غيبك ، ويحذركم الله نفسه أى عقوبته ؛

---

(1) كتبت فى المخطوطة « معنى » ولعله سهو .

(2) سورة آل عمران : آية 185 .

(3) سورة النمل : آية 44 .

(4) سورة المائدة : آية 116 .

(5) سورة آل عمران : آيتا 28 ، 30 .

قيل ولا أعلم ما فى نفسك أى لا أطلع على غيبك . ويقال لا أعلم ما [٩١] علمك ، وقال المبرد تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم ، وقال المفضل تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك، وقال أيضاً فى قوله : (ويحذركم الله نفسه)(١) أى يخوفكم الله إياه ونفس الشىء هو الشىء ، ومنه (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم)(٢) أى يقتل بعضكم بعضاً وهو كثير فى كلام العرب وشعرها . قال الأعشى :

يوماً بأجـود نائلا منـه إذا   نفس البخيل تجهمت سؤالها

يعنى إذا البخيل تجهم سؤاله، وقوله عز وجل : (كتب ربكم على نفسه الرحمة)(٣) أى على ذاته لا على سواه، ومثله : (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم)(٤) أى لذاتكم ولكم لا لغيركم . ومنه قول ذى الرمة حين احتضر :

يا قابض الروح من نفسى إذا احتضرت
وغـافر الذنب زحزحنى عن النـار

يعنى يا قابض الروح من جسدى وذاتى لا غير ذلك ولا سواه .

قال جرير يهجو الفرزدق :

وشبهت نفسك أشقى ثمـود   فقالوا ضللت فلم تهتـدى

يقول شبهت أنت أشقى ثمود لأن نفس الفرزدق غيره . وقوله تعالى : (كتب ربكم على نفسه الرحمة)(٥) هى مثل ذلك يقول حكم ربكم بالرحمة لمن أطاعه ، ولا يجوز أن يقال فرض الله على نفسه لأن الكتابة فرض ألا ترى إلى قوله تعالى : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)(٦) . وقال تعالى :

---

(١) سورة آل عمران : آية ٢٨ ، ٣٠ .
(٢) سورة النساء : آية ٦٦ .
(٣) سورة الأنعام : آية ٥٤ .
(٤) سورة الإسراء : آية ٧ .
(٥) سورة الأنعام : آية ٥٤ .
(٦) سورة المائدة : آية ٤٥ .

(كتب عليكم الصيام) (١) .. الآية ، هذا كتابه فرض . وقوله تعالى :
(كتب الله لأغلبن أنا ورسل) (٢) يقول حكم الله . والنفس أيضاً القوة
تقول العرب ما له نفس أى قوة ، ويقال منه بيت امرئ القيس :

فلو أنهـا نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسـا

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٣ .

(٢) سورة المجادلة : آية ٢١ . وفى المخطوطة كتب سهواً « ورسوله » بدلا من « ورسلى » .

الباب الثالث عشر

(فى الوجه)

الوجه عند العرب على معان مختلفة أحدها(١)يراد به الشيء نفسه. تقول [٩٢] العرب هذا وجه الأمر ، ووجه الرأى ، ووجه القوم ، ووجه المتاع إذا أخبرت عن الشيء بعينه ، وهذا وجه الطريق هو الطريق بعينه . ويقولون إنى لأكره أن أرد وجهك ، يراد به إنى لأكره أن أردك . والمعنى الثانى أن تقول ما أعرض وجه فلان ، ولفلان وجه مشرق يراد به الانبساط فى تجارته والقدر عند قومه . والمعنى الثالث هو الوجه فى الرأس . والمعنى الرابع يقال كيف وجه العمل فهو هذا الأمر يراد به هذا السبيل يؤتى له . والمعنى الخامس يقال هو وجه من وجوه قومه ، يراد من عظمائهم . وكل هذه المعانى عن الله منفية إلا المعنى الأول وهو أن وجه الشيء هو الشيء نفسه لا غيره .

مسألة : فان قال قائل فما معنى قوله عز وجل : (إنما نطعمكم لوجه الله)(٢) قال الكلبى طلب ثواب الله ، وقال المفضل أى لقصد رضى الله عز وجل. الوجه القصد إلى الشيء والعمل فيه ، وأنشد الفراء :

الحمد لله حمداً لا نفـاذ له ... رب العباد إليه الوجه والعمل

وقال غيره قوله لوجه الله أى لله ، كما قال زيد بن عمر فى الجاهلية :

أسلمت وجهى لمن أسلمت له ... المزن تحمـل عذباً زلالا

أسلمت وجهى لمن أسلمت له ... الأرض تحمـل صخراً ثقالا

أسلمت وجهى أى نفسى لمن انقادت له الأرض والمزن . وقوله عز وجل: (فأينما تولوا فثم وجه الله) (٣) ، والآخر فثم الوجه إلى الله ، يراد فثم تلقاء

---

(١) كتبت فى المخطوطة سهواً « أحدهما » بالتثنية .

(٢) سورة الإنسان : آية ٩ .

(٣) سورة البقرة : آية ١١٥ .

القبلة الكعبة والوجه إلى الله عز وجل . وقوله عز وجل :(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)(١) ، وقيل فى قوله عز وجل . (كل شيء هالك إلا وجهه)(٢) أى كل الأعمال تضمحل زائل نفعها إلا ما التمس به وجه الله عز وجل وتقرب به إليه ، وقيل كل شيء هالك إلا وجهه ، إلا الله عز وجل . وقال أحمد بن النظر :

[٩٣] وقال وكل شى هالك غير وجهه ... وأين تولوا وجهه تجدوه ثم
وقال لوجه الله لله فاعملوا ... أراد وهذا فى اللغات وفى الكلم
كقولك وجه الأمر للأمر نفسه ... وما وجهه وجهاً يحد كما زعم
فمعنى الذى أعددت فى الوجه كله ... هو الله ذو الآلاء والبارئ النسم

لا يجوز أن يكون لله عز وجل وجه على ما يعقل من وجوه الأجسام، لأن الله تعالى ليس بجسم ، ولا يجوز عليه التبعيض فيكون وجهه بعضه . لأن من كان كذلك كان ذا تركيب وتصوير وكان تركيبه قاضياً على حدوثه ، كما أن تركيب الأجسام قاضياً على حدوثها لأن من جاز عليه الاجتماع جاز عليه الافتراق ، ومن جاز عليه الاجتماع والافتراق فلابد أن يكون محدثاً. فلما كان الله عز وجل قديماً لم يجز عليه الاجتماع والافتراق، ولم يجز أن يكون ذا أبعاض، ولا الذى يكون جسماً لم يجز أن يكون ذا وجه على ما يعقل من وجوه الأجسام، وكان قوله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه)، وكذلك قوله : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) إنما هو على جهة التوسع والمجاز إذ كان عند العرب مستعملا معروفاً، ومعنى وجهه هو سبحانه وتعالى.

وقال بعض المشبهة من أهل الكوفة إن لإلههم وجه وأنه يعنى سائر الأوجه، عز الله اسمه عن قولهم وعلا علواً كبيراً!! وفى هذا المذهب والاعتقاد شعر مروى يذكر فيه هذا المذهب والاعتقاد تركته . اختصاراً .

---

(١) سورة الرحمن : آيتا ٢٦ — ٢٧ .
(٢) سورة القصص : آية ٨٨ .

الباب الرابع عشر

(فى العين)

العين فى كلام العرب على معان مختلفة كثيرة يطول بذكرها الكتاب وأنا أذكر بعضها للحاجة إليه . منها ما يراد به الجارحة وهى العين المركبة فى الرأس ، ومنها ما يراد به الحفظ والمشاهدة [٩٤] ومنها ما يراد به الدلالة ، ومنها ما يراد به العقوبة ، ومنها ما يراد به الجودة ، ومنها ما يراد به الجاسوس. والعين القبلة ، والعين الدينار ، كما قال أبو المقدام :

حبشى له ثمانون عينا — بين عينيه قد يسوق آفالا

وفى العين أكثر من هذا تركته اختصاراً . والعين المركبة فى الرأس المصورة فهى عن الله منفية ، وقيل إن كل جارحة محدودة والله سبحانه وتعالى ليس بمحدود ولا مختلف ولا متغاير ولا متآلف فهو قدير ، بذاته لا بقدرة سواه ، وبصير بذاته لا يبصر سواه ، وعليم بذاته لا يعلم بعلم سواه ، وسميع بذاته لا يسمع سواه ، وهذه صفة من (ليس كمثله شىء) (١) ، وإنما تأولت المشبهة وقالت إن لله عيناً وجارحة بقوله عز وجل: (ولتصنع على عينى)(٢) ، وبقوله: (تجرى بأعيننا)(٣) وسيأتى ما قاله أهل العلم والتفسير وبالله التوفيق .

مسألة : أما العين التى يراد بها الحفظ فهو قولهم أنت بعين الله ، أنت فى حفظ الله ، ومشاهدته ،أى أنت لا تخفى على الله وهو معك يحفظك.

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .

(٢) سورة طه : آية ٣٩ .

(٣) سورة القمر : آية ١٤ .

وأما العين التى يراد بها الدلالة فهو قولهم هذا عين العدو وهذا عين الخليفة ، يريدون بالعين ها هنا الإنسان نفسه ، وأما العين التى يراد بها الجودة فهو قولهم هذا ما لنا وإبلنا وبقرنا وغنمنا ، وعين السوق يقولون هذا عين مالنا وخير شىء فى سوقنا ، ويقال أيضاً لكل شىء عين . ألا ترى أنهم يقولون عين من الأعيان مثل شىء من الأشياء .

مسألة : وأما تأويل قوله عز وجل :(ولتصنع على عينى) فقد قال ابن عباس : لتربى على(١) كلايتى . وقال غيره على علمى وحفظى . وقال المفضل : تربى وتغذى على عينى أى بمرأى منى لا أكلك إلى غيرى ، [٩٥] ومنه يقال صنعت الشىء إذا أحسنته ، وصنعت الفرس إذا أحسنت غذاءه حتى يستوى : قال زهير يصف فرساً :

تميماً صنعناه فأكمل صنعه　　　فتم وغرته يداه وكاهله

وقال أبو عبيدة : على عينى أى على ما أريد وأحب . قصاً شكت لى على عينى أى على ما أحببت وأردت . وكذلك تجرى بأعيننا معناه بحفظنا وعلمنا حيث لا يخفى علينا مكانها ، وكذلك قوله سبحانه:(واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) (٢) ، كل هذا على الحفظ والمشاهدة والكلاية والأشياء كلها بعين الله ونظره على الإحاطة بها لا على الجارحة تعالى الله علواً كبيراً !!

وقال فقول الله جل ثناؤه　　　بأعيننا تجرى سفينته أمم
فما العين قلت العين منه اقتداره　　　ومن حفظه كيلا تشطى وتنحطم
بعينك هذا المال قلت ولم أرد　　　به العين دون الحفظ فاعقد به رتم
وفى غير هذا العين سام وعسجد　　　وغيبة غيث أنتجت عينها الرهم

---

(١) على : زيادة من عندنا .

(٢) سورة الطور : آية ٤٨ . وكتب فى المخطوطة « فاصبر » سهواً بدلا من « واصبر » .

الباب الخامس عشر

(فى اليد)

اليد فى كلام العرب على معان مختلفة منها ما يراد به الشىء نفسه ، ومنها ما يراد به الملك والقدرة ، ومنها ما يراد به المنة والعطية. وأما ما يراد به الشىء نفسه فهو قوله عز وجل (لما خلقت بيدى)(١) أى ما وليت أنا خلقه [دون غيرى ، واليد هاهنا صلة فى الكلام وهو مثل قوله تعالى: (ذلك بما [قدمت أيديكم)(٢) يريد ما قدمت أنت أيها العبد . ويقال فى اللغة هذا ما جنته يداك ، ومثله فيما كسبت أيديكم . قال الشاعر :

أبكيك للدنيا وللدين اننى رأيت يد المعروف بعدك شلت

وإنما يريد المعروف نفسه وكذلك قوله عز وجل(أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً)(٣) أى خلقنا نحن . وأما اليد التى يراد بها الملك بقولهم الملك فى يد فلان ، والمال والأمر فى |٩٦| يد فلان ونحو ذلك ، يريدون أن فلاناً لذلك مالك وعليه قادر ، وأما اليد التى يراد بها المنة والعطية فهو كقول القائل لى عندك يد ولك عندى مثل ذلك يعنى منته ونعمته ، وتصديق ذلك قوله عز وجل: (إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)(٤) يعنى منة الله

---

(١) سورة ص : آية ٧٥ .

(٢) سورة الأنفال : آية ٥١ .

(٣) سورة يس : آية ٧١ .

(٤) سورة الفتح : آية ١٠ .

فوق منهم . ألا ترى إلى قوله تعالى: (قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم) (١) . واليد النعمة السابغة وهى إحدى الأيادى. واليد القوة .

قال الشاعر :

تحملت من دلفاء ما ليس لى به ولا للجبـال الراسيات يدان

أى القوة والطاقة . وأما اليد المحدودة التى هى أداة وجارحة فهى عن الله منفية تعالى الله عن صفة المحدودين !؟

مسألة : فان قال قائل ما معنى قوله عز وجل: (بل يداه مبسوطتان)(٢) قيل له قال المفسرون: نعمته وقدرته دائمتان لا يقبضهما شىء واليد ها هنا النعمة.

قال حارث بن خالد المخزومى :

ولها علينـــا نعمة سلفت لسنا مع الهجران نجحدها
لو تممت أسباب نعمتهـــا تمت بذاك عندنا يدهـــا

وقال آخر :

تكن لك فى قومى يد يشكرونها وأيدى الندا فى الصالحين فروض

أى يريدها هنا النعمة ، وقال جرير :

يا بنى الخليفة يا معاوى إننى أرجو فضولك فاتخذ عندى يدا

يقول اتخذ عندى نعمة ومعروفاً وإحساناً. (بل يداه مبسوطتان)(٣) يعنى نعمته نعمة الدين ونعمة الدنيا ، وقالوا النعمة الباطنة والنعمة الظاهرة ، وتجمع الأيدى على يد وأيادى ، ويجمع يدياً على فعيل مثل عبد وعبيد .. وأنشد :

أيد لهم بيض إذا ذكرت عمت وطالت فوق كل يدى

[٩٧] وأنشد الفراء :

فلم أذكر النعمان إلا بصالح فان له عندى يدياً وأنعـــما

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٧ .
(٢) سورة المائدة : آية ٦٤ .
(٣) سورة المائدة : آية ٦٤ .

وثنى اليد : يدان، على صورتهما، ويدان ترد إلى الأصل فتطرد الياء التى هى لام الفعل ، وكذلك يفعلون فى كل اسم ناقص ، وأنشد للفراء :

يديان بيضاوان عنـــد محلم ... قد يمنعا بل بينهم أن تهضما

فعلى هذا المعنى قوله عز وجل: (بل يداه مبسوطتان)(١) لا على إثبات اليد التى هى جارحة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !!

مسألة : فان قال قائل من المشبهة أن لله تعالى يدين واحتج بقوله : (خلقت بيدى)(٢) لزمه أن يقول إن له أيدياً لقوله تعالى: (عملت أيدينا أنعاماً)(٣) وهم لا يقولون ذلك ويناقضون قولهم وهم لا يشعرون . كما قيل:

تروى أحاديث ويروى بعضها ... تكذب ببعض ذاك بعضهـــا

ولقد أجاد وأحسن أحمد بن النظر حيث يقول :

وقالــوا لــه كلتـا يديـه برزقه ... على خلقه مبسوطتـان وبالنعم
وداود ما ذو الأيدى فالأيد قوة ... وأما الأيادى فالصنايع والنعم
فتلك يد الإحسان والعرف لا يد ... كما زعموا موصولة الكف والقدم

فصل فى اليمين :

اليمين فى كلام العرب على معان مختلفة، منها ما يراد به الشىء نفسه ، ومنها ما يراد به القدرة ، ومنها ما يراد به الرفعة ، ومنها ما يرد به الحلف ، ومنها ما يراد به القوة . فأما التى يراد به الشىء نفسه فهو قولهم هذا ملك يمينى يعنى هذا ملكى ، وأما اليمين التى يراد بها القدرة فهو قوله عز وجل (والسموات مطويات بيمينه)(٤)، وأما اليمين الذى يراد بها القوة قوله: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين) (٥) أى بقوة منا عليه ؛

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٤ .

(٢) سورة ص : آية ٧٥ .

(٣) سورة يس : آية ٧١ .

(٤) سورة الزمر : آية ٦٧ .

(٥) سورة الحاقة : الآيتان ٤٤ — ٤٥ .

وأما اليمين التى يراد بها الجارحة فهى عن الله منفية لأنها من صفات المخلوقين وليست من صفات رب العالمين .

[٩٨] مسألة : فان عارض معارض بقوله عز وجل : (والسموات مطويات بيمينه)(١) ، قيل له ليس ذلك كطى الناس الشىء بيد ونصب وعلاج بل الطى الفناء والذهاب وهو معروف فى لغة العرب .. قال الشاعر :

طوى الموت فيما بينى وبين محمد   وليس لما تطوى المنية ناشر

وقال آخر :

مر الليالى أسرعت فى تقضى   طوين طولى وطوين عرضى

أى أفنين ، وأما قوله بيمينه فانه إخبار عن القدرة والملك . قال الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

أى بالقدرة والقوة. وقال بعض المفسرين مطويات بيمينه أى ذاهبات بقسمه لأنه تعالى أقسم ليفنيها. وقال قتادة وغيره (والسموات مطويات بيمينه) أى فى ملكه وسلطانه . واليد واليمين قد يستعملان كثيراً فى اللغة على معنى الملك ، ومنه قولهم: كن بما فى يد الله أوثق بما فى يد غيره، يريدون بما فى ملك الله عز وجل . ومنه قوله عز وجل (أوما ملكت أيمانكم) (٢) معناه وما ملكتم . وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم و (ما ملكت يمينك)(٣) يريد وما ملكت ، وليس أنه يريد ملك الشىء بيمينه دون شماله وهذا توسع ومجاز فى اللغة فى كلامهم إذ كان معروفاً فى كلامهم .

---

(١) سورة الزمر : آية ٦٧ .
(٢) سورة النساء : آية ٣ . وفى المخطوطة كتبت « وما » بدلا من « أو ما » .
(٣) سورة الأحزاب : آية ٥٢ .

الباب السادس عشر

(فى القبضة)

القبضة فى كلام العرب على معان مختلفة ، منها ما يراد به الملك والقدرة ومنها ما يراد به النفس ، ومنها ما يراد به إفناء الشىء ، ومنها ما يراد به قبضة الأرواح. فأما ما يراد به الملك والقدرة قولهم ما فلان إلا فى قبضتى ، يريد إلا فى ملكى وقدرتى ، ومنه قولهم قد قبض فلان الأرض ليس أنه قبضها [٩٩] بيده ، وإنما يعنى أن ذلك قد صار فى ملكه . أما القبضة التى هى إفناء الشىء فهو قولهم قبضه الله إليه : يعنون قد أفناه الله من الدنيا لا إنه قبضه الله القبضة المعقولة بيننا باليد التى هى الجارحة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

مسألة : فان قال قائل ما معنى قوله عز وجل : (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) (١) ، قيل له قد روى عن ابن عباس رحمه الله والحسن وقتادة أنها فى قدرته وسلطانه وملكه ، وقال غيرهم يعنى ذاهبة فانية يوم القيامة بقدرة الله تعالى وهو القادر على فنائها ، وجائز أن يقال الأشياء فى قبضة الله تعالى أى فى ملكه لا قبضة جوارح إذ الجوارح عن الله منفية تبارك وتعالى .

مسألة : فان قال قائل فما معنى قوله عز وجل : (والله يقبض ويبسط)(٢) قيل معناه يقتر ويوسع على من يشاء ليس يعنى به قبضة اليد التى فيها الأصابع ولا بسطها ولو كان ذلك كذلك لما جاز أن يكون قابضاً باسطاً فى حالة واحدة ، والله تعالى فى حال واحد يقبض الرزق ويبسط على من يشاء ، وفى الحال

---

(١) سورة الزمر : آية ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٤٥ .

التى هو فيها قابض عن هذا باسط على هذا ويفعل أفاعيل مختلفة سبحانه فى حال واحدة لا يعجزه شىء مما يريده بل هو تعالى على كل شىء قدير .

مسألة : وأما ما رووا « أن بنى آدم بين أصبعى الله يمليه كيف يشاء » فان كان الحديث حقاً فمعناه عندنا أنه مثل لهم قدرته بأوضح ما يعرفون من أنفسهم لأن الرجل منهم لا يكون على شىء أقدر منه على الشىء إذا كان بين إصبعيه. ألا ترون إلى قولهم: ما فلان إلا فى يدى وإلا فى كفى وإلا فى خنصرى، إنما يريد تثبيت القدرة ، أى أنا عليه قادر وله ظاهر لا يمنعه منى شىء ، ليس يريد أن الخنصر تحويه ولعله يكون أشد بطشاً وأعظم جسماً ولكنه أراد بذلك تثبيت القدرة عليه . وأما القبضة بالجوارح |١٠٠| فهى منفية عن الله عز وجل: وقد ذهب بعضهم إلى أن قولهم صلى الله عليه وسلم: «بين إصبعين » أى بين نعمة من نعمه أحدهما هى سوق الخير إليه والفسحة فى التماس الرزق إليه ، والأخرى هى صرف الشر عنه . قال أبو عمر والشيبانى : يقال إن فلاناً على إبله إصبعاً ، إذا أطعمها وأحسن إليها. قال الراعى يصف إبلا:

بسوقهـا بادى العـروق ترى ... له علينا إذا ما أجدب الناس اصبعا

أى أثراً حسناً ، وقال آخر :

من يجعل الله عليـه إصبعا ... فى الخير أو فى الشر يلقاه معا

الإصبع ها هنا النعمة والمنة لا غيرها . وقال آخر :

أغر كلون البدر فى كل منصب ... من الناس نعمى يحتذيها وإصبعا

الإصبع ها هنا الأثر الحسن .

الباب السابع عشر

(فى الحجاب والتجلى)

ذكر أهل الجهل أن الله سبحانه وتعالى احتجب بحجب ساترة له، وكذبوا ليس بين الله وبين خلقه حجاب ، ولو كان محتجباً لم يحتجب عن الحجب والحجب خلق من خلقه ، والله سبحانه وتعالى لم يحتجب عن خلقه بخلقه ولا شيء غيره . ولو جاز أن يحتجب بخلقه كأنما احتجب به مرتفعاً إليه محتاجاً . ومن وصف الله تعالى بهذه الصفة ألزمة الحاجة والفقر، وهو الكفر بالله مع التحديد له لأن من كان محجوباً كان محدوداً .وأما قوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب)(١)، فعن على فى هذا: ما كان لبشر أى ما ينبغى لبشر . كما قال: (ما كان لله أن يتخذ من ولد)(٢) يقول، ماينبغى لله أن يتخذ ولداً نظيره (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله)(٣) . وروى عن على أنه قال إن الله حجب الكلام الذى سمعه موسى عن أهل السماء والأرض فلم يسمع ذلك إلا موسى عليه السلام وهذا أحسن ما قيل فى هذا الباب .

وقال بعض العلماء إن الحجاب فى |١٠١| اللغة على ضربين حجاب ساتر وهو مثل الستر ، وحجاب وهو منع وإن لم يستر . فلما كان موسى عليه السلام غير جائز منه الرؤية لله تعالى ولم يكن الله تعالى يجوز ذلك عليه جاز أن يقال موسى محجوب عن الله ، كما أن الرجل قد يريد أن يتكلم فيمنعه مانع فيقول حجبنى فلان عن الكلام . ويقال حجبنى خوف الله تعالى عن المعاصى ، ويقال الضرير محجوب وليس هنالك حجاب

---

(١) سورة الشورى : آية ٥١ .
(٢) سورة مريم : آية ٣٥ .
(٣) سورة الأحزاب : آية ٥٣ .

ساتر ، وكذلك عندهم موسى عليه السلام محجوب عن الله تعالى ، إذا كان تبارك وتعالى لا تجوز عليه الرؤية ولا يرى لأنه قديم .

مسألة : فان قال قائل فما له لا يرى ؟ قيل له لأنه شىء لا كالأشياء ولا يشبهها سبحانه! لايرى فى آخرة ولا دنيا،لأنه لا يتغير أبداً . ويقال لهم هل ترى ذلك العين الذى من أجله لا يرى ؟ فان قيل يرى قيل لهم فما هو ؟ فان أشاروا إلى شىء من الأشياء لزمهم أن يلزموا معبودهم الحاجة إلى الأشياء تعالى الله الغنى عن جميع الأشياء !

مسألة : وأما ما رووه فى الحديث من الدنو من الله تعالى إلى غيره والقرب منه فانما ذلك على سرعة الإجابة والمنزلة . ألا ترى أن العرب يقولون أتينا فلان فأسرع إلينا ، يعنون إلى إجابتنا وإلى ما سألناه .وقال عز وجل: (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى فليستجيبوا لى) (١) أى فاستجيبوا إلى طاعتى ، وقال المفسرون فليستجيبوا لى ،أى فليجيبونى إلى ما أمرتهم به . يقال إجابة واستجاب له بمعنى .

قال سعيد بن كعب الغنوى :

وداع دعا يا من يجيب إلى الندا   فلم يستجبه عنـد ذاك مجيب

القول فى التجلى :

التجلى فى كلام العرب ولغتهم هو ظهور الشىء فقد يظهر بوجهين مختلفين فيظهر جهرة ويظهر [١٠٢] بدلالة ، ألا ترى إلى قول القائل : قد والله تجلى لى هذا الشىء . والذى يتجلى جهرة لا يكون إلا جسماً أو هيئة أو فعلا مشهود الأن الأبصار لا تدركه إلا ما كان كذلك . والتجلى من الخالق سبحانه وتعالى إنما هو بالدلالات والبينات ليس بجسم ولا عرض فيتجلى جهرة ، وإنما معنى قوله عز وجل (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً)(٢) أى تجلى بآية من آياته ، فلم يطق الجبل حمل تلك الآية وصار دكاً .كما قال تعالى:

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٦ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٤٣ .

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ (١) .
وكذلك كان الجبل دكاً على ما ذكرنا من خشوع الجبل ، والآية التى تجلى بها الجبل هى من أعلام القيامة وهى غير الله سبحانه وتعالى: والله المتجلى والتجلى غيره، والمتجلى خالق والتجلى والمتجلى له مخلوقان لأنهما غير الله تعالى .
وقد قالوا فى دعائهم بلغاتهم سبحانك خلقت من آياتك وعجائب تدبيرك ما تجليت به لخلقك فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسها من وحشة الفكر فيك فهذا على سعة كلامهم ،لأن الله انكشف وظهر ، تعالى الله عن ذلك !!

قال الشاعر :

تجلى لنا بالمشرفى وبالقنـــــا   وإن كان عن وقع الأسنة نائيا

يريد تجلى وكشف لنا عن أمره وشدته، حتى بان لنا ذلك، ولم يرد بذلك انكشافه وظهوره وإنما هو على سعة الكلام والمعنى مختص على غير هذا اللفظ .

---

(١) سورة الحشر : آية ٢١ . وكتب فى المخطوطة سهواً « ولو » بدلا من « لو » .

الباب الثامن عشر

(فى الزوال والمجيء)

زعمت المشبهة أن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان، فوصفوه سبحانه وتعالى بالحدود والزوال والحركة من مكان إلى مكان لأن النازل لا يكون إلا فى مكان ، وكل من حوته الأماكن فهو محدود وكل محدود مختلف، وكل مختلف متغاير بعضه لا يشبه بعضاً ، وكل من كان زائلا منتقلا كان عن بعض |١٠٣| تدبيره بنفسه غائباً لأنه إذا زال إلى المشرق زال عن تدبيره بالمغرب ، وإذا غاب إلى المغرب غاب عن تدبيره بالمشرق ، وإذا كان فى سماء الدنيا غاب عن تدبيره فى سائر السموات وكانت الأشياء به محيطة والأماكن له حاوية . وقد قال الله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم)(١)، وقال عز وجل (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)(٢) .. الآية .

سؤال : يقال لهم ألستم تزعمون أن الله سبحانه وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان ؟ فان قالوا نعم ، يقال لهم أليس قد مضى شعبان؟فان قالوا نعم، يقال لهم فهل علمتم أنه عاد إلى العرش بعد الزوال ؟ فان قالوا نعم ، قيل وما علمكم أنه عاد إلى العرش ولعله فى بعض السموات ؟ فان قالوا قد علمنا أنه عاد إلى العرش، قيل لهم فى حديثكم الذى قد رويتم أنه ينزل وأنه يعود، فان قالوا لا ، قيل فما علمكم بأنه ينزل أو يعود وليس ذلك فى حديثكم ؟

مسألة : ويقال لهم ألستم ترون أن السبع السموات والأرضين السبع فى جنب العرش كحلقة فى أرض فلاة ؟ فان قالوا نعم ، قيل لهم كيف تزعمون أنه ينزل إلى السماء الدنيا مع صغرها فى جنب العرش ؟ ويقال لهم ما أعظم ؟

---

(١) سورة الحديد : آية ٤ .

(٢) سورة المجادلة : آية ٧ .

سماء الدنيا أم العرش ؟ فان قالوا العرش ، قيل لهم العرش أعظم أم من تعبدون؟ فان قالوا من نعبد ، قيل لهم أتعقلون شيئاً عظيماً يحويه أصغر منه ويحيط به، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مسألة : وأما تأويل قوله عز وجل: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)(١) و(هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام)(٢) يقول جاء ربك بقضائه والحساب ، وهل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالثواب والعقاب ، والملائكة والجزاء وغير ذلك من أمور الآخرة فى ظلل من |١٠٤| الغمام يقول يجعل ذلك الغمام علماً بينه وبين خلقه ، إذا جاء الغمام علموا أنه قد جاءهم القضاء والجزاء ، كما جعل الغمام فى الدنيا علماً للغيث وغير ذلك من الأشياء، ليس أنه يجيء ويذهب منتقلا ولا زائلا تعالى من (ليس كمثله شيء)(٣) ، وقال الكلبي : وجاء ربك ، أى وجاء أمر ربك والملك معه ، وقال الحسن : وعد ربك ومعناهما قريب . وروت المشبهة أنه جل ثناؤه ينزل يوم القيامة حتى يجلس على كرسى القضا، ثم يقول أنا ربكم فينكرونه ويكادون يباطشونه عز الله عن ذلك ! فيكشف لهم عن ساقه فيخرون له سجداً . فهذا الكفر بالله العظيم لأنهم وصفوه جل ثناؤه جسماً محدوداً ، ثم زعموا أن المؤمنين لا يعرفونه إلا كذلك وهى صفة المحدودين تعالى الله عن ذلك ! !

جواب : يقال لهم أما قوله عز وجل: (يوم يكشف عن ساق)(٤) فان معناه شدة أهوال يوم القيامة ، وقال الحسن ساق الآخرة وهو الستر الذى بين الدنيا والآخرة . ويقال كشفت الحرب عن ساق إذا اشتد أمرها ، وأنشد أبو عبيدة لقيس بن زهير العبسى(٥) :

إذا شمرت لك عن ساقها فويها ربيع ولا تسأم

---

(١) سورة الفجر : آية ٢٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٠ .

(٣) سورة الشورى : آية ١١ .

(٤) سورة القلم : آية ٤٢ .

(٥) العبسى وليس « الغيبى » كما كتب فى المخطوطة .

ورواه غيره إذا كشفت لك وهو واحد ، وكشف اليوم عن ساقه
وقال سعد بن مالك وهو جد طرفة :

كشفت لكم عن ساقها وبدا من الشر البراح

وقال آخر :

ليت شعرى عن خليلى إذا ما شمرت عن ساقها الحرب ضحى

وقال آخر :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها
وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

يريد عن شدتها . وقال عبد الله بن بديل(١) فى معاوية :

|١٠٥| أتتك الرجال رجال العراق تقود إلى الشام قبأ عتاقا
ودارت رحاها على قطبها جهاراً وشمرت الحرب ساقا

وقال أحمد بن النظر :

ويكشف عن ساق فتلك كراهة وشدة أمر تأخذ النفس بالكظم
كقولك قامت بالقنابل والقنا على ساقها الهيجاء نيرانها جذم
وشمرت عن ساق فاحذرت طالبا شعيباً فجاءتنى تفيض إلى الوذم

الوذم : ما بين العروتين الواحدة وذمة فهذا لعله تأويل الآية ، لا ما ذهب إليه المشبهة تعالى الله عن صفة المخلوقين !

• • •

(١) هو عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى .

الباب التاسع عشر

(فى النظر والرؤية وتفسير الآيات والمتشابهات)

النظر فى كتاب الله عز وجل وفى لغة العرب على معان مختلفة ، منها النظر على وجه الانتظار ، ومنها نظر على وجه الاتكال ، ومنها نظر على وجه الاختيار ، ومنها نظر على جهة الحكم ، ومنها نظر على جهة التثبيت ، ومنها على جهة العائدة والرحمة ، ومنها على جهة التوفيق ، ومنها على جهة العلم ، ومنها نظر جهرة . فأما النظر على جهة الانتظار قولهم ، ما أنظر إلا إلى الله ثم إلى فلان ، ولعل فلاناً عنه غائب فى أرض أخرى ، وإنما يعنى ما يكون من تأويله وفضله والآية .

وأما النظر الذى على وجه الاتكال ، فقولهم إنما أنظر إلى أن يرزقنى الله ويعطينى وإلى ما يجرى من ذلك على يديك أى فأنا أتكل على ذلك . وأما نظر الاختيار فقولهم انظر إلى أى اختر لى . وأما نظر الحكم فقولهم أنظر بيننا أى احكم بيننا ، وقد يقول القائل ما أحسن ما نظرت إلينا ، يعنى ما حكمت بيننا . وأما نظر التثبيت فقولهم انظر ما تقول أى تثبت فيما تقول ، وأما نظر العلم فقولهم انظر إلى ما يقول فلان وما [١٠٦] صنع أى اعلم ذلك . ومنه قوله عز وجل : (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض)(١) ، و(انظر كيف ضربوا لك الأمثال)(٢) .. ونحو ذلك يريد اعلم والله أعلم .

وأما نظر الجهر فهو معاينة الشىء ورؤيته والإدراك له والإحاطة به وذلك عن الله منفى . وأما نظر الله تبارك وتعالى خلقه فهو على معنيين أحدهما مشاهدته إياهم بأنهم لا يخفون عليه ولا يغيبون عنه إلا على المعنى الذى يتوهمونه من أنفسهم ،

---

(١) سورة الإسراء : آية ٢١ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٤٨ .

والمعنى الثانى من النظر هو الرأفة والرحمة والصلة والعائدة، وترك النظر إليهم انفاذ ذلك عنهم. ألا ترى إلى قوله تعالى: (ولا ينظر إليهم يوم القيامة)(١) معناه لا ينظر إليهم برحمته . ونظر الخلق إلى الله انتظار فضله ورزقه وعطيته وكرامته فى الدنيا والآخرة . وليس لأحد من الخلق أن ينظر إليه جهرة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة لأن الأبصار لا تدرك إلا الأجسام المحدثة أو ما يكون فى معنى من معانيها جسماً من قبل أنها محدثة، فلاتدرك ولا ترى إلا ما كان محدداً . والمحدود لا يكون إلا جسماً أو هيئة الجسم ، والجسم صنعة صانع ، وكل مصنوع فله صانع ، والصانع لا يشبه المصنوع ، فمن زعم أنه يرى جهرة فقد زعم أنه محيط بالله لأن الأبصار إذا رأت شيئاً فقد أحاطت بما رأت وعليه وقعت . فلايعدو أن يكون ما وقعت عليه كلا أو بعضاً، فان كان كلا فقد حضرته وحدته وأحاطت به ، وإن كان بعضاً فقد جزأته وبعضته، والله تبارك وتعالى يتعالى عن ذلك علواً كبيراً !!

ولقد أحسن ابن النظر حيث يقول :

وقال وجوه ناظـرات لعطفه ورحمته يوم التغـابن والنـدم
وقال فى نظر الرحمة والعـائدة فى معنى قوله لا ينظر الله إليهم
ومعناه لم ينظـــر إليهم بجـوده وعائدة منه تبارك ذو العظم

[١٠٧] فصل فى الرؤية أيضاً من كتاب الضياء :

الرؤية فى كلام العرب معناها المعرفة إلا ما كان يدرك من جهة الأبصار فذلك رؤية جسم ، وأما ما سواه ومعناه المعرفة : (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل)(٢) ، ومثله : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)(٣)، ومثله : (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً)(٤)، ومثله : (ألم تر إلى

(١) سورة آل عمران : آية ٧٧ .
(٢) سورة الفرقان : آية ٤٥ .
(٣) سورة الفيل : آية ١ .
(٤) سورة مريم : آية ٨٣ .

الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت(١)) ومثله فى القرآن كثير :
وكل ذلك لم يره النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان أدرك ذاك ، وأما المعنى
ألم تعلم ذلك وتعرفه بالخبر الذى أخبرتك ، واللغة ناطقة شاهدة بذلك. يقول
القائل قد أرى ما يجىء منك وأرى الحق كما أراك، يعنى أعرف الحق كما أراك،
يعنى ألا تسمع إلى قول الله عز وجل، (ألم يرواكم أهلكنا قبلهم من القرون)(٢)
وهم إذ ذاك لم يكونوا، إنما خلقوا من بعدهم، وقوله تعالى قبلهم دليل على أنهم
لم يكونوا إذ ذاك، ولكن المعنى معنى ألم تعرفوا ذلك بالأخبار ، وقوله عز وجل:
(ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) (٣)،
والموت لا يرى جهرة وإنما رؤيته بالمعرفة له .

فصل فى نفى الرؤية أيضاً من كتاب الضياء :

قال الله عز وجل: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)(٤) فامتدح
بذلك ومدائح الله عز وجل لا تزول فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فمن زعم
أن الأبصار تدركه فقد زعم أن هذا المدح يزول عنه فى الآخرة ، ومن زعم
ذلك فقد جعل ربه منقوصاً وهذا الكفر بالله ، لأن كل من كان النقص من
صفته فليس بإلـه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! وقد نفى الله عز وجل
أن تدركه الأبصار وأن يرى جهرة فهو سبحانه وتعالى لا يرى فى الدنيا
ولا فى الآخرة |١٠٧| لأن مدائحه لا تزول ، فان قال قائل إنه لا يرى فى
الدنيا ويرى فى الآخرة كان عليه إقامة الدليل ، ولما كان قوله تعالى وهو يدرك
الأبصار على كلا الدارين كليهما ، ولما كان نافياً أن يشبهه شىء، كان نافياً
أن تدركه فى كلا الدارين على الجهرة لأنه لا يشبهه شىء فى كلا الدارين ،
وفيما عقلنا أن كل مدرك له شبه ونظير ، وكل مدرك ببصر فذو لون وكل
ذى لون فيحتمل التركيب بحلول اللون فى ذاته ، وكل شىء حُد فى شىء

(١) سورة البقرة : آية ٢٤٣.
(٢) سورة يس : آية ٣١ .
(٣) سورة آل عمران : آية ١٤٣ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .

فمصنوع لأنه احتمل حلول الشيء فيه ، وما قبل لوناً من الألوان احتمل قبول الألوان كلها ، وما كان فيه معنى واحد فيها كان محتملا للتغيير لاحتماله القبول لما ليس فيه .

مسألة : ولا يجوز فى حجة العقل أن يرى الله تبارك وتعالى جهرة بالأبصار من قبل أنه لا يخلو الناظر إليه من أن يكون يراه فى مكان دون مكان ويراه فى كل مكان.فان كان يراه فى مكان دون مكان فما فضل الخالق على المخلوق إذا كان المخلوق فى مكان دون مكان والخالق كذلك ، وهذه صفة محدود وكل محدود فمعدود وما جرى عليه العدد فمنقوص . وإن كان يراه فى كل مكان فالمخلوق إذاً أعظم من الخالق إذا كان وهو فى مكان ينال ببصره مكان فى كل مكان،وأيضاً فلا يعدو من أن يكون يراه حتى لا يخفى عليه شيء أو يخفى عليه منه شيء . فان كان لا يخفى عليه منه شيء إلا ويراه فقد أحاط به ، والمحاط به صغير والمحيط به أكبر ، وإن كان يخفى عليه منه شيء فالذى خفى عليه غير الذى لم يخف،وهذه صفة المحدود والمتغاير المختلف الذى بعضه غير بعض،تعالىالله عن هذه الصفات علواً كبيراً ! !وإنما تعلقت بأخبار غير صحيحة وتأويلات فاسدة لما روى . وعن جرير بن عبد الله النخلى(١) قال إن النبى صلى [١٠٩] الله عليه وسلم قال : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته » وهذا خبر غير صحيح من وجوه كثيرة ،أحدها أنالنبى صلى الله عليه وسلم لم يكن ليخبر جرير بذلك دون الخلق لأن الله تعالى يقول :(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)(٢) ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يتكلم إلا بوحى من ربه ولم يؤمر أن يخص بالوحى أحداً ، بل هم فى ذلك شركاء . فان كان النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه كلهم ذلك فكتموا ما قاله لهم

---

(١) نسبة إلى بلدة نخل فى عمان .

(٢) سورة المائدة : آية ٦٧ .

إلا جرير ، أو قال لجرير دون أصحابه فقد وصفوه بترك البلاغ عن الله عز وجل إلى العباد كافة . ومن وصفه بهذا عليه السلام فقد كفر ، وإن كان أصحابه كتموا وما بلغوا إلى الناس قول النبي صلى الله علية وسلم فقد خانوا قول الله وكتموا ما أمروا به . قال عز من قائل : (الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى)(١) .. الآية . وهذا لا يليق بهم وحاشاهم عن الكتمان ، وكيف ينبغي لجرير أن يسمع هذا الخبر من النبى صلى الله عليه وسلم وهو كان من آخر الصحابة إسلاماً .

فصل :

وتأويل هذا الخبر عندنا إن صح ، إنكم لترون ربكم كما ترون هذا القمر ، يقول تعرفون ربكم اضطرار معرفة لا شك فيه ولا دواع تدعون إلى خلافها . كما أن معرفتكم بالقمر اضطرار معرفة لا شك فيها ، ولا دواع تدعو الأن معرفة الله عز وجل فى الدنيا باكتساب ، يقع فيها اختلاف ، وفى الآخرة يقع اضطرار ويزول الشك ، وهذا التأويل أصح فى اللغة وأليق بصفات الله عز وجل ، لأن الرؤية فى اللغة على وجهين رؤية وهى إدراك البصر وقد نفى الله عن نفسه درك الأبصار ، ورؤية أخرى وهى معرفة القلب وقد تقدم ذكرها . ومنها قوله تعالى : (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة)(٢) أى ألم |١١٠| يعلم ذلك لأن الإنسان لم ير نفسه حين خلق من نطفة . وقد جاءت أخبار تؤيد ما قلنا وتأولناه وترد قول من خالفنا ، منها ما روى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « إن أحداً لا يرى ربه فى الدنيا ولا فى الآخرة » . وروى أن أبا ذر رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله صلى الله عليك وسلم هل رأيت ربك؟ قال : لا ! ! نفى أن يكون مرئياً . وعن على بن أبى طالب فى قوله : لا تدركه الأبصار ، قال لا تدركه الأبصار

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٩ .

(٢) سورة يس : آية ٧٧ .

فى الدنيا ولا فى الآخرة . وعن عائشة رضى الله عنها سئلت هل رأى محمد ربه؟ فقالت سبحان الله لقد قف شعرى لما قلتم من حدثكم أن محمداً رأى ربه عز وجل ؟ من قال ذلك فقد كذب، ثم قرأت إن الله تعالى يقول : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (١) ومن حدثكم إن كان يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير)(٢) ، وقوله عز وجل : (إن الله عنده علم الساعة)(٣) .. الآية ، ومن حدثكم أن محمداً كتم شيئاً من الوحى فقد كذب لأن الله تعالى يقول : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (٤) .. الآية . وقد روى النبى عن صلى الله عليه وسلم أنه سئل فقيل له هل رأيت ربك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لن تراه الأبصار بالمشاهدة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان وللقلب رؤية كما للعين رؤية. وقد جاء ذلك فى أشعارهم .

قال امرؤ القيس بن حجر :

تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر اعال

تنورتها أى نظرت إلى نارها، وأنا بأذرعات يعنى الشام، وأهلها بيثرب ، يعنى المدينة . وأنشد أبو عبيدة :

ليس بصيراً من يرى وهو قاعد ... بمكة أهل الشام يختبرونا

[١١١] وإنما يراهم بقلبه . وقال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) (٥) . فعلمنا أن ذلك الله

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٨ .

(٣) سورة لقمان : آية ٣٤ .

(٤) سورة المائدة : آية ٦٧ .

(٥) سورة النساء : آية ١٥٣ .

تعالى ليس من يجوز عليه أن يرى جهرة وأن لا تدركه الأبصار . وقال عز وجل : (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً) (١) ، لأنهم سألوا ما لا يجوز على الله سبحانه وتعالى . واجتمعت الأمة على الدعاء والتعظيم لله عز وجل لقولهم : يا من يرى ولا يرى ! ولا يجوز أن يكون معظماً فى وقت ويبطل تعظيمه فى وقت .

مسألة : فان قال قائل فاذا نفيتم الرؤية عن الله تعالى فما معنى قوله عز وجل . (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (٢) ، قيل له قد قال فى ذلك أهل العلم والتفسير منهم ابن عباس رضى الله عنه وأبو صالح والضحاك والحسن ومجاهد قالوا : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، حسنة إلى ثواب ربها ناظرة . وعن على بن أبى طالب وابن مسعود وسعيد بن جبير : وجوه يومئذ ناضرة ؛ أى مشرقة ناعمة ، إلى ربها ناظرة يعنى منتظرة لما يأتيها من خيره وإحسانه . وقولهم معروف فى اللغة وفى القرآن العظيم . قال الله عز وجل ، وماينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ، وهل ينظرون إلا الساعة ، أى ينتظرون . فقوله تعالى ناضرة ، الأولى من النضارة والحسن وهى بالضاد ، والناظرة الثانية وهى من الانتظار ؛ وهى بالظاء ، يقال منه نظر وجهه ينظر نظراً ونظوراً ونظاراً ونظره الله .

وأنشد الفراء :

نظر الله أعظماً دفنـــوها بسجستان طلحة الطلحات

ومن الانتظار قول الشاعر :

فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غداً لناظره قريـــب

[١١٢] يريد لمنتظره ، قال آخر :

كل الخلايق ينظـــرون سجاله نظر الحجيـــج إلى طلوع هلال

---

(١) سورة لقمان : آية ٢١ .

(٢) سورة القيامة : آية ٢٢ — ٢٣ .

وإنما ينتظرون سجاله . وقال آخر :

وكنا ناظريك بكل فج كما للغيث ينتظر الغماما

ويروى أنه قال :

وكنا ناظريك بكل فج كما للغيث منظر الغماما

قال امرؤ القيس :

لسنا كمن جعلت أيادى دونها بكريب منتظر حبها أن يحصدا

يعني ينتظر . قال امرؤ القيس :

فانكما إن تنظرانى ساعة من الدهر ينفعنى لدى أم جندب

أي تنتظرانى . قال الله عز وجل :(انظرونا نقتبس من نوركم)(١)، ومعناه انتظرونا ، ويقال نظرت الرجل أنظره إذا انتظرته .

قال الأعشى :

فخرت وانتمت فقلت انظريني ليس جهل أتيته ببديع

وقال امرؤ القيس :

وقد نظرتكم أعشى بخامسة للورد طال بها حبي وتيساسى

والتيساس شوق شديد . وقال عمر بن كلثوم :

أبا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا

أي انتظرنا. تقول العرب أنظرنا بمعنى انتظرنا.وقد قرئ انظرونا نقتبس من نوركم.وانتظرونا جميعاً ، فقد دل الكتاب واللغة والسنة وحجة العقل على صحة ما ذهبنا إليه فى تأويل الآية وبطلان مذهب مخالفينا وبالله التوفيق .

فصل :

ومما روى من حديثهم ان الله عز وجل ينزل لخلقه يوم القيامة على كثيب من كافور ، فليس يخفى على أهل العقل أن الكثيب محدود ولا ينزل على المحدود إلا محدود والله جل ثناؤه ليس بمحدود ، والذى |١١٣| ينزل لخلقه يوم

---

(١) سورة الحديد : آية ١٣ .

القيامة لا ينزل إلا من اكتنان واختيار ، ومن كان كذلك كان جسماً محدوداً أو شبحاً مشهوداً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . فان كان حديثهم حقاً فانه ينزل لهم كرامته وخيره كنحو ما فسرنا من الآيات المتشابهات والأحاديث المنقولات . وقد رووا فى حديثهم الذى يسمونه حديث الزيارة أنهم يزورون ربهم تعالى الله فيركب إليه قوم على النجائب وقوم فى السفن وقوم على الخيل ، ثم يقول لهم زعيمهم ما تشاءون فيقولون قد سمعنا كلامك فأرنا وجهك ، قال فيرفع لهم الحجب ويتجلى لهم فيرونه ، وهذا الكفر بالله العظيم لأنهم يصفونه بالحدود والأستار والغيبوبة فى مكان دون مكان . والله عز وجل غير محدود وهو معهم أينما كانوا وليس بغائب عنهم ، فان كان كذلك فمن أين يرونه تبارك وتعالى ، والحديث إن كان له أصل فتفسيره عندنا أن يحدث لهم فى تلك المواضع كرامة سوى الكرامة التى يكرمون بها سائر الأوقات . وهذا معناه عندنا كقول القائل : زرنا الله إلى بيته يعنون مكة ، فأكرم وغفر لمن آمن واتقى ، وإن كان الحديث حقاً فهذا معناه وإلا فباطل .

مسألة : ويقال لهم أتقولون ان الله سبحانه وتعالى يرى بالأبصار ؟ فان قالوا نعم ، يقال لهم أترونه فى مكان دون مكان أم فى كل مكان ، فان قالوا نراه بكل مكان ، قيل لهم أيجوز أن ترون بكل مكان فى وقت واحد كما ترون من هو بكل مكان فى وقت واحد ، وقيل لهم كذلك لا يجوز أن يروا من هو بكل مكان فى وقت واحد ، فلا يجوز أن يجدوا إلى الفصل بين ذلك سبيلا .

مسألة : ويقال لهم أليس الله عز وجل أقرب إلى الإنسان من نفسه إلى نفسه ومن نظره إلى عينه ، فهل يجوز لعين أن تنظر إلى نفسها ، فكيف إلى من هو أقرب إليها |١١٤| من نظرها ؟ ويقال لهم أخبرونا على أى شىء يقع نظركم ؟ هل تقع أعينكم على حركة أو سكون ؟ فان قالوا بالحركة أو بالسكون فقد وصفوه بما خلق وأجروا عليه بما يجرى على خلقه من الفناء والزوال

والحركة والسكون ، الله عز وجل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ! ! فان قالوا نراه بين ذلك لا حركة ولا سكون ، قيل لهم فأخبرونا معنى لا حركة ولا سكون ، وفيه انقطاعهم .

فصل :

زعمت المشبهة أنا إذا قلنا أن الله تعالى لا يرى فقد قلنا أنه لا يحاسب الخلق وهم يزعمون أن الله تعالى قد كلم موسى عليه السلام فى الدنيا ولم يره ، قلنا فما أنكرتم أن يحاسبهم ويسائلهم وهم لا يرونه كما كلم الله موسى عليه السلام ولم يره ؟

مسألة : واختلف الناس فى كلام الله عز وجل لموسى عليه السلام فقال قوم أنه أسمعه نفسه متكلماً ، وقال آخرون أسمعه صوتاً أفهمه به الكلام ، وقال قوم أنه كلمه بالوحى ، قال الله عز وجل : (وكلم الله موسى تكليماً)(١) وذلك حق من الله وقد كلمه كما شاء على ما شاء من ذلك . والحجة لمن قال أنه كلمه بالوحى قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب)(٢) وهذا غير منسوخ فيجوز أن يكون كلمه بالوحى منه وقد سمى التوراة كلامه فقال تعالى : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) (٣) .. الآية ، وقد سمى القرآن كلامه لقوله تعالى : (حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) (٤) ، وقد كان الوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم والاتفاق من أن القرآن وحى وقد سماه كلامه وقال لنبيه عليه السلام : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) (٥) .. تمام القصة ، فذلك بالوحى كما قال تعالى ، هذا عن الشيخ أبى الحسن البسياوى رحمه الله . وقال غيره إن الله أوصل إلى موسى عليه السلام كلاماً ولم يكن بين موسى

---

(١) سورة النساء : آية ١٦٤ .

(٢) كتبت سهواً فى المخطوطة « يكلمه الله وحياً » والآية من سورة الشورى : آية ٥١ .

(٣) سورة البقرة : آية ٧٥ . وفى المخطوطة كتبب سهوا « فريقا » بدلا من « فريق » .

(٤) سورة التوبة : آية ٦ .

(٥) سوزة النساء : آية ١٦٣ .

وبينه رسول ، [١١٥] وليس هكذا سائر الأنبياء، إنما كلمهم بجبرائيل والملائكة عليهم السلام ، ألا تسمعه يقول يا موسى إنى أنا الله المتكلم لك، وقال يا موسى إننى أنا الله رب العالمين (١) ، وأما قوله تعالى: (نودى أن بورك من فى النار) (٢) ، فقد يحتمل أن يكون يعنى موسى ولم تكن ناراً ، وفى قول ابن عباس وإنما كان نوراً ولكنه تشبيهاً إلى ما ظنها موسى ، وأما المتكلم فمصدر كلم تقول كلمته تكليماً .

مسألة : إن سألك سائل عن قول الله عز وجل حكاية عن قوم موسى عليه السلام قوله: (رب أرنى أنظر إليك)(٣) ، قيل له قد قيل أن بعض قوم موسى عليه السلام قالوا: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)(٤) ، كما أخبر الله عنهم فى كتابه . فلما سألوا ذلك وعظهم وأخبرهم بغلطهم فى ذلك فى سؤالهم بما لا يجوز على الله تعالى فأبوا أن يقبلوا ذلك منه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فأراد موسى عليه السلام أن يأتيهم من قبل الله عز وجل بجواب يبين لهم بطلان قولهم وما سألوه ، أو يكون زجراً لهم عن ذلك ، فكانوا سألوه أيضاً أن يكلمه الله بحضرتهم حتى يسمعوا كلامه له ، وقال لهم فاختاروا منكم سبعين رجلا فاختاروا واختارهم موسى وصار بهم إلى الميقات(٥) فلما كلمه الله تعالى بحضرتهم قالوا سل الله الرؤية ، ليتبين لقومه أنها لا تجوز

---

(١) يشير المؤلف إلى الآية الكريمة: (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) . سورة النمل : آية ٩ .

(٢) سورة النمل : آية ٨ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٤٣ .

(٤) سورة البقرة : آية ٥٥ .

(٥) يشير المؤلف إلى الآية الكريمة: (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) . سورة الأعراف : آية ١٥٥ .

عليه وليزجرهم عن طلبها . فقال رب أرنى أنظر إليك ! ومراده فى ذلك أن يأتيه الله بجواب عن ذلك الكلام يكون زجراً لبنى إسرائيل عن الإقامة على هذا السؤال وبياناً لهم من قبل الله عز وجل ، وأن ذلك لا يجوز على الله عز وجل ، فقال الله لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترانى ، ثم جعل الجبل دكاً وهم ينظرون إليه وأتاهم عند ذلك الرجفة والصاعقة فصعق موسى عليه السلام وصعق السبعون [١١٦] الذين اختارهم. فأما موسى فانه لم يمت ، وأما السبعون فماتوا ثم أحياهم الله وبعثهم من

بعد موتهم كما قال الله عز وجل : (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون(١). وهذه المرة هى الثانية التى كلم الله فيها موسى لأنه كلمه فى وقت ما بعثه من الشجرة وكلمه فى هذا الوقت بحضرة هؤلاء السبعين عند الجبل وهو الميقات وفيه حدوث الرجفة والصاعقة اللتين وصفهما الله (٢) وجوابه لموسى إنك لن ترانى زجراً لقومه عن الإقامة على هذا السؤال وعن تركهم القبول من موسى عليه السلام عن إجازتهم عن الله من الرؤية ما لا يجوز عليه .

مسألة : فان قالوا فلماذا تاب موسى عليه السلام إن كان إنما سأل عما

---

(١) سورة البقرة : آية ٥٦ .

(٢) يشير المؤلف إلى عودة موسى إلى مصر بعد أن استقر فى مدين نحو عشر سنوات ، وفى الطريق ناداه ربه . قال الله تعالى : (وهل أتاك حديث موسى * إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما آتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » .

سورة طه : الآيات ٩ — ١٦ .

أما المرة الثانية التى كلم الله فيها موسى فهى حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات الله سبحانه وتعالى وهى التى وردت فى سورة الأعراف : آية ١٥٥ . وطلب قوم موسى أن يروا الله جهرة (سورة البقرة : آية ٥٥) كما طلب موسى ذلك من ربه ، كما ورد فى سورة الأعراف آية ١٤٣ .

وصعقتم ؟ قيل له إنما تاب إلى الله عز وجل إذلم يكن أذن له فى السؤال فلما تقدم فى هذا السؤال من غير أن يأذن له تاب إلى الله عز وجل وصعق امتحاناً لا عقاباً لأن ذنبه كان صغيراً مغفوراً . وكذلك الذين نالتهم الصاعقة من السبعين إنما نالتهم إمتحاناً لا عقاباً ويدل على ذلك قول الله عز وجل مخبراً عن موسى صلى الله عليه وسلم فلما أخذتهم الرجفة قال : (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) (١) ، ومعناه الإنكار أن يفعل الله ذلك وإن كان مخرجه الاستفهام كقول القائل : هل عندى مال إذا كان يعنى أنه لا مال عندى . وكقول الله تعالى لعيسى عليه السلام (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله) (٢). أخرج ذلك مخرج الاستفهام ومعناه التكذيب ، لم يحل ذلك لعيسى عليه السلام وأراد أنك لم تقل وكذبهم ، فبين أن السفهاء هم الذين أنالتهم الصاعقة بظلمهم ثم أحياهم الله تعالى ، ثم اتخذوا بعد(٣) ذلك العجل لما أبطأ عنهم موسى صلى الله عليه وسلم وأقام [١١٧] أربعين يوماً بعد رجوع السبعين إليهم وقد دل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) (٤) ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فبين أن الصاعقة إنما أخذتهم لقولهم أرنا الله جهرة (٥) لا لاتخاذهم العجل ويدل .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٥٥ .

(٢) سورة المائدة : آية ١١٦ .

(٣) كتبت فى المخطوطة « من » .

(٤) سورة النساء : آية ١٥٣ .

(٥) وإلى ذلك يشير الله تعالى : (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) . سورة البقرة : الآيات : ٥٤ — ٥٥ .

على ذلك قول موسى عليه السلام أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يدل ، على أن السبعين وموسى لم يسألوا الله تعالى الرؤية ، وإنما سأل ذلك السفهاء من قومه لأنه لو كان سأل هو ذلك لما قال أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فبين إنما سأل ليبين الله تعالى لقومه أن هذا السؤال لا يجوز على الله وليزجر قومه عن مثل هذا السؤال بمثل زجرهم به ، وأحل بهم الرجفة والصاعقة التى حلت بهم .

الباب العشرون

(فى الوعد والوعيد والرد على الحشوية)

قالت الشكاك والحشوية فى وعد الله ووعيده إنا وجدنا الكريم فيما تبينا إذا توعد بعقوبة ثم عفا كان أحسن فى صفته وأبلغ فى مدحه . وقد قال عبد الملك بن مروان : « الإفراط فى العفو أحمد من الإفراط فى العقوبة » . ولما كانت العرب تفتخر وتبيح بالصفح عن الجرائم كان الله تبارك وتعالى أولى بالصفة الجميلة ، وكل صفة حسنة :

الجواب : من قول أهل الاستقامة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم : هذا لا يجوز على الله تبارك وتعالى لأن العرب عندها كلما عفت عن الأمر العظيم والجرم الجسيم وقالوا ، من كان أشد عداوة لهم وتركوا القصاص عمن قبلهم وممن بالغ فى عداوتهم وكان منه أكثر الذنوب ، كان العفو منهم على مثل هذا أحسن وأبلغ فى مدحهم وكان المدح عليه أكثر وشكرهم على ذلك أبلغ : والله سبحانه وتعالى لا يقاس بخلقه ولو كان كذلك لوجب أن يكون الله سبحانه وتعالى أولى فى صفته إن كانت هذه صفة مدح ، أن يعفو عمن جحده وأشرك به وكذب برسله وجعل معه |١١٨| ثانياً وجعله ممن يتخذ الصاحبة والولد وكان العفو عن هؤلاء أفضل ، والشكر فيه له على ذلك أكثر وأجل : فلما أجمعوا جميعاً بلا خلاف بينهم أنه لا يعفو عن أحد من هؤلاء ، فمن أشرك به وجحده ولم يؤمن به ولم يصدق رسله علمنا أن المدح ليس من أجل العفو عن الذنب الكبير أو الصغير إذ لا يستوى صفة الخالق والمخلوق . ووجه ثانى

أن الذى يعفو منا بعد مواعدة عدوه بالعقوبة وعزمه عليها وإرادته أن يوقعها بفاعلها إنما يبدو له أن العفو أحسن من إمضاء العقوبة ويبدو له أن الصلاح له فى ذلك ولم يعلم بالصلاح قبل ذلك مع تواعده له بالعقوبة. والله تبارك وتعالى ليس هذا من صفته لأنه لا يجوز أن يبدو له ما لم يكن يعلمه بالأمس ، ولا يجوز أن يحدث له علم الصلاح فى العفو لأن الذى يرى أن الأصلح له فى العفو بما حدث له علم بعد ما لم يعلم ، وفعل ذلك لاختلاف من أحواله أو لدفع ضرر عن نفسه أو لاختلاف يقع إليه. والله تبارك وتعالى غنى عن ذلك :

ووجه ثالث يقول لن يخلوا القول فى وعد الله تبارك وتعالى ووعيده لأهل الكبائر من أحد ثلاثة وجوه : إما أن يكون قال أنه يوقعه بهم وهو يعلم أنه يوقعه بهم على كل حال ولابد من ذلك ، أو يكون قال وهو لا يدرى أنه يوقعه بهم أم لا ، أو يكون قال ذلك وهو يعلم أنه لا يوقعه بهم . فان كان قاله وهو يعلم أنه يوقعه بهم فهذا هو الكذب والله تعالى عن ذلك علواً كبيراً !! لأنه قد ذم من كانت هذه صفته وهو لا يجوز أن يذم قوماً على فعل ويفعله هو عز وجل عن ذلك ، والله سبحانه قد ذم قوماً لقوله : (لم تقولون ما لا تفعلون) (١) . وإن كان قال إنى أفعل بهم وأعاقبهم على هذه الجرائم وهو لا يدرى يعاقبهم عليها أو لا يعاقبهم ، فهذه صفة الجاهل الذى لا يعلم ما يكون والله سبحانه يتعالى عن هذه الصفة !! فلما بطل هذان الوجهان صح |١١٩| ما قلناه وهو أنه إذا توعد بعقوبة على فعل وقال انى أفعله فلابد أن يفعل ذلك الفعل الذى قاله إنه يفعله ، ولم يبق وجه رابع يحتمل التعلق به وبالله التوفيق . وأيضاً فان الله تبارك وتعالى لم يقل أن يفعل بهم ما أوعدهم من العقوبة إلا وهو يعلم فى الوقت أنه سيفعله بهم ، أولا يعلم أنه لا يفعله بهم لجهل ما يكون فى الحالة الثانية ، فان قال إنه يفعل بهم ما توعدهم عليه فلا يجوز أن يكون قال ذلك ويعلم أنه لا يفعله ، لأن فى ذلك انقلاب العلم ويصير جهلا . فلما ثبت هذا وصح ثبت ما قلناه وبطل ما قاله مخالفونا من الشكاك فى وعيد أهل الكبائر وبالله التوفيق :

---

(١) سورة الصف : آية ٢ .

خبر : أخبرنى أبو الحسن السلمى عمن أخبره أن أبا عمرو بن العلاء النحوى المعروف باعراب القرآن، أنه التقى بعمرو بن عبيد المعتزلى فقال له : يا أبا عثمان لقد بلغنى عندك فى الوعيد شىء أخبرنى عنه ، قال عمرو : إن الله وعد وعداً وأوعد وعيداً فالله منجز وعده ووعيده ، قال أبو عمرو : أما علمت أن العرب لا تعد ترك الوعيد ديناً وإنما تعده تكرماً وتفضلا .. أما سمعت قول الشاعر :

ولا تخش ابن العم ما زلت صولتى
ولا أنا أخشى صولة المتهدد
وإنى وإن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

قال : فهؤلاء يمتدحون خلف(١) الوعيد وانجاز الوعد ويرون ذلك تكرماً وتفضلا ، قال له عمرو بن عبيد : يا أبا عمرو يشغلك الإعراب عن الصواب أما سمعت الذى يقول :

إن أبا خالد لمعتدل الرأى ، كريم الأفعال والصيت
لا يخلف الوعد والوعيد ولا يبيت من ناره على فوت

فهذا مدح على هذه الصفة إذ لا يخلف ما أوعده ولا ما توعده عليه وأنه لا يبيت من ناره على فوت والله سبحانه أصدق القائلين |١٢٠| بقوله : ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾(٢) .

مسألة : فى إثبات الوعيد من كتاب الكفاية . اعلم أن الله تبارك وتعالى وعد من عمل بطاعته الجنة ولا خلف لوعده وأوعد لمن عصاه وركب الكبائر وأصر على المعاصى النار ولا خلف لوعيده تبارك وتعالى .

---

(١) كتبت فى المخطوطة « يمتدحون يخلف » ولعل الصواب ما ذكر .
(٢) سورة الأعراف : آية ٤٤ .

مسألة : ومن زعم أن الله أوعد قوماً النار ثم لا يدخلهم إياها فقد كذب على الله والله تبارك وتعالى يقول : (ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد)(١) وقال عز من قائل : (إن الأبرار لفى نعيم * وإن الفجار لفى جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين) (٢) ، فلا يجوز بطلان قول الله تبارك وتعالى عن قولهم علواً كبيراً !!

(١) سورة ق : آية ٢٩ .

(٢) سورة الانفطار : آيات ١٣ - ١٦ .

الباب الحادى والعشرون

(فى الصراط والميزان والرد على الحشوية)

قالت الحشوية فى الصراط إنه منصوب على (١) متن جهنم وأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف يجيز به المؤمن والكافر . وقال أهل الاستقامة إن الله تبارك وتعالى علام الغيوب يعلم ما يكون قبل كونه أن لو كان كيف كان يكون . وإنما الصراط هو الطريق الواضح والدين المستقيم ، والعرب تسمى الطريق صراطاً والله سبحانه يخاطب العرب بما تعقل ، قال سبحانه : (اهدنا الصراط المستقيم) (٢) . قال ابن عباس : هو الإسلام ، وقال الحبانى : هو دين الإسلام ، وقال السجستانى : هو الطريق المستقيم الواضح البين وأنشد «فصد عن منهج الصراط الواضح » ، وقال الصراط الطريق. واحتج بقول الشاعر :

غزونا أرضهم بالخيل حتى ... تركناها أذل من الصراط

أمير المؤمنين على الصراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

|١٢١| وفيه أكثر من هذا تركته .

القول فى الميزان : قالت الحشوية إن الله تبارك وتعالى ينصب يوم القيامة ميزاناً على الحقيقة وان عموده كطول الدنيا وان كفته كسعة السموات والأرض يوزن بها أعمال العباد ، واحتجوا بقول الله تعالى : (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه)(٣) .. الآية . وقال أهل الاستقامة ان الوزن هو المجازاة على الأعمال لا على ما تظنه العوام من الميزان المعروف

---

(١) فى المخطوطة تكررت كلمة منصوبة على ولعلها سهو من الناسخ .

(٢) سورة الفاتحة : آية ٦ .

(٣) سورة المؤمنون : الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣ .

لأنه سبحانه وتعالى غير جاهل، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ! ! وإنما هو تمييز وتفضيل ومجازاة ألا ترى إلى قول بعضهم :

إنى وزنت الذى يفنى بعـاجله   تفنى بخير فلا والله ما اتزنـا

وإنما أردنا الوزن هاهنا التأمل والنظر والتمييز بينهما لا أنه وزن بميزان ، وفى ذلك يقول صالح بن عبد القدوس :

زن الكلام إذا نطقت فانـه   يبدى عيوب ذوى العقول المنطق

ومن الرجال إذا استوت أحلامهم   ومن استشار فيستشير فيطرق

حتى يهيم بكل واد قلبـه   فيرى ويسمع ما يقول فينطق

فدل بقوله على أنه أراد بوزن الكلام تأمله وتمييزه، لأن الأفعال أعراض والأعراض لا يصح وزنها . وأما قوله عز وجل : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)(١) أى نضع العدل يعرف عباده أن عنده حقائق وأنه لا يظلم الناس شيئاً . وأما قوله عز إسمه : (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً)(٢) ، يعنى لا نقبل منهم يوم القيامة إيماناً كما قال سبحانه وتعالى : (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً)(٣) ، فصح أن الوزن فى هذه المواضع هى الإيمان. ثم يقال قد قال البارى سبحانه وتعالى وهو : (الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان) (٤) والبارى سبحانه لا يقول إلا الحق فبينوا الناصفة |١٢٢| الميزان المنزل مع الكتاب ، وبرهنوه لنا فلا تجدون إلى ذلك سبيلا ، وإنما أراد سبحانه وتعالى بالميزان العدل وأنه لا يظلم الناس سبحانه وتعالى ثم يقال لهم هذه الموازين المنصوبة بزعمكم أهى لوزن الأعمال المكتوبة ؟ فى قولهم نعم ، قلنا لهم ما تقولون فيمن بلغ الحلم وعاش مائة سنة وهو يعمل بالمعاصى والسيئات ومقيم على الكبائر المكفرات إلى أن قرب أجله وتاب

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٤٧ .

(٢) سورة الكهف : آية ١٠٥ . كتب فى المخطوطة « ولا نقيم » سهواً بدلا من « فلا » .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٥٨ .

(٤) سورة الشورى : آية ١٧ .

مخلصاً وأقلع عن المعاصى الموبقات وندم على ما سلف منه،ورجع إلى الله بحسن الرغبات فبينوا لنا حال هذا بالبراهين القاصرات ؟ هل إحسان يوم واحد وساعة واحدة تساوى مائة سنة ؟ .. فان أوجبوا عليه بعد الممات بأليم العذاب فقد خالفوا الكتاب المنزل والنبى المرسل لأن الله عز وجل يقول عن الملائكة المقربين :(ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم)(١). وأما الحجة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم :« التائب من الذنب كمن لا ذنب له ». فان احتجوا بقوله عز وجل :(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)(٢) ، قيل له قد قال أهل العدل والاستقامة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك أن المؤمن يرى حسناته مثبتة وسيئاته مكفرة ، والكافر يرى سيئاته مثبتة وحسناته محبطة والله أعلم . وكذلك من عاش مائة سنة أو ما شاء الله وهو يعمل الطاعات مؤدياً للمفترضات فلما حضره الموت ركب الذنوب والمكفرات ومات مصراً على المعاصى المهلكات فبينوا لنا حال هذا ؟لأن معصية يوم واحد وساعة واحدة لا تساوى إحسان مائة سنة ، فان أوجبوا له بعد موته على المعصية والإصرار برضى البارئ وحلوله مع النبى المختار فقد خالفوا الكتاب |١٢٣| الواحد القهار ، لأنه عز اسمه يقول فى محكم كتابه الذى أنزله :(بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(٣) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم: « هلك المصرون » .

* * *

---

(١) سورة غافر : آيتا ٧، ٨ .

(٢) سورة الزلزلة: آيتا ٧، ٨ .

(٣) سورة البقرة : آية ٨١ .

الباب الثانى والعشرون

فى قوله تعالى: (يوم يكشف عن ساق)(١)

قالت المشبهة إن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يجلس على كرسى القضاء ثم يقول أنا ربكم فينكرونه ويكادون يبطشون به عز وجل عن قولهم علواً كبيراً !! فيكشف لهم عن ساقه فيخرون له سجداً ، وهذا الكفر العظيم لأنهم وصفوه جسماً محدوداً . وقال أهل الاستقامة قوله عز وجل: (يوم يكشف عن ساق) ويدعون إلى السجود ، فانما عنى به شدة الأمر لما روى عن ابن عباس رحمه الله أنه قال عن شدة الأهوال يوم القيامة . كما قيل : قد قامت الحرب على ساق ، وأما قوله عز من قائل . (والتفت الساق بالساق)(٢) . قال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة .. وقال ابن عمر قوله: (يوم يكشف عن ساق) قال هى شدة ساعة فى يوم القيامة ، وقال الحسن أى عن ساق الآخرة وهو الستر الذى بين الدنيا والآخرة . ويقال كشفت الحرب عن ساق إذا اشتد أمرها ، قال أبو عبيدة لقيس بن زهير العبسى (٣) :

إذا شمرت لك عن ساقها ... فويها(٤) ربيع ولا تسأم

وكشف اليوم عن ساقه إذا اشتد . وأنشد لسعيد بن مالك جد طرفة :

كشفت لكم عن ساقها ... وبدا من السر البراح

وقال آخر :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها

وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

---

(١) سورة القلم : آية ٤٢ .

(٢) سورة القيامة : آية ٢٩ .

(٣) كتبت فى المخطوطة « العتبى » .

(٤) فويها : « ويها لك » ، الدعاء عليه أو الدعاء له .

عن ساقها يريد عن شدتها : وقال عبد الله بن يزيد الخزاعى رحمه الله فى معاوية بن أبى سفيان :

أتتك الرجال رجـال العراق تقود إلى الشام قباً عتاقا

[١٢٤] ودارت رحاها على قطبها جهاراً وشمرت الحرب ساقا

فهذا تأويل الآية ، لاما ذهب إليه المشبهة تعالى الله عن صفة خلقه وعلا علواً كبيراً !!

الباب الثالث والعشرون

(فى الاستواء والكرسى والرد على الحشوية)

الاستواء فى لغة العرب على معنيين أحدهما الجلوس على الشيء والممارسة له كما يستوى الفارس على فرسه والملك على سريره ، وهذه صفة من يستوى بعد أن كان مائلا ويعتدل بعد أن كان زائلا ، والله سبحانه وتعالى منزه عن هذه الصفات . والوجه الآخر هو استواء الملك القدرة والتدبير وهو معروف فى لغة العرب ، قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق

فالحمــــد للمهيمن الــرزاق

يعنى بشر بن مروان واستواؤه هنا ملك ولم يكن بشر جالسا على العراق كله ، وإنما ملكه وقدر عليه ، وهذا الذى عليه أهل الاستقامة وبه يقولون وعليه يعتمدون وهو الحق ، وقال النقاش استوى بمعنى علا ، وفيه يقول الشاعر :

فلما علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسر كاسر

فان عارض معارض فقال كيف يجوز أن يقول ثم استوى على العرش يدبر الأمر أراد به تدبير الأمر على العرش فذكرتم عند الاستواء ، قيل له هذا توسع فى القول وهو يريد ثم يدبر كما قال سبحانه : (حتى نعلم المجاهدين منكم) وحتى لا يجرى فى كلام العرب إلا على من حادث مستأنف ولا يجوز أن يعلم الله الأشياء بعد علم حادث مستأنف لأنه لم يزل عالماً بالأشياء كلها قبل كونها ولكن أراد بقوله : (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين)(١) ، وهو سبحانه وتعالى عالم بهم فذكر حتى مع قوله حتى نعلم المجاهدين توسعاً ومجازاً ، هذا مثل قوله تعالى : (ثم استوى على العرش يدبر الأمر)(٢) .

---

(١) سورة محمد : آية ٣١ .

(٢) سورة يونس : آية ٣ .

وقال بعض المفسرين المراد بذلك ، ثم قصد |١٢٥| خلق السماء فذكر الاستواء وهو يريد القصد مجازاً، وقال المفضل: قال الحسن ، يعنى استوى أمره وصنعه الذى صنع به الأشياء إلى السماء .

فصل :

فان عارض معارض وقال ما معنى قوله تعالى: (وسع كرسيه السموات والأرض)(١) وقد نرى الأرض ولا نرى الكرسى ؟ قيل له قد روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال تأويله وسع علمه :

تحف به بيض الوجوه وعصبه ... كراسى للأجداث حين تنوب

كراسى أى علماء ، وقال آخر :

ما لى بعلمك كراسى أكاتمه ... وهل تكرس علم الغيب مخلوق

وبهذا القول يقول أهل الاستقامة أى كرسيه ، علمه ، قد أحاط سبحانه بكل شىء علماً ، وأحاط بكل شىء عدداً .

* * *

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

الباب الرابع والعشرون

(فى تأويل القيـــام)

كقوله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس ما كسبت)

قال أهل الاستقامة ليس هو قيام انتصاب وإنما هو قيام التدبير ، والعرب تقول فلان يقوم على عمل فلان يريدون أنه يدبر أمره وملكه ؛

وقال الكميت بن يزيد :

وصى الخـــلافة هاشمى ... يكن حياً لأمتـــه ربيـــعا

تقوم أمرها ويذب عنهـــا ... ويترك حدبها أبداً مريعـــا

وقال الأعشى :

يقـــوم على الرغم فى قومه ... فيغفر إن شاء أو ينتـــقم

فصل فى النور :

إن سأل سائل فقال إن الله قد سمى نفسه نوراً لقوله عز وجل : (الله نور السموات والأرض)(١) ، يقال له إن النور فى لغة العرب على ضربين : فكل ضوء عند العرب نور وما لم يكن بضوء أيضاً فيسمونه نوراً إذ ا ان الأشياء وأوضحها ، وكذلك سمى الله تعالى القرآن نوراً . فقال عز وجل : (ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا)(٢) ، قال الله [١٢٦] تعالى : (وأشرقت الأرض بنور ربها)(٣) فأضاف النور إليه . وكذلك معنى قوله تعالى : (الله نور السموات والأرض)(٤)

---

(١) سورة النور : آية ٣٥ .

(٢) سورة الشورى : آية ٥٢ . وكتب فى المخطوطة خطأ « يهدى » بدلا من « نهدى » ، و « يشاء » بدلا من « نشاء » .

(٣) سورة الزمر : آية ٦٩ .

(٤) سورة النور : آية ٣٥ .

يريد منورها أى بنوره وهداه وتوفيقه يهتدى به من فى السموات والأرض ؛ كما قال حسان بن ثابت الأنصارى :

وجاء بنور فى الكتاب مبين

جلا الشك والأحزان يوماً فنورا

والتنزيل يخبر به عز وجل ولم يرد أن يمثل نفسه بقنديل ولا مصباح ولا بمشكاة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! ! وقال عز من قائل : (مثل نوره)(١) النور الذى أنار به العباد وجلا به عن الأبصار وأحيا به القلوب الميتة ، مثله فى قلب المؤمن كمصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى توقد من شجرة مباركة ، ثم قال يهدى الله لنوره من يشاء ففرق بين نفسه ونوره ، والله عز وجل لا مثل له ولا شبه كما قال سبحانه : (ليس كمثله شيء)(٢) ؛ والدليل على ذلك قوله تعالى : (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس)(٣) .. الآية ، وقال الله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) (٤) . والعرب إذا مدحت أحداً تقول ما فلان إلا نور يريدون منيراً ، ويقولون العالم نور البلاد أى منيرها بما يهتدى به الناس إلى الحق .

* * *

(١) سورة النور : آية ٣٥ .
(٢) سورة الشورى : آية ١١ .
(٣) سورة الأنعام : آية ١٢٢ .
(٤) سورة البقرة : آية ٢٥٧ .

الباب الخامس والعشرون

فى تأويل قوله تعالى: (ومن عنده علم الكتاب) و(عند مليك مقتدر)

أما قوله تعالى: (ومن عنده علم الكتاب)(١) يعنى الملائكة المقربين ، والزلفى مستحقين لثوابه آمنين من عقابه كما ذم سبحانه المجرمين والمشركين والمنافقين فقال عز من قائل: (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم)(٢) ، ويريد أنهم عنده فى المنزلة الدنية إذ كانوا مستحقين لعقابه آيسين من ثوابه ولم يعن به الدنو ولا الرؤية لأنهما لا يجوزان على الله سبحانه وتعالى ، وكذلك قوله: (عند مليك مقتدر)(٣) وإنما أراد عنده فى المنزلة والرفعة .

---

(١) سورة الرعد : آية ٤٣ .

(٢) سورة السجدة : آية ١٢ .

(٣) سورة القمر : آية ٥٥ .

الباب السادس والعشرون

فى تأويل قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى)(١)

قال أهل الاستقامة بمعنى استوى استولى عليه بالملك والتدبير والقهر وخص العرش بذلك تشريفاً لذكره بالخصوص، وهذا كما قالوا فى النعمان ابن المنذر عند مدحهم له، لعله ملك الخورنق والسدير، والنعمان ملك العراقين جميعاً . والعرب تقول استوى الخليفة على ملكه واستوى فلان على ماله ، وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : (ثم استوى على العرش)(٢) أى استولى ، وليس كون الشيء فوق الشيء عظمة وجلال ، وإنما العظمة والجلال والقدرة أن يكون فوق الأشياء بالقهر والسلطان والقدرة والغلبة والملك والتدبير . ألا ترى لو أن واصفاً وصف الإمام والخليفة والملك بأنه فوق مملكته بالمسافة والحلول، فكأنه وصفه فوق بيت أو على رأس جبل مرتفعاً عليهم جميعاً ما كان واصفاً له بأمر فيه تعظيم وتبجيل، ولو وصفه فوقهم بالقهر والسلطان والقدرة وجواز الأمر لكان وصفه بما فيه التعظيم والتبجيل .

مسألة : فان سأل سائل فقال لم خلق الله العرش ولا حاجة له فيه فى القرار والمكان بزعمكم ؟

الجواب : قيل له إن الله تعالى خلق العرش وتعبد بعض الملائكة بحمله وبعضهم بالطواف حوله ، والملائكة تحمل العرش ولا تحمل رب العالمين جل وعلا عن ذلك علواً كبيراً ! والعرش قد يكون فى لغة العرب السرير ،

---

(١) سورة طه : آية ٥ .

(٢) سورة يونس : آية ٣ .

وقد يكون الملك ، وقد يكون السقف . فان قال قائل إذا كان له سرير فلا بد أن يكون جالساً عليه ؟ قيل له إن الله تعالى قد سمى مكة بيته فعلى قولك يكون ساكناً فيه . فان زعم أن مكة بيته ولا يكون ساكناً فيه ، قيل له وكذلك له عرش وكرسى ولا يقال أنه جالس عليه ،وله سماءولا يقال يستظل بها،ومثله كثير . ومن |١٢٨| قال إن عرشه ملكه ، احتج بقول سواده بن عدى فى النعمان :

ظننت عرشك لا يزول   أ ولا يحـــول ولا يغير

أى ملكك . وقال سعيد بن زائدة فى النعمان :

قد نال عرشاً لم ينـله حائل   إنس ولا خـلق ولا دـان

• • •

الباب السابع والعشرون

(فى القول فى المكان)

فان قال قائل أفتقولون إن الله تعالى بكل مكان ؟ قيل له نقول ذلك على ما قاله الله تعالى وأطلقه المسلمون، فأما ما قاله الله تعالى فهو قوله عز وعلا : (وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم) (١) .. الآية ، وقوله تعالى: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) (٢) .. الآية ، وقال تعالى: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)(٣) ، وليس يريد قرب المسافة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! ! وقال سبحانه وتعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)(٤)، يعنى بالنظر والتأييد . وقال المسلمون إن الله بكل مكان فعلمنا أنهم أرادوا بكل مكان على العلم والحفظ والتدبير، وذلك موجود فى لغة العرب، يقال فلان فى صلاته وفى عمله وتجارته وفلان فى طلب العلم، يريدون بذلك أنه فاعل لهذه الأشياء ولا يريدون به الحلول والكينونة. فكذلك نقول إن الله عز وجل بكل مكان على أنه عالم ومدبر ورقيب وحافظ لا على الحلول والكينونة . فان قال ولم تأولتم هذا التأويل ؟ قيل له لأن الله تعالى ليس بجسم ولا محدود ولا تحويه الأماكن تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! ! فان احتجوا بقوله عز من قائل: (أأمنتم من فى السماء)(٥) فقد أخبر أنه ليس فى الأرض ، قيل له هو سبحانه فى السماء والأرض وهو

---

(١) سورة الأنعام : آية ٣ .

(٢) سورة المجادلة : آية ٧ .

(٣) سورة ق : آية ١٦ .

(٤) سورة النحل : آية ١٢٨ .

(٥) سورة الملك : آية ١٦

الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وفى كل مكان علمه وتدبيره وسلطانه، وإنما خص السماء بالذكر تشريفاً للسماء وخصوصاً لها بالذكر. وكانت العرب مع عبادتها [١٢٩] الأصنام كانت تقر بالله عز وجل وتعرفه وتزعم أنه فى السماء فقال الله عز وجل أتأمنون بمن أقررتم أنه فى السماء واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء أن يخسف بكم الأرض أم تأمنون أن يرسل عليكم حاصباً؟ وهو المطر الذى يكون فيه الحصى كما فعل بأصحاب الفيل وقوم لوط إذ يقول سبحانه إنا أرسلنا عليهم حاصباً. فان قال فما معنى قوله ثم استوى إلى السماء؟ يقال له استوى أى قصد بالملك والتدبير فذكر الاستواء وهو يريد القصد. فان قالوا فما معنى قوله: (إليه يصعد الكلم الطيب)(١)، قيل له إن الله عز وجل أراد به أنه متقبل عنده، وليس معنى الصعود الارتفاع من مكان إلى مكان، وإنما هو تعظيم لله تعالى وإنما وصف بالعلو لتقبله، والإخبار عنه يقع بلفظ الارتفاع والصعود وهذا تأويل جائز فى لغة العرب. كما قال أحمد بن النظر:

وقال إليه طيب القول صاعد ... وصالح ما يؤتى من الفعل والكلم
فيرفعه يعنى بذاك قبوله ... وليس كما قال المشبهة الغشم

وكل ما ذكرته المشبهة وسألت عنه من آى القرآن وتأويله من لغة العرب إذا كان موافقاً للتنزيل والتنزيه لله سبحانه، فهو حق إن شاء الله.

* * *

(١) سورة فاطر: آية ١٠.

الباب الثامن والعشرون

فى النور وتفسير قول الله تعالى :

(الله نور السموات والأرض)(١)

علموا وفقكم الله وإيانا أن النور فى كلام العرب على معان مختلفة ، يقال للشمس نور والقمر نور ، ويقال للنار نور ، ويقال للكلام نور . ألا ترون إلى قول القائل والله ما كلامك إلا نور. والله سبحانه وتعالى جل وتقدس لا تشبهه هذه المعانى وكلها عن الله منفية : لا يقال الله شمس ولا قمر ولا ضوء ولا نار ولا كلام ولكنه سبحانه وتعالى منور السموات والأرض وهادى من فيهن . ومما |١٣٠| يدل على ذلك قوله (مثل نوره)(٢) يعنى به نور الإيمان فى قلب المؤمن وبدنه كمشكاة ، والمشكاة هى القصبة التى تكون فى جوف القنديل التى يكون فيها الفتيلة وفيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى توقد من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يقول لا تصيبها الشمس من المشرق ولا تصيبها من المغرب ، وإنما الشمس عليها لا تنقطع عنها حين تغرب ولا حين تشرق فذلك أجود ما يكون من الزيتون (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور) (٣) أى هدى على هدى فسمى هداه نوراً الذى أنور به قلب المؤمن . فهذا على أن الله إنما عنى بقوله الله نور ، أى أنه منور الأشياء أى مبينها ، والله سبحانه وتعالى لا يمثل نفسه بقنديل ولا بمصباح ولا زجاجة : ولو كان كذلك كان محدوداً

---

(١) سورة النور : آية ١٠ .

(٢) سورة النور : آية ٣٥ .

(٣) سورة النور : آية ٣٥ .

صغيراً ، وقد قال سبحانه وتعالى : (ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم)(١)، ولو كان نوراً لبعض هذه الأنوار لم يكن له على النور الذى هو كبعضه حجة ولكنه بائن عن جميع الأشياء كائن ما كان منها : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(٢) .

---

(١) سورة النحل : آية ٦٠ .

(٢) سورة الشورى : آية ١١ .

الباب التاسع والعشرون

(فيما يجوز من الصفات حقيقة ومجازاً)

وجائز أن يقال لم يزل الله تعالى سميعاً وهى صفة ذات ، وجائز لم يزل بصيراً وهى صفة ذات والمعنى أنه عالم لأن العالم بالشىء بصير به . وقد يكون معنى ذلك أن المبصرات إذا وجدت كان مبصراً لها كما عنينا بوصفنا له بأنه لم يزل سميعاً أن المسموعات إذا كانت كان سامعاً لها . والوصف له تعالى رأى قد يتصرف على وجهين : فأحدهما أن يوصف بذلك ويعنى به أنه عالم فعلى هذا المعنى جائز أن يقال لم يزل رائياً على معنى لم يزل عالماً إذا كانت الرؤية فى اللغة علماً ، والوجه الآخر أن يعنى به |١٣١| مبصراً للمبصرات ، فلا يجوز من هذا الوجه أن يقال لم يزل رائياً كما لم يجز أن يقال لم يزل مبصراً ، لأن المرئى المدرك لا يكون مرئياً إلا وهو موجود . وجائز أن يوصف بأنه لم يزل قاهراً ولم يزل قاهراً للأشياء قبل أن يخلقها لأنه لم يزل مقتدراً عليها فاقتداره على ما لم يوجد فهو قهره لذلك . وجائز أن يوصف بأنه لم يزل باقياً ، ومعناه باق أى كائن بغير حدوث ، وكل كائن بغير حدوث فواجب أن يوصف بأنه باق ، فلما كان الله تعالى لم يزل موجوداً بغير موجد وجب أنه لم يزل باقياً ، وجائز لم يزل فرداً منفرداً ، وجائز أن يوصف بأنه قريب من الخلق . والوصف له تعالى فذلك على جهة التوسع والمجاز المراد به أنه عالم بنا وبأعمالنا ، وأنه سامع لقول الخلق ورائى لأعمالهم وأنه لا ستر بينه وبينهم ولا حجاب ولا مسافة ، فلما كان على ذلك قيل فى سعة اللغة أنه قريب منه إذ كان لا يشاهد أعمالنا أحد من المخلوقين إلا من كان قريباً .

مسألة : فان قال قائل أخبرونى عن تقرب العباد إلى الله بالطاعات أهو عندكم مجازاً أو حقيقة ؟ قيل له بل هو مجاز وتوسع ومعناه طلب المحبة

والكرامة منه ، وإنما قيل لذلك بقرب لأنا فى الشاهد إذا أحببنا شيئاً قربناه وإذا أبغضناه بعدناه منا فلهذا قيل لذلك تقرب إلى الله عز وجل على المجاز .

مسألة : وجائز أن يقال إنه تعالى قوى على الحقيقة ، وجائز القول بأنه عارف بالأشياء ، كما يقال بأنه عالم بها ، لأن العلم هو المعرفة والعالم بالشىء فى الشاهد هو العارف به ، وجائز أن يقال يدرى الأشياء كما يقال إنه يعلمها ، وإن كان استعمال هذه اللفظة فى صفاته قليلا لأن الوصف للعالم فى الشاهد بأنه يدرى الأشياء بمعنى الوصف له أنه يعلمها ويعرفها ، فلما كان الله عالماً بالأشياء صح أنه يدريها وقد جاز ذلك فى صفاته جل وعز وعند أهل اللغة. |١٣٢| قال بعض الشعراء :

« اللهم لا أدرى وأنت الدارى »

يريد لا أعلم وأنت العالم . وجائز أن يوصف بأنه يجد الأشياء لأن العلم وجدان فى اللغة والعالم بالشىء فى اللغة واجد له ، فلما كان الله تعالى بالأشياء عالماً كان لها واجداً . وقد يوصف تعالى بأنه شاهد على كل نجوى ومعنى ذلك أنه رائى لها وسامع ، فقيل له فى معنى الرؤية والسمع أنه شاهد على التوسع لأن المشاهدة للشىء هو الذى يراه شاهد على التوسع ، ولأن المشاهدة للشىء هو الذى يراه ويسمعه دون الغائب منا . ويوصف بأنه تعالى مطلع على المجاز لأن المطلع منا على الشىء من فوقه يكون أعلم به وأولى بأنه لا يخفى عليه شىء منه . فلما كان الله تعالى بالأشياء كلها عالماً لا يخفى عليه شىء منها ، قيل إنه مطلع عليها مجازاً .

ويوصف بأنه لم يزل غنياً عن الأشياء ، ومعنى ذلك أنه لا يصل المنافع ولا لمضار ولا يجوز عليه اللذات والسرور ولا الآلام والغموم ولا يحتاج إلى غيره ويستعين به فى أفعاله وتدبيره ، بل هو بنفسه عليها قادر وبها عالم فوجب لها أن يقال أن يوصف بأنه لم يزل غنياً بنفسه عن سائر الأشياء . ويوصف تعالى بأنه يغضب ويسخط ، ومعنى هذا الوصف له هو معنى الوصف لنا بهذا الفعل فى الشاهد إلا أن غضبنا وسخطنا يحلان فينا ، وغضب الله وسخطه لا يحلان فيه ،

مسألة : فان قال قائل فاذا لم يجز عندكم أن يحل فيه الغضب والسخط فلم وصفتموه به وأجزتموه عليه ؟ قيل له جاز أن نصفه بذلك بأن فعله من غير أن يحل فيه، والا لما جاز أن نصفه بالكلام وبالأمر والنهى وبأن يفعل ذلك من غير أن يحل فيه . وقال أهل العلم إن غضبه وسخطه هو عقوبته وناره وإن حبه ورضاه هو ثوابه وجنته . ولا يجوز أن تكون العقوبة إلا محدثة ، لأنه لا يجوز أن يحدث ذلك إلا عندما يستحقه منه المذنب |١٣٣| ولو كان لم يزل غضبان على من لم يعصه لكان بذلك ظالما له، وأيضاً فلو كان لم يزل غضبان لنفسه لا بحدوث غضب لم يجز أن يصير راضياً ساخطاً لنفسه، لم يجز أن يغضب ويستحيل أن يقال إنه لم يزل راضياً ولم يزل عاجزاً بنفسه ولم يزل قادراً بنفسه . ساخطاً لنفسه ، كما يستحيل أن يكون أنه لم يزل جاهلا بنفسه ولم يزل عالماً بنفسه فصح الرضا والغضب وسائر ما ذكرنا من أفعاله إذا كان موصوفاً بها أو بأضدادها على نحو الكراهية والإرادة والحب والبغض، لأن الأضداد صفات لذاته لا تجوز عليه كما لم يجز عليه الجهل لما كان لم يزل بنفسه عالماً ، ولم يجز عليه العجز لما كان لم يزل بنفسه قادراً . ولا يجوز عليه الحدث لما كان لم يزل بنفسه قديماً، فصح بهذا أن من جاز أن يوصف به وبضده أو بالقدرة على ضده من نحو الإرادة والكراهية والحب والبغض والرضا والغضب والسخط ان يكون ذلك من فعله .

مسألة : إن سأل سائل فقال هل يجوز أن يوصف الله تعالى أنه لم يزل ساخطاً على أهل النار ولم يزل راضياً عن أهل الجنة ؟ قيل له نعم على أنه هو المعاقب لأهل النار والمثيب لأهل الجنة ، وينظر فى هذه المسألة والتى قبلها .

فصل :

وجائز أن يوصف الله تعالى بأنه يحب ويبغض ومعنى الوصف له بالمحبة هو معنى الوصف له بالإرادة ، ومعنى الوصف له بالبغض وهو معنى الوصف له بالكراهية ، وكذلك إن كل ما كره الله تعالى كونه من العباد، فهو مبغض كونه منهم ، وكل ما أراد كونه من العباد فقد أحب كونه منهم ، وكل ما أراد

الكرامة من عباده فهو له محب ، وإرادته لإكرامه ولتعظيمه فهي محبته له ، وكراهته لإكرامه ولتعظيمه هو بغضه له ، لأنه ليس معنى حب الله العباد إلا حبه [١٣٤] لإكرامهم ولتعظيمهم وليس بغضه لهم إلا ضد ذلك. والرضى والمحبة من الله تعالى معناهما أنهما صفة من صفات فعله ، وذلك أنه تعالى إذا رضى من عبده وأحبه أوجب له الجزاء والثواب بفعله المرضى عنه به . وقد حكى بعض المفسرين أن قوماً زعموا أنه تعالى لا يحب ولا يبغض على الحقيقة ، لأن الحب عندهم من طبع البشر ، ولو كان الأمر على ما قالوا لنفوا عنه جميع صفاته لأن العلم إنما يكون من الخلق بمعان معلومة وآيات معروفة والله تعالى عالم بخلاف تعارف الخلق منهم فى العلم ، والله تعالى عالم بحب عبده على الإحسان والطاعة على الحقيقة لا حب طبع ولا لهو ولا مشاكلة .

فصل :

ويقال إن الله نور على ما قال الله تعالى واستعمله المسلمون ، وإنما قال ذلك توسعاً ومجازاً وإرادته أهل السموات والأرض ومبين لهم .فقال تعالى إنه نور السموات والأرض مجازاً إذا كان به يهتدى أهل السموات والأرض فى دينهم ومصالحهم كما يهتدون بالنور والضياء ، لأن النور المعقول المستحق لهذا الاسم إنما هو ضياء ومشاهدة ، من نحو ضوء الشمس والقمر وما أشبه ذلك. فلما لم يجز أن يكون الله ضوءاً ولا من جنس الضوء ، والأنوار محدثة ، والله تعالى لا يشبهه شيء من الأجناس المخلوقات صح أنه إنما قال إنه نور السموات والأرض مجازاً لا حقيقة وعلى هذا السبيل قال إن القرآن نور وإن الإيمان نور وأراد بذلك أن القرآن يهتدى به الناس فى دينهم كما يهتدون بالنور الذى هو ضياء لمصالحهم . وكذلك الإيمان فقال تعالى إنهما نور على التوسع دون الحقيقة لأن القرآن والإيمان هما مخالفان للأنوار والضياء فى الجنس ، وجرى عليهما اسم الأنوار والضياء توسعاً ومجازاً على ما [١٣٥] بينا .

مسألة : فان قال قائل فما أنكرتم أن يكون سمى الله تعالى نفسه نوراً على الحقيقة وإن لم يكن من جنس الأنوار والضياء ؟ قيل له إن الله جل وعلا لا يجوز أن يسمى بالأسماء على جهة الألقاب؛ولا يسمى بالاسم إلا بعد أن يكون مستحقاً بمعنى ذلك الاسم من جهة العقول واللغة ، كنحو تسمية نفسه بأنه قديم وأنه واحد وأنه عالم وأنه رحيم لأنه لو جاز أن يتسمى بالاسم على جهة التلقيب لجاز أن يسمى بأنه جسم وبأنه محدث وبأنه إنسان، فلما لم يجز أن يتسمى بذلك إذا كان خلاف ما يستحقه من الأسماء والصفات صح أنه لا يجوز أن يسمى إلا بالاسم الذى يكون مستحقاً له ولمعناه من جهة العقول واللغة . وأيضاً فان الاسم إذا سمى به المسمى على جهة التلقيب من غير أن يكون مستحقاً له ولمعناه من جهة العقول واللغة، لايجوز أن يكون وصفاً للمسمى به،وذلك أنا لو سمينا صبياً بقولنا مسلم وبقولنا صالح وما أشبه هذه الأسماء على جهة التلقيب والتعريف لم يجز أن يصير بقولنا مسلم وصالح صفة هذا الصبى . ولا يجوز أن يقال رأيت صبياً صالحاً ولا مسلماً ولو كان مستحقاً للتسمية بمسلم وصالح ، من جهة العقول واللغة جاز أن يوصف بهذه الأسماء ، كما أن سمينا المطيع لله [...]الى به بأنه مسلم وأنه صالح لاستحقاقه ذلك لعلمه جاز أن يوصف بهذه الأسماء .فيقال مررت برجل مسلم وبرجل صالح.فلما كانت أسماء الله تعالى يوصف بها علمنا أنه إنما استحقها من جهة العقول واللغة ، ولم يتسم بشىء من ذلك على جهة التلقيب فبما علمنا أنه لا يجوز أن يكون ذلك وصفاً له على الحقيقة ، إذ كان خلاف الأنوار والضياء وأنها لا تشبهه ولا يشبهها كما لا يشبه سائر ما خلق علمنا أنه وصف نفسه بأنه نور مجاز لا حقيقة ،ولهذا نظائر فى اللغة وفى القرآن وذلك |١٣٦| أنه يقال إن الله عدل وأنه كريم، فالوصف لله تعالى أنه عدل متوسع مجاز ،لأن العدل فى الحقيقة هو المصدر فقالوا عدل وأرادوا أنه العادل فتوسعوا فى هذا القول،إذ كان يعقل عنهم ما أرادوا بذلك من الصفة بأنه عادل ،ومثله وصفه لنفسه تعالى بأنه السلام والسلام إنما هو المصدر المعقول فلما كان يعقل عنه ما أراد بوصفه لنفسه

بالسلام أنه الذى يكون السلامة من قبله جاز أن يصف بذلك نفسه توسعاً . ا
وقبله بذلك بأن الله هو الحق ، فوصف نفسه بذلك أن عبادة الله هى الحق وأن عبادة غيره هى الباطل . وقد يجوز أن يعنى بقوله إن الله هو الحق أن الله هو الباقى المحيى المميت وإن ماتدعون من دونه هو الباطل أراد به يبطل ويذهب وأنه لا يملك أحداً ثوباً ولا عقاباً . ومن ذلك أيضاً قول المسلمين يا غياث يا مغيث ويا رجى المستجيرين ، والغياث والرجاء هو المصدر فى حقيقة اللغة ، فوصفوا الله بهما توسعاً ومجازاً وأرادوا بذلك أنه المغيث للمستغيثين وأنه مرتجى الآملين . فان قال أفتزعمون أن قول الله عز وجل الله نور السموات والأرض وقوله السلام ، وقوله الحق ، وقول المسلمين عدل وغياث ورجاء هذه أسماء وصفات له ، قيل له ليست بأسماء له عز وجل ولا صفات له ولكن جعلت مكان أسمائه وصفاته مجازاً وتوسعاً إذ كانت تدل على أسمائه وصفاته عز وجل .

فصل :

وجائز أن يوصف تعالى بأنه طالب ومدرك ، ومعنى الطالب أنه يطلب من الظالم حق المظلوم لأنه لا يضيع عنده للمظلوم حق ، ومعنى المدرك أنه الذى لا يفوته شىء طلبه ولا يعجزه أحد ولا يمتنع عليه شىء وليس الوصف له تعالى بأنه مدرك مثل الوصف له بأنه غالب لأن هذا الإدراك إنما هو فعل منه ، وهو أيضاً منصف للمظلوم من الظالم ، والوصف له أنه غالب إنما هو من صفات الذات لأن معناه أنه |١٣٧| قاهر للأشياء مقتدر عليها .

فصل :

فان قال قائل أليست الأشياء كلها فى قبضته وسلطانه ؟ أوليس هو بها(١) جميعاً عالم ؟ قيل له بلى ، قال فان قال قائل فكيف يجوز منه الطلب بما هو عارف بمكانه ومقتدر عليه ؟ قيل له هو وإن كان عالماً بكل شىء ومقتدراً

(١) كتب فى المخطوطة « بهما » .

على كل شيء فقد يسمى أخذه للظالم بحق المظلوم طلباً بحق المظلوم منه ، لأن هذا يسمى فى اللغة منا طلباً وإن كنا مقتدرين على من نطالبه بذلك .

فصل :

ويوصف الله تعالى بأنه راحم لعباده ومعنى راحم أنه منعم وأنه ناظر لعباده وأنه محسن إليهم . وقد بين الله تعالى ذلك فقال : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(١) ، فارساله النبى صلى الله عليه وسلم هو نعمة منه تعالى على عباده لهم وهو رحمة منه كقوله تعالى فى وصف القرآن أنه : (هدى ورحمة لقوم يؤمنون)(٢) ، والقرآن نعمة من الله تعالى على عباده فسماه رحمة لهم ؛ وقد أجمع أهل اللغة والمسلمون على أن الغيث رحمة والغيث أيضاً هو نعمة من الله تعالى فعلمنا بهذا أن معنى الرحمة من الله عز وجل بمعنى النعمة .

مسألة : فان قال قائل أفليس الرحمة منا هى رقة القلب ؟ قيل له لا .. لأن رقة القلب ليس هى فعل الراحم والرحمة هى فعل الراحم منا وذلك أن الرقيق القلب ربما حمل نفسه على قتال من ترق له قلبه فلا يكون راحماً له إذا قتله وإن كان قلبه رقيقاً عليه ، وإنما الرحمة له تجليته له وإرادته له الصلاح والنجاة ، وإنما توهم قوم أن الرحمة هى رقة القلب وسموا من كان رقيق القلب رحيما لكثرة ما توجد الرحمة من الرقيق القلب كما سمى قوم الشهوة محبة لكثرة ما توجد المحبة مع الشهوة ، والشهوة فى الحقيقة خلاف المحبة .

فصل :

ويوصف تعالى بأنه مصلح لأن فاعل الصلاح يسمى مصلحاً ، ويوصف بأنه مفضل بما فضل به غيره ومن فعل الفضل سمى مفضلا ؛ ويوصف بأنه خير |١٣٨| لأن الفاعل فاعل الخير إذا كثر ذلك منه استحق أن يقال له خير ، فلما كان فعل الخير من الله تعالى موجوداً وجب أن يسمى خيراً . ويقال إن الله

---

(١) سورة الأنبياء : آية ١٠٧ .

(٢) سورة النحل : آية ٦٤ .

أصلح لنا من غيره وخير لنا من غيره وهذا القول أيضاً توسعاً والمراد به نعمه وفضله وخيره . ويقال الله تعالى خيراً فعّال منك .

مسألة : ويقال الله تعالى قد فعل الشدائد والآلام وليست بشر على الحقيقة ، وقوله تعالى : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة)(١) ، وقوله عز وجل : (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) (٢) . من لعنه الله وغضب عليه هو شدائد ومصائب وليس بشر على الحقيقة . وقوله إنه بشرّ مجازاً وتوسعاً وأراد به أنه ضرر وشدائد لأن الشر هو عيب وفساد وفاعله شرير إذا كثر ذلك منه وجمع فاعل الشر هم الأشرار والله تعالى جل عن أن يكون شريراً أو يكون مع الأشرار فصح بهذا أن الله تعالى لا يفعل الشر على الحقيقة .

مسألة : فان قال قائل أخبرونا عن عذاب جهنم أشر هو أم خير ؟ قيل له ليس بشر ولا خير ولكن عدل وحكمة لأن الخير ما كان فيه نفع لأهله ، والشر هو ما وصفنا من العيب والفساد . فان قال أفتزعمون أن الله تعالى ينفع ويضر ؟ قيل له نعم هو ينفع المؤمنين وغيرهم ويضر الظالمين بعقابه إياهم . فان قال قائل أفهو ضار لهؤلاء الظالمين بعقابه إياهم ؟ قيل له نعم ، فان قال فاذا جاز عندكم أن يكون ضاراً على ما وصفتموه فلم لا يجوز أن يكون مفسداً ؟ قيل له إن الضرر قد يكون حكمة وعدلا إذا كان من فعل به مستحقاً ، والفساد لا يكون حكمة ولا عدلا ، فلهذا لا يجوز أن يكون عز وجل مفسداً ولا فاعلا للفساد . وأيضا فليس قياس الضرر قياس الفساد وذلك أنه لو أفسد رجل بناء لرجل أو مالا له كان إنما أضر بذلك صاحب المال على الحقيقة ولم يكن أفسد بذلك |١٣٩| صاحب المال والبناء وإنما أفسد المال والبناء على الحقيقة دون صاحبهما فصح بهذا أنه لا يجب أن يكون الشيء فاسداً من حيث كان ضرراً إذ لم يكن فاسداً لمن ضر له ولأن يستحق ذلك الضرر فجاز أن يكون عقاب الله تعالى للكافرين عقاباً لهم لما بينا من الفرق .

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٣٥ . كتب فى المخطوطة خطأ « ولنبلونكم » .

(٢) سورة المائدة : آية ٦٠ .

فصل :

ويوصف الله تعالى بأنه مختار ومعناه أنه مريد له، إذا لم يكن ملجأ إلى ما أراده ولا مضطراً له إليه، والإرادة هي الاختيار في اللغة في وصفنا له تعالى بذلك وفي وصفنا لغيره، إذ كانت على ما وصفنا من زوال الإلجاء والاضطرار إليها . ويقال إن اختيار الله الذي اختاره هو غير المختار كما أن الإرادة غير المراد من الله تعالى ومن العباد . ووجدت في بعض الكتب أنه لا يجوز أن يقال إن الله تعالى مختار، قال "ومعنى الخيار كالذي يروى بين الشيئين فينظر أيهما يختار لجهله وقلة علمه بالأجود منهما وذلك منفي عن الله تعالى لأنه عالم بحقيقة الأشياء وبفسادها من صحيحها" وفي القرآن ما يؤيد القول الأول وهو قوله عز وجل (وربك يخلق ما يشاء ويختار) (١) قال ابن عباس يختار من يشاء من خلقه فينتجيه بقوله يجعله نبياً رسولا ما كان لهم الخيرة من أمره ، ما كان لهم أن يختاروا هم . وقال المفضل أي الخلق له فيختار منه من يجعله نبياً ومن يجعله رسولا ومن يجعله شهيداً ما كان لهم الخيرة أي الاختيار . والخيرة مصدر في الاختيار والخير جميعاً فالله أعلم بالأصح من القولين .

مسألة : فان قال أفتزعمون أن اختيار الله تعالى لأنبيائه صلواته عليهم هو إرادته لهم ؟ قيل له إن اختياره تعالى للأنبياء هو اختياره لإرسالهم إلى العباد وذلك أنه أراد به لإرسالهم إلى العباد فجعل اختياره لإرسالهم اختياراً لهم في سعة اللغة . فان قال أفتزعمون أن اصطفاء الله تعالى للأنبياء هو اختياره لهم ؟ قيل له إن اصطفاءه لهم إياهم هو لاختصاصه إياهم بها |١٤٠| ليس معنى الاصطفاء معنى الاختيار ، لأن جميع ما يريده الإنسان من غير أن يلجأ إليه فهو مختار له وليس يجب أن يكون مصطفياً له كما يكون مختاراً للأكل والشرب ولا يكون مصطفياً لهما .

---

(١) سورة القصص : آية ٦٨ .

فصل :

ويقال إن الإنسان يكون خليلا لله تعالى ومعنى الخلة الاختصاص، فمن اختصه برسالته ووحيه وافضى من ذلك بما لم يفض به إلى غيره من الناس كان الله خليلا له، لأن الله تعالى قد خصه بما وصفنا، ولهذا كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم خليلا لله إذ كان قد اختصه بما لم يؤته غيره من الناس(١) ولهذا كان الرجلان إذا اختص بعضهما ببعض وأفضى كل واحد منهما إلى صاحبه ما لم يفض به إلى غيره سمى خليلا له فى اللغة . ولا يجوز أن يقال إن الله تعالى خليلا لأحد من أنبيائه ورسله وخلقه على الحقيقة لأن الخليل فى اللغة إنما هو خاصة له الذى يفضى إليه بأسراره وأموره دون غيره، لأنهم لم يخصوا الله بشىء فيكون لذلك خليلا لهم كما كانوا أخلاءه لما خصهم به من الوحى والرسالة.

مسألة : فان قال أفتزعمون أن جميع الأنبياء أخلاء لله إذ كان قد خصهم بما خص به إبراهيم صلى الله عليهم ؟ قيل له نعم وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله قد اتخذ صاحبكم خليلا » يعنى نفسه ولهذا قال: « لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يختص أحداً من أمته بشىء من الدين والعلم لا يظهره لغيره، ولا أمر بذلك إلى أحد لأنه قد بعث إليهم جميعاً فهو يعمهم بالإبلاع والدعوة، فلما لم يكن يخص أحداً بذلك من أمته لم يكن أحد منهم خليلاله ؛ ويقال فى سعة اللغة ، الإنسان خليل على معنى حبيب فهذا مجاز لا حقيقة لأنه لو كان الحبيب خليلا على الحقيقة لكان المؤمنون جميعاً أخلاء الله، كما أنهم أحباؤه وهذا غير صحيح ولا سائغ فى حقيقة اللغة . فان [١٤١] قال أفليس قد روى عن أبى هريرة أنه قال سمعت خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل له قد يجوز أن يقول أبو هريرة هذا على التوسع ، وأما حقيقة الخلة هو ما وصفناه وهى تأويل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر رضى الله عنه .

---

(١) قال الله تعالى : (واتخذ الله ابراهيم خليلا) . سورة النساء آية ١٢٥ .

مسألة : فان قال أفيجوز أن يتخذ الله تعالى صديقاً من خلقه ويكون صديقاً للمؤمنين ، والمؤمنون له أصدقاء ؟ قيل له لا .. فان قال وما الفرق بينهما ؟ قيل له لأن الصديق فى اللغة بأن يصدق صاحبه الود والمحبة وأن يكون ضمير كل واحد منهما لصاحبه سريرته مثل علانيته، فلما لم يجز أن يوصف الله تعالى بأن سريرته للأنبياء كعلانيته وإنما يضمر لهم كما يظهر إذ كان الضمير والطوية لا يجوزان عليه لم يجز أن يكون صديقاً لهم . وأيضاً فان الصديق إنما هو اسم وقع فى اللغة على التوسع وذلك أنه اشتق من صدق المودة والصدق فى حقيقة اللغة إنما هو الخبر الذى وقع بخبره على ما أخبره به المخبر ، فلما كان استعمالهم الصدق فى المودة مجازاً غير الحقيقة لم يجز أن يسمى الله تعالى به لأنه يجب التسمية له عز وجل من جهة الحقائق لا من جهة المجاز ، فلهذا لم يجب أن يقاس الصديق على الخليل إذا كان التسمية بالخليل حقيقة والتسمية بالصديق مجازاً والمجاز لا يجب أن يقاس على الحقائق .

فصل :

ويقال إن الله تعالى يمتحن عباده توسعاً ومجازاً والمراد أنه يكلفهم طاعته ويأمرهم بها لأن الامتحان فى أصل اللغة إنما هو التجربة وطلب معرفة حقيقة الشىء الذى يمتحنه، فلما كان الله سبحانه وتعالى عالم بالأشياء وبما كان من أخبار بها وما يكون لم يجز عليه التجربة ولا الامتحان على الحقيقة ، وإنما قيل مجازاً وأريد منه أن يكلف ويأمر ، وكذلك يقال إنه يختبر مجازاً لا الحقيقة لأن الاختيار هو طلب المختبر الخبر بالشىء الذى [١٤٢] يختبره والعلم به فلما كان الله سبحانه وتعالى لم يزل بالأشياء عالماً لم يجز عليه أن يختبر شيئاً وأن يطلب العلم به . وكذلك يقال إنه يبتلى توسعاً ومجازاً لا حقيقة ويراد بذلك أنه يكلف ويأمر ،لأن الابتلاء فى حقيقة اللغة هو الفعل الذى يطلب الفاعل أن يعرف به صبر المبتلى وما يكون منه عند الابتلاء ، قال الشاعر :

بليت وفقدان الحبيب بليـــة وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر

فلما كان الله تعالى عالماً بكل شىء قبل أن يخلق عباده وقبل أن يأمرهم

لم يجز أن يريد بأمره إياهم معرفة ما يكون منهم إذ كان لم يزل عالماً فلم يجز أن يبتلى العباد على الحقيقة وإنما توسعوا له فى الوصف بأنه يمتحن ويختبر ويبتلى، وأرادوا بذلك أنه تعالى يأمر ويكلف توسعاً ومجازاً. فان قال أفتزعمون أن الله تعالى يكلف عباده طاعته على الحقيقة ؟ قيل له نعم . فان قال أفليس المكلف منا فى الشاهد إنما يكلف غير حاجته ؟ قيل له قد يجوز أن يكلف أحدنا غيره حوائجه التى يحتاج إليها وقد يجوز أن يكلفه أيضاً فعل ما يحتاج المكلف وإن لم يكن للمكلف فى ذلك حاجة، لأن التكليف فى الأصل إنما هو تحميل الإنسان العمل الذى يلزمه إياه فاذا لزمه ما يحتاج إليه الأمر وإذا لزمه ما يحتاج، إليه فقد كلفه ما يحتاج إليه المأمور دون الآمر، فقد كلفه ذلك وإن لم يكن للآمر إليه حاجة : فلما كان الله عز وجل غنياً عن الأشياء كلها كان تكليفه العباد طاعته لحاجتهم إلى ذلك ولانتفاعهم به، لا لحاجته هو إليه ولا لمنفعة تناله منهم . وقد مر شىء من هذا فى باب التكليف .

فصل :

ويقال إن الله تعالى ناصر المؤمنين ومعنى ذلك دفعه المكاره والشدائد والهوان عنهم ليعزهم بذلك ويكرمهم وهذا هو النصرة المعقولة بيننا فى الشهادة ٥ ويقال إن الله يخذل الكفار والفساق ومعنى ذلك ضد النصرة وهو |١٤٣| أن لا ينجيهم من الهوان والشدائد أن يفعل بهم ما يتقون معه فى الشدائد والهوان . ويقال إن الله تعالى يهدى المؤمنين والهدى على ثلاثة أوجه : فوجه منه هو الدلالة لأن كل دلالة إلى شىء فهو هدى إليه فى اللغة فهو الهدى ، قد هدى الله تعالى المؤمنين والكافرين جميعاً إلى الدين لأنه قد دلهم جميعاً على الدين ، ووجه آخر فهو الإيمان لأن الإيمان هو هدى من الله تعالى كما أنه نعمة من الله ، ووجه ثالث هو النجاة لأن الله تعالى قد بين أنه سيهدى المؤمنين بعد موتهم بقوله تعالى : (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم) (١) . ولا يكون الهدى بعد الموت إلا الثواب والنجاة ٥ لا

---

(١) سورة محمد : الآيتان ٤ — ٥ .

الضلال الذى يعاقب الله به الكافرين ، وذلك الهلاك وضده الهدى وهو النجاة . فعلى هذه الثلاثة الأوجه يصرف معنى هذا القول إن الله تعالى يهدى المؤمنين .

مسألة : فان قال فما معنى قوله عز وجل : (ويضل الله الظالمين)(١) ، قيل له معنى ذلك أنه يهلكهم ويعاقبهم لأن الضلال فى اللغة على وجهين : فوجه هو الهلاك ، ووجه هو الذهاب عن الصواب وعن الطريق . لأن الله تعال قال : (أإذا ضللنا فى الأرض أإنا لفى خلق جديد)(٢) يعنى أهلكنا فى الأرض . وقال تعالى : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم)(٣) أى أهلكها . وقال تعالى : (وضلوا عن سواء السبيل)(٤) يعنى بذلك ذهبوا عن الحق ، لأن ذلك كفر وعيب ، علمنا أن الضلال الذى يفعله الله هو الوجه الآخر وهو الهلاك.

مسألة : فان قال مامعنى قوله عز وجل : (من يضلل الله فلا هادى له)(٥) قيل له من علم أنه يضل لم يكن له هاد ، وكذلك قوله تعالى : (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) (٦) ، من علم أنه يضلل لم يهتد ، ومن |١٤٤| علم أنه يهتدى لم يضل ، وكذلك قوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)(٧) .. الآية ، القول فى الكل واحد هذا عن أبى الحسن رحمه الله .

مسألة : ويقال تعالى إنه موفق المؤمنين لطاعته ومعنى ذلك أنه فعل لهم فعلا اتفق به لهم فعل الإيمان . والتوفيق فى اللغة أن الشىء الذى هو توفيق له هو متفق به لصاحبه لا محالة وذلك أنهم إذا قالوا وفق الله لنا لقاء فلان فهم

---

(١) سورة ابراهيم : آية ٢٧ .
(٢) سورة السجدة : آية ١٠ .
(٣) سورة محمد : آية ١ .
(٤) سورة المائدة : آية ٧٧ .
(٥) سورة الأعراف : آية ١٨٦ .
(٦) سورة الأنعام : آية ٣٩ .
(٧) سورة الأنعام : آية ١٢٥ .

قد لقوه وإن لم يلقوه فانهم يقولون لم يوفق لنا لقاء فلان . ولا يجوز فى كلامهم أن يقول القائل وفق لى لقاء فلان وهو لم يلقه ولا أنه لم يوفق له لقاؤه وهو قد لقيه فصح بهذا أن صفة التوفيق هو على ما وصفنا أن الفعل الذى هو توفيق له هو متفق لصاحبه لا محالة .

مسألة : فان قال أفتزعمون أن التوفيق يتقدم الطاعة التى هى توفيق لها ؟ قيل له نعم ، فان قال أفتزعمون أن جميع النعم التى هى معه موجودة مع هذا الموفق هى توفيق ؟ قيل له لا نقول ذلك لأن كثيراً من النعم التى هى معه موجودة قبل هذه الطاعات بأوقات كثيرة فقد كان محتاجاً معها إلى أن يوفقه الله بهذه الطاعات فعلمنا أن التوفيق الذى كان إليه محتاجاً مع هذه النعم المتقدمة هو غيرها وهو لطف يحدث قبل الطاعات بوقت . فان قال أفتزعمون أن التوفيق ثواب ؟ قيل له لأن التوفيق لابد له أن يكون مجاوراً للطاعات لأن الطاعات تتفق لفاعلها ، فاذا كان متقدماً للطاعات لم يجز أن يكون ثواباً ، وأيضاً فان الثواب إنما هو ثواب على ما كان من الطاعات والتوفيق لا يكون توفيقاً إلا للطاعات المستقبلة لأن الداعى لا يجوز أن يقول اللهم وفقنى لما سلف من طاعتك لأن هذا محال عند جماعة أهل الطاعة ، وإنما وجه الدعاء عندهم فى ذلك جميعاً أن يقول |١٤٠| اللهم تقبل منى ما سلف من طاعتك ووفقنى فى مستقبل عمرى واغفر ما سلف من معاصيك واعصمنى فى مستقبل عمرى من معاصيك. والمغفرة والقبول هما الثواب لأنهما قد يوجدان بعد حال الطاعة والمعصية ، والتوفيق والعصمة لا يكونان ثواباً لأن التوفيق هو توفيق المستقبل من الطاعات والطاعة المستقبلة يحتاج إليها . والعصمة هى عصمة من المعاصى المستقبلة ، ومن أجل المعاصى المستقبلة يحتاج إليها فصح أنهما لطيفان من ألطاف الله تعالى وأنهما يسميان باسم العصمة والتوفيق إذا كان المعلوم من شأن من يؤت بهما أنه يصلح بهما ويعتصم من معاصى الله عز وجل .

مسألة : فان قال أفليس ضد التوفيق عندكم الخذلان والخذلان عندكم عقوبة ؟ قيل له لا ، لأن الخذلان هو ضد النصرة والنصرة من الله ثواب ،

والخذلان عقاب ، لأن الله لا ينصر الكافرين ولا يخذل المؤمنين ، وأما التوفيق والعصمة فليستا من النصرة والخذلان فى شىء لأنهما لفظتان على ما بينا من صفتهما. وأيضاً فان قول القائل عصم الله فلاناً من معاصيه فهو كلام صحيح فلو قال نصر الله فلاناً من معاصيه وعلى معاصيه أو على أن لا يعصيه لكان هذا كلاماً محالا لا معنى له فصح بهذا أن النصرة من الله غير العصمة .

فصل :

ويقال إن الله تعالى مسدد المؤمنين ومرشد لهم ومصلح لهم ومعنى ذلك واحد إذا عنينا الصلاح الذى هو الإيمان ، والرشد هو الإيمان والصلاح هو الإيمان فاذا وصفنا الله تعالى بأنه أصلح المؤمنين أضفنا سداده وصلاحه وإيمانه إلى الله تعالى إذا كان إيماناً لذلك بالله تعالى عز وجل ، وكذلك إنمـا وصفناه لأنه أرشد المؤمن بأن أضفنا إرشاده وإيمانه إلى الله تعالى، وكذلك وصفناه بأنه تعالى مسدد المؤمن على هذا المعنى ، فان قال فمتى تصفون [١٤٦] الله تعالى بأنه أرشده ؟ قيل له نصفه تعالى بذلك فى وقت وجود هذا الرشاد وهذا السداد وهذا الصلاح من الإنسان، كما إذا وصفناه من الهدى الذى هو الإيمان ، بأن هدى المؤمنين فانما نصفه بذلك فى حال وجود الإيمان . فان قال أفيجوز عندكم أن يرشد الله المؤمن من غير هذا المعنى الذى هو الإيمان ؟ قيل له نعم بأن يثيبه لأن الثواب إرشاد . وقد روى لنا عن بعض فضلاء المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى شعر له :

حتى يقولون وقد مروا على جدثى

يا أرشد الله من غار وقد رشـدا

فقوله أرشدك الله من غار يدل على أنه يدعو له بالثواب لأنه ميت فى القبر والميت لا يدعى له بأن يرزقه الله الإيمان . وقد يجوز أن يقال إن الله تعالى دل عباده المتعبدين إلى طاعته كما يقال هداهم جميعاً إلى دينه بمعنى دلهم على دينه . وإن كان الوجهان الأولان فى الإرشاد أوضح من هذا الوجه الثالث

الذى معناه الدلالة،ولكن لا يقال إن الله تعالى يسدد المؤمن إلا على ذلك الوجه الواحد الذى بينا لأن السداد هو الاستقامة وهو الإيمان ولوجوده بتوفيق الله كان تعالى مسدد المؤمن به .

فصل :

ويقال إن الله تعالى يأبى الأشياء كما أنه يريدها ، والإباء فى اللغة هو المنع والامتناع لأن معنى قوله أبى فلان أن يفعل أنه امتنع أن يفعل ، ومعنى قولنا أبى فلان أن يظلم معناه منع فلان من ظلمه،وهذا موجود فى لغة العرب وأشعارهم ، وقد روى عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يعنى الكفار « وإن أرادوا ظلمنا أبينا » فليس يعنى بقوله أبينا ، كرهنا أن يظلمونا ، لأنه ليس هذا مدح ، وإنما أراد نمنعه من ظلمنا إن أرادوا ذلك . ومعنى قول الله عز وجل [١٤٧] :(يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره)(١) أى يمنع الكفار من إطفاء نوره فهذا معنى الإباء فى اللغة ، وقال المفضل يأبى الله إلا أن يتم نوره أى يمتنع الله تعالى بقدرته إلا أن يتم نوره باظهار الإسلام ونوره القرآن والإباء ها هنا الارتفاع (٢) والعزة .
قال الشاعر :

أبينا أبينا أن تصيب لماتكم على مرشقات كالضياء عواطيا

أى منعناكم من ذلك ، يقول منعناكم أن تسبوا نساءنا فيندلوهن بالنظر حتى تشبهوهن ، والمرشقات الذى يديم النظر ، واللمة المخففة الجماعة من الرجال والنساء . ويقال إن الله تعالى ثابت كما يقال المقر به مثبت إلا أن هذا القول فى صفاته تعالى غير مستعمل ومعنى ثابت أنه كائن موجود . ويقال إن لله الملكوت والكبرياء ومعنى الكبرياء أنه تعالى كبير ، ومعنى الملكوت أنه الملك . ويقال إن الله تعالى لأنه وكيل علينا بمعنى أنه متولى لأمورنا والقائم بحفظنا وتصريفنا فيما يريد ، فهذا معنى الوكيل على المال منا لأنه القائم بحفظ ذلك ، ولا يجوز أن يقال إن الله تعالى وكيل لنا .

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٢ .

(٢) كتبت فى المخطوطة « الانتفاع » وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

مسألة : فان قال قائل لم لم يجز هذا ؟ قيل له الأن معنى وكيل علينا قد بينا وجه جوازه ، ومعنى وكيل لنا غير معنى وكيل علينا وذلك أن من كان وكيلا لنا على شيء فانما كان وكيلا لنا لإقامتنا إياه فى ذلك ، ولأنه قام به بأمرنا فلما لم يجز أن يكون الله تعالى وكيلا بأمر من خلقه ، لم يجز أن يقال إنه وكيل لهم وإنما يصح أن يقال إنه وكيل عليهم كما قال الله تعالى وكان الله على كل شيء وكيلا. فان قال أفتزعمون أنكم تكونون وكلاء عليه كما تكونون متوكلين عليه ، قيل له لا ،لأن الوكيل ليس معناه التوكل لأن مصدر الوكيل الوكالة |١٤٨| بمنزلة الولاية ،والوكيل هو خلاف ذلك المعنى فنحن نتوكل عليه ونعتمد عليه ومعنى ذلك واحد وليس ذلك من معنى الوكالة فى شيء فلهذا لا يجوز أن يوصف تعالى بأنه متوكل علينا ،وصح له الوصف بأنه وكيل علينا ،والقول بأنا نعتمد عليه ونركن إليه وهو توسع ،لأن الأصل هو اعتماد الرجل على ما يعتمد عليه هو من شيء إذا مشى أو قام فجعلوا هذا المعنى فى معنى التوكل توسعاً ، ولهذا سموا بعض الخلفاء بالمعتمد على الله ،وكذلك الركون أصله الاعتماد ويستعملان فى الله تعالى مجازاً على ما بينا .

فصل :

ويقال إنه تعالى كفيل ومعناه كفل لعباده ،أى أثبتهم على طاعته ومعناه أنه كفل بذلك أنه ضمنه ،والكفالة هى الضمان .ويوصف بأنه راع وحارس كما وصف بأنه قريب وإن كان استعماله قليلا ،وفى دعاء المسلمين رعاك الله ، وحرسك الله ، فاذا كان هذا القول منهم صحيحاً فان الاسم من رعاك راع ، ومن حرسك حارس ،وإن كان استعماله قليلا للاستغناء عنه بما يعرفه الناس . ويوصف بأنه تعالى وحيد فريد ، كما وصف بأنه واحد وأنه فرد لأن معناه معنى التوحيد والفرد وحده ، وإنما معنى القليل وليس معنى التوحيد فلا يجوز . ويدل عليه قول القائل : ما كاد زيد يأتينا إلا لغد ، يريد به إلا قليلا .

مسألة : اختلف الناس فى تسمية الله عز وجل أنه غيور فأجاز ذلك قوم واحتجوا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أحد أغير من الله

ومن أغير ممن حرم الفو احش ما ظهر منها وما بطن » . قالوا ومعنى قوله أغير ، أى أزجر من الله ، والغيره من الله تعالى الزجر ، والله تعالى غيور يعنى زجور يزجر عن الحرام ويحظره ويتواعد عليه أشد الوعيد . ومنه ما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « إن سعد بن عبادة سيدكم الغيور وأنا أغير منه والله أغير منى » |١٤٩| على معنى الزجر عن المعاصى ، فأجاز من أجاز ذلك على هذا المعنى . ومنه ما روى عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أهدت إليه شيئاً من غير يومها فأخذت عائشة ذلك فنبذته وكسرت الإناء ، فقال صلى الله عليه وسلم غارت أمكم ، أى زجزت عن إهداء من أهدت ، ولم يجز آخرون ذلك وقالوا إن الصفة بذلك توسعاً ومجازاً ، والمراد بذلك كراهة للفجور ، ولا سيان لأن الغيرة هى جزع الرجل والمرأة من أن يشارك أحدهما أحد ، وهذا المعنى لا يجوز على الله تعالى . يقال غار الرجل على أهله يغير غيرة . قال جرير :

أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

والغارة لغة فى الغيرة ، والغيران : الرجل الغيور والجمع الغيور ، وامرأة غيرى وغيور ، وقال

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرة على نسائكم كسرى وما جمعا

ويقال إنه تعالى ظاهر كما يوصف بأنه تقدس عن الأفعال القبيحة ، ويقال إنه يمكنه أن يفعل بمعنى أنه قادر . ويوصف بأنه بار بعباده لأن بره منة وفضله قد عمهم . ويوصف بأنه سار لأنه يسر أولياءه لدخول الجنة وبما يعطيهم من الثواب ، وهو سار لهم بذلك و هذا هو حقيقة هذا الكلام . فأما وصف الناس لأولادهم إذا كانوا على ما يريدون من الجمال إن لفلان ولداً ساراً فان هذا لا يصح إلا مجازاً لأنه ليس للولد فى ذلك فعل فيكون سار على الحقيقة . والسار على الحقيقة فاعل السرور فلهذا وجب أن يوصف الله تعالى به إذا فعل السرور لعباده . ويوصف تعالى بالإبرام والتفصيل على ما أطلق فى القرآن ، لأن إبرام الأمر هو إحكامه والتفصيل هو فعل من فصل شيئاً حتى يجعله مفصلا ، وهو وصف صحيح وإن كان استعماله فى صفاته تعالى

قليلا . ويقال إن الله تعالى أعرب كلامه |١٥٠| ويقال اللهم إنى أستخيرك ولا يجوز أن يقال اللهم استشيرك ، ويقال أعوذ بالله ثم بك ، ولولا الله ثم فلان . وقد اختلف فى صفة الله تعالى بالفراغ ،فقال هلال بن عطية فى سـ ته ولم يجز أبو الحسن رحمه الله . ويأتى تفسير قوله تعالى:(سنفرغ لكم أيها الثقلان)(١) فى باب غير هذا إن شاء الله . ويقال رفع الله يده عن كذا وكذا ، وسلط الله قوماً على قوم . ويقال بصره فى الخلق نافذ وعلمه بهم محيط ، ويقال يسمع ويرى ، ويجوز عرف ويعرف ،ويقال يا إلـه كل مألوه،لأن المألوه هو العبد ، والإلـه هو الله الذى لا إلـه إلا هو ، ويقال إنه تعالى يسبب الأرزاق لعباده . ويقال إن الله تعالى يعزم ثم يستثنى . ويجوز أن يقال العزم لله والله المعزم لى على الخير . ولا يجوز على الله العزم الذى هو المطلع على الشىء بعد الروية فيه وفى غيره، كما لا يجوز على الله الروية والفكر ، وأما العزم الذى هو إيجاب فعل الشىء على غيرنا فهذا يوصف تعالى به ويستعمل فى صفاته ،لأنه لا يقال إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه ، ويقال أتته عزيمة ربه يعنى ما أوجب الله تعالى عليه ولم يرخص له فى تركه ، والعزم غير الإرادة . وعن أبى الحسن رحمه الله فيمن قال عزم الله لنا بالخير قال لا أراه جائزاً . قال بشير يجوز أن يقال إن الله تعالى حال بين المؤمنين وبين الكفر ، ومعنى ذلك أمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر ، ويجوز أن يقال كل بالله لاحق ، كما يقال كل إلى الله صائر استدلالا بما ورد به الخبر عن الحسن أنه لما نزلت سورة الفتح(٢) على النبى صلى الله عليه وسلم نعى الله تعالى إليه نفسه فقال إذا كان ذلك فاعلم أنك لاحق بالله و إنك ميت (٣)فسبح بحمد ربك . ومما روى عن موسى أنه قال بلغنى إن جبرائيل أتاه صلى الله عليهما

---

(١) سورة الرحمن : آية ٣١ .

(٢) سورة الفتح مدنية (سورة ٤٨ من القرآن الكريم) نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية .

(٣) قال تعالى فى سورة الزمر : آية ٣٠ (إنك ميت وإنهم ميتون) .

يوم الفتح [١٥١] فسلم عليه ثم خيره بين مفاتيح الدنيا ثواباً لما صنع واللحاق بالله إن شاء، فقال بل اللحاق بالله يا جبرائيل . خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أحسنهم صنعاً إلى عياله . فأخذه الشاعر فقال :

الخلق كلهم عيال الله تحت ظلاله

فأحبهم طراً إليـــه أبرّهم بعيـــاله

ويقال لم يزل الله . سميعاً وسميع وسامع من صفات الذات .

مسألة : فان قال قائل فلم لم يزل سميعاً لماذا ؟ قيل له إن السميع ليس يعد إلى مسموع فلا يلزمنا أن نقول لم يزل سميعاً بمسموع ، فان قال أفتقولون إن الله لم يزل سامعاً ؟ قيل له لا يجوز قول ذلك لأنه تعدى إلى مسموع ، والمسموع لا يكون مسموعاً إلا وهو موجود، فلم يجز أن يقول لم يزل الله سامعاً. فان قال فما أنكرتم أن يكون وصفكم له بأنه سامع ليس من صفات الذات إذ لم يجز أن يقولوا لم يزل سامعاً ؟ قيل له لا يجوز أن يوصف بأنه سامع لذاته لأنه لو وصف بذلك بسمع محدث فجاز أن يحدث المسموع ولا يحدث السمع فلا يكون له سامعاً فلما لم يجز ذلك صح أن الوصف له بأنه سامع، إنما هو صفة وجبت لذاته عند وجود المسموع . فان قال فلم قلتم أن سميعاً لا يتعدى إلى مسموع وقد قال تعالى سميع الدعاء ؟ قيل ليس معنى قولنا إنه سميع الدعاء هو ما عنينا بقولنا أنه سامع للدعاء ومدرك له ، وإنما معنى سميع الدعاء مجيب الدعاء فجعل قوله سميع مكان مجيب على التوسع. ومنه قول المسلمين : سمع الله لمن حمده، ومعنى ذلك قبل الله منه هذا القول، وكذلك سمع الله دعاك أى معناه أجاب الله دعاك والله تعالى سامع على كل حال ، وأنشد أبو العباس عن ابن الاعرابى :

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله سمع ما أقـــول

[١٥٢] معناه يجيب، ما أقول وهذا يؤول معناه إلى الفعل في وصف الله تعالى بأنه سميع وأنه سامع من صفات الذات فهو على ما بينا ، ويدل على أن السميع

ليس يتعدى إلى مسموع ، وقول أهل اللغة : الإنسان إنه سميع بصير ، إذا لم يكن أعمى ولا أصم وكان إذا سمع المسموع سمعه ، وإذا وجد المبصر أبصره . وإذا لم يكن في حال ما وصفوه بأنه سميع بصير بحضرته ما يسمعه وما لا يبصره ، فلو كان الوصف له بأنه سميع تعدى إلى مسموع لم يكونوا يصفونه بذلك من غير أن يثبتوا له في ذلك الوقت مسموعاً .

فصل

ويوصف بأنه بصير وأنه لم يزل بصيراً وهو من صفات الذات ، ولا يجوز أن يقال لم يزل مبصراً لأنه لابد من أن يكون معدى إلى المبصر ، فلما لم يجز أن يكون المبصر إلا وهو موجود لم يجز أن يوصف الله تعالى بأنه مبصر له وبأنه لا يكون مبصراً إلا وهو موجود .

فصل

ويقال ما أحسن هذا عند الله وما أقبح هذا عند الله ؛ والعند تأويله العلم والعند معنى غير العلم . قال الله عز وجل : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)(١) ما لديكم منفد وما لديه مما أعد الله تعالى لأوليائه باق . ويقال قاسمت الله مالى ، ويقال جعلت هذا لله وأعطيت هذا لله ، أى التماس الرضا . ومعنى ذلك لولا الله ما أعطيت ، ومعنى أعطيت الله وأعطيت لله يتقاربان : ويقال الله تعالى يبغض ويمقت وينتظر ويمهل ويستدرج ويترقب ، قال الله تعالى : (وانتظروا إنا منتظرون)(٢) ، وارتقبوا إنا معكم مرتقبون . وذلك من غير استعباد ، ولا يقال شيء يبعد عليه ، ومنه يقال أنزل الله القرآن بعلمه ، لمعنى أنه أنزله وهو عالم وليس للباء هاهنا معنى ثان . وكذلك فعل بقدرته وبإرادته وبحكمه . وأما ما كان للباء فيه معنى ثان ، فيقال عذبه بناره ، وأقام بدنه بالطعام ، وأمره بالطاعة ، وزجره بالقرآن ، في هذا أجمع على غير استعانة [١٥٣] .

ويقال إن الله تعالى علم وأدب ، والله معلمنا ومودبنا . وفقه . ولا أعلمهم

---

(١) سورة النحل : آية ٩٦ .

(٢) سورة هود : آية ١٢٢ .

يقولون الله المفقه وهذا أقرب من معلم ومؤدب. ويقال الله أقامني وأقعدني والله المقيم لي والمقعد لي، ولا يجوز الله القائم لي. ويقال الله عاصمني والعاصم لي وناصري والناصر لي، ويقال الله تعالى جاء بي وذهب بي، كما جاء الله بالمطر، وجاء بالفرج وجاء بالسعة والخصب. ويقال لا جاء الله به، ويقال اللهم جيء به فكذلك جاء الله بك وذهب بك. ويقال الله تعالى رفع نفسه عن الظلم والله تعالى يجل عن هذا الأمر على ما قال عز وجل: (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً)(١).

ويقال لا يتعذر على الله بتدبيره، ولا أعلمهم يقولون لا يعينه شيء، وليس ببعيد، وقال تعالى: (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر) (٢). وقال عز وجل: (أفعيينا بالخلق الأول)(٣). وقال المفضل كل ما لم يقدر عليه وما لم يتوجه له فقد عيي به. ويقال لا يقدح حر على ما قال. ولا يؤوده حفظهما يعني يثقل عليه والقادح الثقيل. وقال الطرماح:

ومثلك من ناحت عليه النساء لعظم مصيبة القادحة

أي الثقيلة.

* * *

(١) سورة مريم: آية ٩٢.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩٩.

(٣) سورة ق: آية ١٥.

الباب الثلاثون

(فيما لا يجوز من الصفات)

ولا يجوز أن يقال الله تعالى متين ، لأن المتن فى حقيقة اللغة هو الثخين والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالثخن ، وإنما قال إنه ذو القوة المتين توسعاً ومبالغة فى صفة نفسه بالقوة . ولا يوصف بأنه شديد على الحقيقة لأن الشدة بمعنى الصلابة والله تعالى لا يوصف بالصلابة ، فان وجدنا فى صفته فى القرآن أو غيره أنه شديد فهو مجاز لكثرة استعمالهم فى القوة منا هذا القول على التوسع . ولكن يجوز أن يوصف الله تعالى بأنه شديد العقاب ، وبما أشبه ذلك من صفات الأفعال ، لأن شديد فى صفة الأفعال [١٥٤] إنما هى لأفعال والشدة فى هذه الصفة هى لها لا لله عز وجل .

مسألة : فان قال قائل أفليس قد قال الله تعالى : (أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) (١) ، قيل له بلى وهذا على التوسع والمجاز فى اللغة . فان قال ولم قلتم إنه مجاز ؟ قيل له لو لم يكن مجازاً لوجب أن يكون قوته شديدة وأن يكون قوته أقوى منا ، ولو لم يكن مجازاً لأدى معناه إلى الإحالة فصح بهذا أنه إنما ذكر هذا القول توسعاً فى اللغة وأراد به أقوى منهم وأقدر .

فصل :

ولا يوصف تعالى بأنه موقن لأن اليقين هو العلم الذى يستدركه العالم بعد الشك والارتياب ، أو بعد أن يعلم فيكون قد أيقن بذلك بعد أن كان فيه شاكاً ، فلما لم يجز الشك على الله تعالى ، لم يجز أن يقال إنه موقن . وكذلك لا يقال إنه مستبصر لأن المستبصر فى الشىء هو من استبصر فيه بغير شك فلما لم يجز الشك على الله تعالى لم يجز أن يقال بأنه مستبصر .

---

(١) سورة فصلت : آية ١٥ .

وكذلك لا يقال إنه متحقق لأنه فى معنى مستبصر وموقن، وهذا لا يوصف به أحد منا فى الشاهد إلا بعد أن كان فيه شاكاً فيما يتحققه أو مستبصر فيه؛ وكذلك لا يوصف بأنه يشعر بالأشياء ويفطن لأن من يفطن ويشعر بالأشياء هو الذى لم يكن علمها قبل ذلك، والله تعالى لم يزل بالأشياء عالماً ولا تجوز هذه الصفة عليه تعالى. وكذلك لا يوصف بأنه يحس بالأشياء لأن الإحساس بالأشياء هو أول ما يدرك من العلم بها فلما لم يجز على الله تعالى استدراك العلم شيئاً بعد شيء إذ كان لم يزل عالماً، لم يجز عليه تعالى هذا الوصف. وكذلك لا يوصف تعالى بأنه يعقل الأشياء كما يوصف بأنه يعلمها.

مسألة: فان [١٥٥] قال قائل أوليس العلم عندكم غير العقل؟.. قيل له إنما سمى علمنا عقلا على التوسع تشبيهاً بالعقل الذى هو الشك والمنع، لأن علمنا يحسن الحسن ويقبح القبح هو منع لنا من ركوب القبح وترك الحسن فسمى العقل عقلا من هذا الوجه توسعاً، وعلم الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يكون منعاً عن شيء، لأنه لا يجوز على الله تعالى المنع. كما لا يجوز أن يكون محلى لأن التحلية والمنع إنما يجوز على من تتوق نفسه إلى الأشياء فيمتنع من ذلك ويكف عنه بمثل ما وصفنا وهذا غير جائز على الله عز وجل فلم يجز أن يقال له إنه عاقل.

مسألة: فان قال فما أنكرتم أن يكون معنى هذه الصفات كلها معنى واحد؟ وإنما جاز أن يوصف بأنه عالم ولم يجز أن يوصف بأنه يعقل ويفطن ويحس، وإن كان المعنى ذلك هو معنى العلم، لأن الله تعالى يصف بذلك نفسه فى القرآن ولم يصفه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قيل له لو كان الأمر كذلك لوجب على أهل العقل من أهل اللغة أن يصفوه بهذه الصفات بأنه عالم بالأشياء، من قبل أن يأتيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قبل أن ينزل القرآن لأنهم يعرفون معانى هذه الصفات.

مسألة: ولا يوصف تعالى بأنه يفهم الأشياء كما يوصف بأنه يعلمها

لأن الفهم هو العلم بمعنى الكلام الذى يسمعه حتى تكون إذا سمعته لم يخف عليك معناه . وكذلك الفقه إنما هو أن يفقه الكلام ، ولهذا الأمر لم يوصف بالفهم إلا الكلام وحده ، وكذلك لا يوصف الفقه إلا للكلام كما قال سبحانه : ﴿وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا﴾(١). فلما كان الله تعالى لم يزل عالماً بالأشياء كلها وبمعانيها لم يجز أن يوصف كما نوصف نحن بذلك ، ولا أنه يفهم ولا أنه فهم ، ولا بأنه فقيه ولا يوصف تعالى بأنه يشم ويذوق ، لأن الشم هو استنشاق الجسم المشموم |١٥٦| ودخوله فى الخياشيم ، والذوق هو ماسة الجسم لأجسام المذوق للسان واللهى ، فلما لم يجز على الله تعالى مماسة الأجسام ولا مداخلتها إياه لم يجز عليه الشم والذوق . ولا يوصف تعالى بأنه صبور كما يوصف بأنه حليم لأن الصبور هو الذى يصبر على الذى يؤلمه ويغمه ، وهذا معناه عندنا فى الشاهد ، ولهذا كان ثواب الصبر عندنا من أعظم الثواب لأنه احتمال المكاره والصبر عليها .

فلما كان الله تعالى لا تصل إليه المكاره ولا المضار لم يجز أن يوصف بالصبر . وكذلك لا يوصف بأنه وقور كما يوصف بأنه حليم لأن الوقور منا والثقيل والرزين إنما يوصف بهذه الصفات للزومه مكانه الذى هو فيه عند الغضب ، وأن غضبه لم يحمله على الحركة ، فلما كانت هذه المعانى على الله لا تجوز لم يجز أن يوصف بأنه وقور ولا رزين ولا ثقيل ، كما وصف تعالى نفسه بأنه حليم . ولا يوصف تعالى بأنه يجرد ويقنط لأن القنط من الغيظ والحرد عرضان يحلان فى الإنسان . ولا يوصف تعالى بأنه يغتاظ كما يوصف بالغضب وليس معنى الغيظ معنى الغضب ، لأنه قد يغتاظ فى الشاهد من أفعالنا ولا يغضب فى الشاهد منا . والغيظ إنما هو بمنزلة الحسرة التى يلحقها كون ما يكره ، وكذلك الغضب ، لأنا قد نغضب على العصاة لله تعالى وإن لم نكن عليهم مغتاظين فى وقت غضبنا عليهم . فلما كان الله سبحانه وتعالى لا تجوز عليه الحسرة ولا تغمه معاصى العباد لم يجز أن يغتاظ على عباده وإن كان يغضب عليهم بمعاصيهم له .

---

(١) سورة الكهف : آية ٩٣ .

مسألة : فان قال قائل أفليس قد قال الله عز وجل ذكره : (يا حسرة على العباد) (١) .. الآية ، قيل له قال تعالى ذلك مجازاً وتوسعاً وأراد أن كفر العباد واستهزاءهم بالرسل يكون حسرة يوم القيامة : وهو يريد بذلك أنهم يتحسرون يوم القيامة ، وأما الله تبارك وتعالى فلا تجوز عليه الحسرة ولا الندامة .
فان قال أفليس قد جاز عليه الأسف بقوله : (فلما آسفونا انتقمنا منهم)(٢) .
[١٠٧] قيل له قد يجوز أن يكون قال هذا وهو يعنى أسفوا ، رسلنا لأن الرسل يجوز عليهم الأسف ، ويجوز أيضاً أن يقول آسفوناوهو يعنى أغضبونا فذكر الأسف وهو يريد الغضب توسعاً ، فأما الأسف حقيقة فلا يجوز على الله عز وجل ، لأن الأسف هو الذى فاته أمر فأسف عليه . فلما كان الله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه الفوت فى شىء من الأشياء لم يجز عليه الأسف ولا الحسرة ، ولو وجدنا فى شىء من الأخبار عن الله تعالى الحسرة كما وجدنا فيها الأسف ، لكان معنى ذلك إنما جرى على المجاز والتوسع والمراد به الغضب كما بينا فى الأسف . قال الخليل : إذا جاءك من فوقك أمر فحزنت ولم تطقه فذلك حين تأسف أسفاً وأنت آسف ، وأنت أسف ومتأسف . وإذا جاءك من دونك فأنت أسف غضبان ، تقول أسفنى أغضبنى وأسف الرجل يأسف أسفاً وهو أسف غضبان ، وأسف الرجل صاحبه إيسافاً إذا أغضبه . ومنه قوله تعالى : (فلما آسفونا انتقمنا منهم)(٣) .

فصل

ولا يوصف بأنه يشتهى الأشياء كما يوصف بأنه يحبها لأن الشهوة ليست من جنس المحبة ، وذلك أن الشهوة إنما هى توقان النفس إلى ما تتوق إليه كتوقان العطشان إلى شرب الماء ، وتوقان النفس الجائعة إلى أكل الطعام . ومحبة العطشان إلى شرب الماء هى إرادة لشرب الماء وذلك غير توقان نفسه إلى الشرب . لأنه قد تتوق نفسه إلى ذلك وهو صائم ولا يريد شربه بل يكرهه

---

(١) سورة يس : آية ٣٠ .
(٢) سورة الزخرف : آية ٥٥ .
(٣) سورة الزخرف : آية ٥٥ .

من أجل صومه وإن كانت نفسه تتوق إليه، فصح أن الشهوة ليس من جنس المحبة ، فلم يجز على الله سبحانه وتعالى الشهوة كما جازت عليه الإرادة والمحبة، إذا كانت الشهوة هي توقان النفس إلى ما تشتهيه ، وتوقان النفس على الله تعالى لا يجوز .

ولا يوصف تعالى بأنه عاشق ووامق كما يوصف بالمحبة، ولا يجوز هذا الوصف ، لأن المحبة وهي الإرادة والعشق ليست مثل الإرادة ١٥٨ للشيء وإنما هو القلق الذى يصيب الإنسان ويتعلق القلب بما يعشقه. والوامق أيضاً مثل العاشق وهذان لا يجوزان على الله تعالى . الرقة هي إنما رقة الأجسام وهى التى تكون فى القلوب بدلا من الغلظة والفظاظة، وهذان لا يجوزان على الله تعالى لأن الله عز وجل لا تحله الرقة ولا الكثافة ولا الفظاظة ولا القسوة ولكن يوصف بأنه تعالى قادر أن يخلقها فى قلوب العباد وضدها من الفظاظة والغلظ والكثافة .

ولا يوصف تعالى بأنه شفيق ولا أنه يشفق على عباده كما يوصف بأنه يرحم عباده، لأن الإشفاق هو الحذر والمشفق منا على الشيء ومن الشيء هو الحذر منه والحذر عليه . فلما كان الإشفاق حذراً وكان الحذر على الله تعالى لا يجوز كما لا يجوز عليه الخوف لم يجز عليه الإشفاق . ولا يوصف تعالى بأنه رفيق لأن الرفق فى الأمور هو الاحتيال لإصلاحها وإتمامها فلما كان سبحانه وتعالى لا يحتاج فى أفعاله إلى احتيال يتم به أفعاله لم يجز أن يوصف عز وجل بالرفق، ولا بالترفق . وجاز أن يوصف العباد بذلك لحاجاتهم فى أفعالهم إلى الاحتيال لها والسبب إليها . ولا يوصف تعالى بأنه فاضل ولكنه مفضل بما يفعل من الفضل على غيره ، ولا يجوز أن يفضل هو بذلك لأنه مستغن عن الأفعال أن يفضل بها .

ولا يوصف تعالى بأنه كامل لأن الكامل هو الذى تمت أبعاضه والناقص هو الذى نقصت أبعاضه عن أبعاض الكامل منا ، وكذلك الكامل فى خصاله منا نحو كمال الرجل فى عمله وعقله ورأيه وقوته وفصاحته وسماحته إنما يصير بهذه الخصال كاملا لتكامل خصاله هذه وتمامها ويكون ناقصاً عن حد الكمال بنقصان هذه الخصال ، فلما كان الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يوصف بالابعاض لم يجز أن يوصف بالكمال من جهة فى ذاته ولا بالنقصان .

[١٥٩] فلما لم يجز أن يشرف بأفعاله لم يجز أن يوصف بالكمال من جهة الأفعال كما يوصف الإنسان بذلك . ولا يجوز أيضاً أن يوصف تعالى بأنه تام وأنه وافر لأن تأويلهما تأويل الكامل ، فلهذا لم تجز هذه الصفات عليه عز وجل ولا يجوز تعالى عليه التبعيض ولا الكل ولا التفريق ولا التأليف .

ولا يوصف تعالى بأنه شجاع لأن الشجاعة إنما هي من الجرأة على المكاره والأمور المخوفة . فلما كان الله عز وجل لا يجوز أن يخاف شيئاً ولا أن يحذره لم يجز أن يوصف بالشجاعة ولا الجرأة . ولا يوصف تعالى بأنه وزير ولا مساعد لأحد من خلقه ولا أنهم وزراء له لأن تأويل الوزير هو أنه وازر صاحبه ، ومعنى الموازرة هو أن كل واحد منهما شد إزاره مع صاحبه ليعينه على ما هو فيه ، ومن شد الإزار اشتق له اسم الموازرة ، لأن العرب كانت إذا توازرت فعلت هذا الفعل وشدت على نفسها الإزار . فلما لم يجز على الله تعالى هذا المعنى لم يجز أن يكون وزيراً لأحد من خلقه وأوليائه ولا أن يكون له وزير منهم . فكذلك المساعد إنما تأويله في اللغة هو أن يجعل ساعده ويده في الأمر الذي جعل فيه صاحبه ساعده ، فقالوا لمن تابع صاحبه على الأمر ساعده من هذا المعنى . فهذان صفتان لا يجوزان على الله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً !! فكل اسم أو صفة لم يكن من جهة الحقائق وكان من جهة المجاز فلم نجد أهل اللغة قد سموه تعالى فيما لم يجز أن نسميه عز وجل بهما ، إذ كانت لم تجز من جهة الحقيقة ولا يسمى بهما تعالى في اللغة . ولا يقال إنه تعالى أنه يجرب عباده كما يمتحن عباده إذ كان معنى الامتحان في اللغة هو معنى التجربة ، لأن القول بأنه يمتحن توسعاً لوجود ذلك في اللغة ، وجوازه في اللغة لم يجز القول به فكيف يجوز أن يقال إنه يجرب ولم نجد ذلك في اللغة حقيقة [١٦٠] ولا مجازاً . والمجازات لا يجوز أن يقاس عليها في صفاته وإنما نتكلم بها في الموضع الذي نجدها مستعمله فيه فقط . ولا يوصف الله تعالى بالسكوت ولا بالترك على الحقيقة لأن الترك هو كف النفس عن الفعل الذي يتركه وضبط النفس عن ذلك . فلما كان الله سبحانه وتعالى لا تحل أفعاله فيه لم يجز أن يكف نفسه عنها ولم يجز أن يكون تاركاً لها .

ولا يوصف الله تعالى بأنه ناطق لأن النطق إنما هو الصواب لا الكلم ودليل ذلك قوله تعالى: (علمنا منطق الطير) وقد علمنا أن الطير لا يتكلم لأنه لو كان نطقها كلاماً لفهمنا نحن إذا سمعناه لأنا نفهم الكلام ، فلما كانت أصوات الطير بخلاف ، الكلام الذى يفهم صح أن منطق الطير إنما هو صوت ليس بكلام ، فلم يجز على الله النطق ، وأيضاً فان النطق هو مثل الصياح والصراخ ، وذلك لو أن رجلا ضرب فصاح لم نقل إنه لم ينطق ولو أنه سكت فلم يصرخ ولم يصح لقيل إنه لم ينطق. فلما لم يجز على الله تعالى الصياح ولا الصراخ إذ كان ذلك إنما يجوز على المخلوق الذى يحل صياحه وصراخه فى لسانه ولهاته ولم يجز أيضاً عليه النطق من جنس الصياح والصراخ ولم يكن من جنس الكلام . فان وجدنا فى بعض الكلام نطقاً فان ذلك محمول على المجاز دون الحقيقة . ولا يوصف تعالى بأنه فصيح لأن الفصيح فى اللغة إنما هو الكلام الذى يفصح عن المعنى ويوضحه فكلام الله تعالى فصيح . وإنما وصفهم القائل بأنه فصيح فانما توسع فلا يجوز أن يوصف الله تعالى بذلك لأنا نجده فى صفاته فنصفه به على التوسع ، ولكن كلامه بأنه فصيح على جهة الحقيقة ، وربما قال القائل فلان فصيح اللسان وهو يريد أنه ذرب اللسان(١) وهذا توسع ومجاز ، لأن الفصاحة إنما هى الكلام وليس ذرابة اللسان من الفصاحة فى شىء لأنه |١٦١| رب ذرب اللسان يكون كلامه فاسداً فلا يكن فصيح الكلام (٢) وربما كان الشاعر والمتكلم فى لسانه لكنة ،

ولا يوصف تعالى بأنه بليغ ولكن يوصف كلامه بأنه بليغ لأن البلاغة(٣) إنما هى للقول على الحقيقة لا القائل وهو لم يوصف القائل منا بأنه بليغ على الحقيقة ولما لم نجد فى

---

(١) ذرب اللسان : حديده ، فصيحه ، فاحشه . الجمع ذرب .

(٢) الفصاحة فى الألفاظ .

(٣) البلاغة فى المعانى .

صفات الله عز وجل أنه بليغ على المجاز لم يجز أن يوصف الله تعالى بأنه بليغ على الحقيقة. قوله عز ذكره: (حكمة بالغة فما تغن النذر)(١) . والبالغ هو البليغ ، ويقال رجل بليغ وبلغ . ولا يوصف الله تعالى بأنه خطيب لأن الخطيب هو الذى يخطب على من يسمع خطبته ، فلما كان هذا المعنى من الله تعالى غير موجود لم يجز أن يوصف بأنه خطيب . ولا يوصف بأنه لم يزل متكلماً لأن القول بذلك إثبات الكلام قديماً معه ، وقد أجازه بعض أصحابنا ، قال أبو محمد قال أبو مالك لا يجوز أن يقال لم يزل المتكلم ، وقال أبو محمد إن بعض المتكلمين أجاز أن يقال لم يزل متكلماً لمكلم سيكون ، كما جاز أن يقال لم يزل إلهاً لمألوه سيكون ، وربا أى مالكاً لمربوب ومملوك سيكون ، وهذان الآخران جائزان فى قولنا ، وقال أبو محمد يعجبنى ما قال الكلام أنه مثلهما وفيه نظر .

ولا يوصف الله تعالى بأنه مليح ولا حسن ولا بأنه جميل .

فصل

فان قال قائل ولم لا يوصف الله تعالى بذلك ؟ قيل له إن الحسن الجميل هو على ضربين ، فضرب منه أن يكون حسناً جميلا فى المنظر لمن يراه ، والله تعالى لا تجوز عليه الرؤية فلا يجوز أن يكون حسناً جميلا فى المنظر ، وأيضاً فان الحسن والجمال يحلان فى الشاهد فى الحسن الذى هو فى المنظر حسن وفى مكانه الذى فيه ذلك الحسن ، فلما لم يجز أن يحل الله فى الحسن والجمال ، ولم يكن له مكان فيحل حسنه وجماله فى مكانه لم يجز أن يوصف تعالى [١٦٢] بأنه حسن جميل من جهة حسن المنظر . والوجه الآخر من الحسن والجمال وهو أن يكون حسناً جميلا فى العقول ، كما أن الحكمة والصلاح والصواب والعدل حسنة جميلة فى العقول واضدادها فى الفساد قبيحة . فلما كان الله سبحانه وتعالى لا يتصور للعقول كتصور ما وصفنا من الحكمة والعدل وغيره لم يجز أن يستحسنه العقول كاستحسانها لهذه الأشياء فصح بهذا

---

(١) سورة القمر : آية ٥ .

أنه لا يجوز أن يوصف تعالى بالحسن ولا بالجمال ، ولكن يوصف تعالى بأنه حسن الصنع إلى عباده وأنه جميل الفعل، فيكون الحسن والجمال لأفعاله لا له عز وجل . وقال الأشعرى روى أبو سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى جميل يحب الجمال » ومعنى جميل أى مجمل كما يقال حكيم فى معنى محكم . والعرب كتبوا ما يخرج لفظه فعيل بمعنى مفعل، فالجميل بمعنى المجمل للشيء ، قال ويوضح هذا ما روى عن بكر بن عبد الله أن كان يتجمل بالثياب ويتطيب فقيل له فى ذلك فقال إن الله جميل يحب الجمال منى فالله أعلم بصحة الخبر وتأويله .

ولا يوصف الله تعالى بأنه نبيل لأن النبيل عند أهل اللغة إنما هو الحسن والجمال مع صيانة النفس وتكامل الخلال المحمودة ، فلما كان الله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه ولم يجز أن يفضل وأن ينبل بأفعاله ولا يتكامل بالخلال كما ينبل النبيل منا لم يجز أن يوصف بأنه نبيل .ولا يوصف بأنه حاذق لأن الحذق أصله فى اللغة القطع يقال سكين حاذق يراد أنه قاطع حاد .. قال أبو ذؤيب :

يرى ناصحاً فيما بدا فاذا خـــلا

فذلك سكين على الحـلق حاذق

وخل حاذق أى شديد الحموضة كأنه يقطع . وإنما يقال حذق فلان هذا الشيء ، يراد أنه قطع بعلمه وفرغ منه فلما لم تجز على الله الحذق لم يجز أن يقال إنه حاذق ،ولا يجوز أن يقال بأنه قد حذق. ولا يوصف تعالى بأنه ذكى لأن الذكاء هو حدة القلب إذ ليس يحيا الا بذى قلب [١٦٣] أو جارحة ولم يجز أن يوصف الله تعالى بالذكاء ، ويقال قلب ذكى ،وصبى ذكى إذا كان سريع الفطنة ،والفعل ذكى يذكى ذكاء ،ويقال ذكى يذكو الذكاء . ولا يوصف تعالى بالدراية لأن الدراية فى خفة اللسان وسرعة فى التحرك كما أن الذكاء حدة فى القلب وسرعة تلقنه .فلما لم يكن الله تعالى له لسان لم يجز أن يوصف بالذرابة والذرب الحاد من كل شيء ،لسان ذرب وسنان ذرب وسم ذرب وطعام مذرب ،وفعله ذرب يذرب ذرباً وذرابة وقوم ذرب

بينوا الذرابة . وقيل إن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه إمرأته ، قال :

إليك أشكو ذرابة من الذرب   يا مالك الملك وديان العرب

ويروى أنى لقيت ذربة من الذرب يعنى سليطة من النساء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ذلك الله عز وجل . ولا يوصف تعالى بأنه يصف الأشياء على معنى أنه يعلمها كوصفنا لأنفسنا بالحفظ لما علمناه من القرآن وغيره لأن وصفنا لأنفسنا بذلك توسعاً وتجازاً ، ومرادنا فى ذلك إذا علمناه لم يذهب عنا . فلما كان الوصف لنا بالحفظ من هذا المعنى مجازاً لم يجز أن يوصف الله تعالى بأنه حافظ للأشياء على معنى أنه تعلمها ، وإنما يوصف بحفظ الأشياء على معنى الحفظ المعقول فى الشاهد بأن يصرف عنا الذهاب والضرر والفساد .

ولا يوصف تعالى بأنه يضحك لأن الضحك فى اللغة هو هذا الضحك المعقول وهو الانفتاح والإشراق وليس ذلك شيئاً يجوز على الله . لأن الضحك فى معنى الانفتاح هو ما روى أنه لو وهب لبعض عمده ما ضحكت عنه أصداف البحر . وكذلك قول الشاعر :

كل يوم بأقحوان(١) جديد   تضحك الأرض من بكاء السماء

يعنى تنفتح بالنبات مما يصيبها من المطر . وأنشد :

إن السماء إذا لم تبك مقلتها   لم تضحك الأرض فى شىء من الخضر

وأنشد ابن الأعرابى :

|١٦٤| أماترى السماء قد أعطتك زهرتها   بخضرة واكتساب النور عادتها

وللسماء بكاء فى جوانبها   وللربيع إبسام فى نواحيها

وقال الأعشى فى معنى الإشراق :

يضاحك الشمس منها كوكب شرق

موزر بعميم النبت مكتهل

---

(١) الأقحوان : زهرة جميلة تتفتح عند طلوع الشمس .

يعنى يضاحك إشراقه ونوره عند طلوع الشمس عليه . فلا يجوز على الله الإشراق والانفتاح والضحك الذى نعرفه من العباد ، وقد تأول قوم الضحك من الله على خلاف هذا الضحك المعقول من الناس : وليس لإجازة من أجاز الضحك على الله تعالى معنى يجوز عليه عز وجل، وإنما يجوز أن يقال إنه أضحك غيره بما يفعله به من الخير ، ولا يقال ضحك هو، تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً !! ولا يوصف تعالى بالفرح على ما جاء به الخبر عن النعمان بن بشير رحمه الله أن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله أفرح بتوبة العبد من العبد إذا ضلت راحلته فى فلاة يوم قيظ وعليه زاده ومراده الخير » لأن الفرح ربما يجوز على من يجوز عليه الغم ومن تصل إليه المنافع والمضار وهذا لا يجوز على الله تعالى ، وإنما يوصف بذلك توسعاً وأرادوا به أنه مريد لتوبة عبده وكاره لإصرار عبده على ذنوبه . والفرح فى كلام العرب على وجوه منها بمعنى السرور قوله تعالى : (وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف)(١) أى سروا بها، وهذا الوصف لا يجوز على الله تعالى لأن ذلك خفة تعترى الإنسان إذا كثر قدر شىء عنده المنفعة فيه عاجل وآجل وكل هذا منفى عنه جل جلاله . والفرح بمعنى البطر والأشر ومنه قوله تعالى : (إن الله لا يحب الفرحين)(٢) ، وقوله تعالى : (إنه لفرح فخور)(٣) .

قال الشاعر :

وليس بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب

أى لست بأشر ولا بطر . ومنه الفرح بمعنى الرضا ، ومنه قوله تعالى : (كل حزب بما لديهم فرحون)(٤) أى راضون . ومنه قوله [١٦٥] الله أفرح

---

(١) سورة يونس : آية ٢٢ ، وكتب سهواً فى المخطوطة « جاءها » بدلا من « جاءتها » .
(٢) سورة القصص : آية ٧٦ .
(٣) سورة هود : آية ١٠ .
(٤) سورة الروم : آية ٣٢ .

أى أرضى ، والرضا من صفات الله عز وجل ، لأن الرضا هو القبول للشىء والفرح له والله تعالى قابل الإيمان، فيجور وصفه عز وجل بذلك هذا قول الأشعرى . قال المفضل قال أبو عبيدة فى قوله تعالى : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، معناه لا تأشر ولا تمرح وهو واحد والفرح السرور والفرح البطر . وقال آخر :

ولا ينسى الحدثان عرضى   ولا ألقى من الفرح الإزارا

يقول لا أجزع من الحدثان حتى أجزع إلى ما ينكر منى . ولا يستخفنى الفرح حتى ألقى إزارى فتظهر عورتى ، ويقال فرح به وهو فرح وفارح . وقال الفراء الفرح الذى هو فى وقته ، والفارح الذى يفرح فيما يستقبل مثل الطمع والطامع ، وأنشد :

فما أنا من رزء وإن حل جازع   ولا بسرور بعد موتك فارح

ولا يقال إن الله تعالى عجب من كذا لأن التعجب إنما يحدث لمن لم يعلم شيئاً ثم علمه فعجب عند ذلك بما علم والله عز وجل لم يزل عالماً بالأشياء فلا يجوز أن يعلم منها ما لم يكن علمه فيعجب منه . وقد رويت أخبار كثيرة فى تعجب الله عز وجل فسرها الأشعرى ، منها ما روى عن قوله صلى الله عليه وسلم: « ثلاثة يعجب الله إليهم: القوم إذا اصطفوا فى الصلاة، والقوم إذا اصطفوا فى القتال لقتال المشركين ، ورجل يقوم إلى الصلاة فى جوف الليل » . ومنها خبر زيد بن ثابت الأنصارى وضيفه أبو هريرة فقال صلى الله عليه وسلم: لقد عجب الله من ضيفكما البارحة وأنزل فيهما: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (١) ، قال الأشعرى إن الناس قد اختلفوا فى معنى التعجب من الله تعالى فقال قوم معنى عجبه أى عظم ذلك عنده ، ومنه قوله تعالى : (بل عجبت ويسخرون)(٢) أى بل عظم أمرهم. وقال آخرون معنى عجب أى رضى وأناب فسماه عجباً وليس يعجب فى الحقيقة

---

(١) سورة الحشر : آية ٩ .

(٢) سورة الصافات : آية ١٢ .

[١٦٦] كقوله ويمكر الله ، وإن كان المكر منفياً عنه جل جلاله . وقال بعض أهل اللغة معنى قوله تعالى : (بل عجبت ويسخرون)(١) أى ، بل جازيتهم على عجبهم لأنهم عجبوا من الحق فى غير موضع ،فقال تعالى بل عجبت أى بل جازيتهم على تعجبهم لأن جزاء الشىء قد يسمى باسمه كقوله تعالى (ومكروا ومكر الله) (٢) ويسخرون منهم سخر الله منهم ، والله تعالى لايمكر ولا يسخر وإنما هو على ما تسمى به العرب جزاء الشىء باسم المجازى والمجازى به ، قال شقيق قرأت عند شريح (بل عجبت ويسخرون) ، فقال إن الله تعالى لا يعجب من شىء وإنما يعجب من العلم ،فذكرت ذلك لإبراهيم فقال إن شريحاً شاعر يعجبه علمه . وكان عبد الله بن مسعود يقرأ بل عجبت ، وقال بعض البصريين بل عجبت بالضم ،ذهب إلى أن العجب لمحمد صلى الله عليه وسلم وفيه إضمار معناه يا محمد ،بل عجبت أنا من قدرة الله فأضمر القول لدلائل الكلام عليه . وقال بعضهم هذه الأحاديث فى العجب نقلت مصحفة (٣) وإنما هو عجبت بتشديد الجيم أى عجب ربنا تعالى ملائكته من هؤلاء الثلاثة من الملائكة صنيعهم . وكذلك قالوا فى قوله ضحك ربنا أى أضحك ربنا ملائكته من أفعالهم بتشديد الحاء وفتحها أى أضحكها من صنيع عباده ، وضحك يجوز أن يعنى أضحك لأن أفعل تجىء فى لسان العرب بمعنى أفعل بمعنى أضاء القمر وأضاء . وأصبر الفرس صبراً أى أجمع قوائمه ووثب ، وضررت الرجل وأضررت به ، وضربت عن الشىء إذا أعرضت عنه . وضيعت الناقة وأضيعت إذا اشتهت الفحل ، هذا كله قول الأشعرى .

ولا يقال إن الله تعالى يهجر المعاصى كما يقال إنه يكرهها ويسخطها لأن هجراننا الشىء هو الانقطاع عنه وترك الاتصال به وربما كان ذلك ترك الكلام لمن هو يهاجره وتركاً لمجالسته ومقاومته وهذه المعانى

---

(١) سورة الصافات : آية ١٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٥٤ .

(٣) التصحيف ومصحفة : أى وضع النقاط فى غير محلها .

|١٦٧| لا يجوز على الله تعالى أن يفعلها بالمعاصي. وإنما قيل « أفضل الهجرة أن يهجر ما كره الله »، فإذا كان أصله فى الناس توسعاً لم يجز أن يوصف الله تعالى بذلك إلا بعد أن نجد الناس قد توسعوا فى اللغة فى صفته تعالى، فأما إذا لم نجد من ذلك فى صفاته عز وجل فلا يجوز استعماله إذا كان لا يجب من جهة الحقيقة، ولا يقال إن الله تعالى ذكى لأن معناه أنه بالغ حداً لم يكن بلغه قبل ذلك كالزرع وهذا لا يجوز عليه تعالى وإنما قيل للإنسان أنه زكى لأنه بلغ مقداراً بعلمه لم يكن بلغه قبل ذلك. ولا يقال إنه نظيف(١) لأن النظيف هو المنظف وهو المغسول وهذا لا يجوز على الله عز وجل. ولا يقال إنه عز وجل يستطيع أن يفعل كذا لأن الطاقة معناها الجهد وذلك أن يقول القائل طقت ذلك جهدى فلما أن كانت الطاعة استفراغ الجهد فيما يطيقه الإنسان لم يجز أن يوصف عز وجل بذلك، وجاز أن يوصف بغيره الذي معناه أنه قادر. وقد اختلف القراء والمفسرون فى قوله عز وجل: (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائده من السماء)(٢) فقرأ ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما هل تستطيع ربك بالتاء ونصب ربك. وروى عن عائشة أنها قالت كانوا أعلم بالله من أن يقول هل يستطيع ربك وإنما قالوا تستطيع أنت ربك، وكذا رويت عن سعيد بن جبير، قالوا هل تستطيع أن تسأل ربك، وقد رويت هذه القراءة عن على ومعاذ بن جبل والكسائى وذكر الفراء أن معاذاً قال: أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تستطيع ربك بالتاء، وقرأ كثير منهم بالياء، وقال بعضهم هل يستجيب ربك، وهل يعطيك ربك، وقال المفضل ولم يجتمع القراء على الياء وهم على الخطأ بل هم على الصواب والحمد لله، وذلك أن الطاعة على وجهين. والطاعة للانقياد والذلة |١٦٨| ويقال أطاع له يطوع طوعاً وأطاعه يطيعه إطاعة، والطاعة الإجابة ومنه قولهم قد أطعتك فيما سألت أى أجبتك.

---

(١) كتبت فى المخطوطة نضيف ومنضف.

(٢) سورة المائدة : آية ١١٢.

ومنه قوله تعالى: (ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين)(١)أى مجيبين إلى ما أمرتا أو كارهتين ، ومنه قوله جل ثناؤه: (من حميم ولا شفيع يطاع)(٢) أى يجاب إذا سأل فعلى معنى الإجابة تصح القراءة بالياء هل يجيب ربك إذا سألته. وإنما المكروه أن يتأول يستطيع على معنى يقدر من الاستطاعة وهى القدرة والقوة على الشىء . ولا يقال إنه تعالى يطمئن إلى أنبيائه ورسله وملائكته ويثق بهم ويركن إليهم لأن الاطمئنان إلى الشىء والثقة به والركون إليه إنما هو بمنزلة السكون إليه وهو ضد النفور عنه والتهمة له ، فلما كان لا يجوز على الله عز وجل النفور من الأشياء ولا التهمة لها لأن هذا إنما يجوز على من لا يعلم ما يكون ولا يحيط بالأشياء علماً فصح أن ذلك لا يجوز على الله عز وجل . ولا يقال إنه تعالى ذخر ولا سند ، وذلك أن الذخر ما ذخر الإنسان ، والسند ما سند الإنسان إليه ظهره والله يتعالى عن ذلك علواً كبيراً . فإن قيل هذا فى صفاته تعالى فإنما هو مجاز ومعناه ليس بحقيقة وهذا لا يجب من جهة الحقيقة إلا أن يكون قد استعمل الناس ذلك مجازاً فيستعمله معهم.

فصل

ولا يجوز أن يقال الله خير من كذا وكذا وهذه صفات ذات ، وإن قيل الله خير فعالا منك فجائز . قال الحسن فى قوله تعالى: (والله خير وأبقى)(٣) خير منك يا فرعون ثواباً وأبقى عقاباً ، ولا يقال كذا وكذا دون الله بمعنى التفاضل والخيار لأن الخيار لا يقع إلا بين الأجناس ، ألا ترى أنه يقال فلان أحسن من فلان وخير من فلان يراد أنه أصلح منه لأنهم جنس واحد وهذا لا يجوز على الله تعالى عز ذكره ! ! ليس بذى جنس ولا هو من جنس غيره ولا يقع عليه الخيار |١٦٩| بينه وبين غيره .

---

(١) سورة فصلت : آية ١١ .
(٢) سورة غافر : آية ١٨ .
(٣) سورة طه : آية ٧٣ .

مسألة : فإن اعتل بقوله جل ذكره : (واتخذوا من دون الله آلهة)(١) ، فقد قال بعضهم اتخذوا عبادة الأصنام ليغتروا بذلك وهى دون عبادة الله تعالى كما قال عز وجل : (أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير)(٢). وقال : (واتخذوا من دون الله آلهة)(٣) فذمهم بذلك إلا أنهم دونه فى المسافة. هذا غير جائز على الله تعالى ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال إنما خير الشعر أو القرآن ليس من الشعر فى شيء . ولو جاز أن يقال إنما خير القرآن أو الشعر لجاز أن يقال إنما خير الله أو الشاعر فلما بطل الخيار بين الله تعالى والشاعر فسد الخيار بين القرآن والشعر والله تعالى . (ليس كمثله شيء)(٤) ولا يشبهه شيء من خلقه ، وكذلك فعله لا يشبه شيئاً من فعل خلقه . ومن اعتل أحد بقوله عز وجل : (يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)(٥) بالمراد فى ذلك يا صاحبى السجن عبادتكم لغير الله تعالى خير أم عبادة الله ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)(٦) إلى قوله تعالى : (أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم)(٧) . فأخبر تعالى أن عبادة الله عز وجل خير من عبادة غيره ، فإن قال قد قال من جاء بالحسنة فله خير منها ، قيل له إنما عنى من فعل فعلا كوفئ بأكثر مما يستحقه لأنه لا(٨) يجازى بفعل غيره .

فصل

قال مجاهد لا يقولن أحدكم الله حيث كان ، فإن حيث فى مكان معنى معلوم ولكنه بكل مكان . قال أبو عبد الله رحمه الله لا يقال كان الله ولا شيء ولكن يقال لم يزل الله ولا شيء ، وقيل إنه جائز والله أعلم . ولا يقال لم فعل

---

(١) سورة يس : آية ٧٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ٦١ .

(٣) سورة يس : آية ٧٤ .

(٤) سورة الشورى : آية ١١ .

(٥) سورة يوسف : آية ٣٩ .

(٦) سورة النجم : آية ٢٣ .

(٧) سورة يوسف : آية ٤٠ .

(٨) كتبت فى المخطوطة لأن ان ها ، وبما أثبتناه يستقيم المعنى .

ربنا كذا وكذا لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ولا يجوز فى كيف ؟ ولا ما ؟ ولا أين ؟ لأن كل ما يجوز فيه الأين فهو بمكان والمكان أقوى منه لأن المكان يحمله ، والحامل أقوى من المحمول .

خبر : روى أبو زيد [١٧٠] قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟وفى خبر قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ فقال صلى الله عليه وسلم كان فى غماء عرشه على الماء ، ماء تحته هواء وما فوقه هواء ، ثم خلق السموات والأرض. فقال أبو عبيدة الغماء بالمد السحاب ،ويقال هو الرقيق منه.

قال الشاعر :

ذعرنا به شرباً نقياً جلوده   كنجم الثريا أشرقت من غمائها

وقال الأشعرى من روى هذا الخبر فى غماء بالمد فمعناه كان القديم فوق السحاب وكذلك قوله : (لا تحته هواء) وقوله صلى الله عليه وسلم « كان فى غماء » أى كان على السحاب أى فوقه ، كما قال تعالى : (فسيحوا فى الأرض)(١) أى على الأرض ومثله كثير . وحروف الصفات تدخل بعضها فى بعض قال الله عز وجل : (ولأصلبنكم فى جذوع النخل)(٢) بمعنى على جذوع النخل

قال الشاعر :

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة   فلا عطشتا شيبان إلا بأجدعا

يعنى على جذع نخل.ومن روى غمى مقصور فهو فى الغمى بمعنى الأشباه. وأنشد تغلب :

ثمام الغمى طول السكوت وإنما   شفاء الغمى يوماً سؤالك من يدرى

فمعنى الغمى أنه لا شىء ثابت ،وكأنه قال فى جوابه عليه السلام أنه كان تعالى قبل أن يخلق خلقه فى غير شىء ، فحصول جوابه أنه كان عز وجل فى لا شىء أى تغمى أمره فيه ، هذا عن الأشعرى .

---

(١) سورة التوبة : آية ٢ .
(٢) سورة طة : آية ٧١ .

فصل

لا يقال عزوجل مستبصر ولامتحقق ولا مومن ، ولا يجوز لم يزل حليما دون أن يقال لم يزل حليما عن العصاة منذ عصوه . ولا يقال إنه عتيق كما يقال إنه قديم الفرق بينهما أن القديم المتقدم بالأشياء الذى لا يجرى عليه الحدوث والعتق الذى عليه الحدوث . ولا يقال إنه يعقل ولا إنه يدرى والدراية هى العلم ، وأما العقل فهو الذى يعقل الأشياء كما يقال يعقل الناقة ولم يره سليمان بن عثمان ، وأما موسى بن على ومحمد بن محبوب رحمهما الله [١٧١] تعالى وكافة الفقهاء فرأوه جائزاً . والدليل على العالم أنه يخلق الأشياء بكيفيتها وكمالها وباتقانها ، والجاهل للأشياء تقع منه الأفعال مختلفة . ولا يستعمل يدرى مع جوازه إلا قليلا ، وقال بعضهم أنت السميع وأنت الدارى . وقال آخر : « لاهم لا أدرى وأنت الدارى » ، يريد اللهم .

مسألة : وقال أبو محمد رحمه الله لا يجوز أن يقال ما أبصر الله بعباده ! وما أعلم الله بعباده ! أو ما أقدر الله بعباده ! أو ما أحكم الله بعباده !! أو نحو هذا من صفات الذات لا يجوز أن يقال على سبيل التعجب ، وعن أبى محمد حيان أنه لا يجوز أن يقال ما أكرم الله! وما ألطفه! أو ما أحلمه ! أو ما أشبه هذا لأنه تعجب والتعجب عن الله منفى . وفى بعض الكتب أن التعجب جائز فى الأفعال ولا يجوز فى صفات الذات . يجوز أن يقال ما أحسن صنع الله وتدبيره ! ولا يجوز أن يقال ما أحسن علم الله وقدرة الله وعزة الله ، وأن الله لحسن العلم والقدرة والعزة وهذا لا يجوز لأنها صفات الله وماأحسن فى الأفعال مدح وتعظيم وفى الذات تصغير والله أعلم بالصواب . ونقول هذا القول قول أبى محمد رحمه الله أنه لا يجوز التعجب فى صفات الذات واختصاصهم لصفات الذات دون صفات الأفعال ، دليل على إجازة التعجب فى الأفعال لأنه لو جاز فى جميع الصفات لما خص صفة دون صفة والله أعلم . وقد يوجد التعجب فى الأفعال كثيراً وهو على جهة التعظيم والتكبير ، وقد جاء عن أبى جعفر النحوى النحاس أن أبا العباس

زعم أن معنى قولك ما أعظم الله !! عظم الله فى عينى ، وقال أبو اسحاق هذا عندى غلط والمعنى عندى ينتهى على عظمة الله تعالى . جل وعز !! قال ونظير هذا أن ينبهك الرجل على ذكر |١٧٢| إنسان فيقول لك اذكر فلاناً فتقول أذكرنى فلان فلاناً ، بمعنى أنبهنى على ذكره حتى ذكرته . كذلك قول ما أعظم الله ! وعن رجل مر برحبة القصابين فسمع رجلا يقول لا والذى احتجب بسبع سموات فعلاه بالدرة ، وقال ويحك إن الله لا يحجبه شىء عن شىء ، فقال فأكفر عن يمينى يا أمير المؤمنين ، قال لا لأنك حلفت بغير الله عز وجل.

مسألة : ولا يقال فى صفة الله عز وجل المتعزز ولا المتجبر ولا يقال المفتخر ولا افتخر لأن الافتخار لا يكون إلا بين النظراء المتضادين ولا يقال يسمع ولا يقال عزيز الله عنك ، ولا يجوز أن يقال قبل الله إلياك ، ولا يجوز أن يقال سأل الله عنك ،ولا يجوز أن يقال تعالى الله بالعز والكبرياء، ولا يقال إن الله احتجب بقدرته عن عيون الناظرين ،لأن القدرة ليس هى غيره ، وليس هو من يتوارى بالحجب .

فصل :

فان قال قائل فقد قال عز وجل : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب)(١) ، فما هذا الحجاب ؟ قيل معنى الحجاب هو المنع لهم عن رؤيته وليس من دونه حجاب يستره عز وجل عن ذلك علواً كبيراً !! قال الخليل : الحجاب اسم ما حجبت به بين الشيئين وكل شىء منع شيئاً فقد حجبه ،واحتجب فلان إذا اكتن من وراء حجاب ، وحجاب الجوف يحجب بين الفؤاد وسائر البطن ، وقول الناس فلان يحتجب عن الناس أى يمتنع عن رؤيتهم له وإن لم يكن من دونه حجاب . وكره أبو محمد رحمه الله أن يقال فى صفه الله عز وجل المحتجب ،قال وقد قاله بعض المسلمين المتكلمين . وكره أبو عبد الله رحمه الله أن يقال جل الله فى ملكه لأن معناها

(١) سورة الشورى : آية ٥١ .

المكان وهى ظرف والله لا يجوز عليه الحلول فى مكان . ولا يجوز أن يقال لا تولينا غيرك ولا تنسنا ذكرك ، ولا يجوز أن يوصف تعالى بالرأى فيقال |١٧٣| الرأى لله لأن الرأى أن يرى الشىء بعد الشىء وهو أيضاً من البدأ ، أن يبدو له الرأى بعد إذ لم يكن ،والله تعالى لا يوصف بالبدا .

فصل

من كتاب لا يقال هذا حرام فى رأى الله ولا فى اعتقاد الله كما قيل هذا حرام فى دين الله ، وفى علم الله . ولا يجوز أن يقال يعتقد كذا ويرى كذا ولا يقال له مذهب كما قيل له علم . ولا يقال رأى الله له كما قيل نظر الله واختار له ، وكذلك فى النفى . ولا يقال لم ير الله كما قيل لم ينظر الله له .

ولا يجوز فى شىء من صفات الذات ، لم كان ؟ لا يجوز فى علم الله تعالى ولا متى علم ؟ وكذلك لم قدر الله ؟ وكذلك لم أراد الله كذا ؟ ولا متى أراد الله كذا ؟ هذا غير جائز فى صفات الذات أجمع . وأما فى الأفعال فجائز أن يقال لم أمر ؟ ولم نهى ؟ ولم أثاب ؟ ولم عاقب ؟ فيقال لمصالح العباد ولم يجز ذلك ابن محبوب رحمه الله فالله أعلم بالأصح .

ولا يجوز أن يقال لو قدر الله على كذا وكذا ، ولولا أبصر الله ولولا سمع الله ، كما قيل لو علم الله ولو شاء الله . ولا يقال يتملك كما قيل ملك وتملك . ولا يقال يتعزز ولا يتعظم ولا يتكبر ولا يتجبر ولا يتكرم ولا يتخلق وما كان فيه يتفعّل فلا يجوز . ولا يقال الله تعالى رغب كما قيل كلف وأمر وطلب منا الطاعة : قال صاحب الكتاب : واختلف فى طلب وسأل الطاعة ، قال فأما ما أراد منهم فجائز لأن الرغبة إنما تكون على الحاجة ألا ترى أنه أمر غير راغب فكذا طلب واستقرض لأنه من غير عدم استقرض فكذلك لم يكن راغباً . والاستقراض على وجهين يكون مستقرضاً لحاجة فذلك عن الله منفى . والاستقراض لا لحاجة فهو ما ندب الله تعالى إليه وأن يتقرب بذلك إليه ، ويقال وهبت هذا لله تعالى وتركته له وأقرضت الله. ولا يقال تصدقت عليه كما قيل اقرضته |١٧٤| واختلف فى القول بأن الله يتصدق علينا ، فقال بعض

الفقهاء لا يقال الله تعالى يتصدق علينا إنما يتصدق من يطلب الثواب وجوز ذلك بعضهم . وروى فى الأثر أن الله يتصدق على المسافر بشكر الصلاة والصوم ، ولا يقال أقرضنا الله ، ولا يقال أثابنا وشكر لنا وجازانا ، ولا يقال جازانا الله ولا كافأنا الله ، ويقال فى ثوابه ما أكفاه لأعمالنا ، ولا يقال إنه تعالى أخرج ما وهب من ملكه . ولا يقال إن الله تعالى يحذر ولا يخاف ولا يخشى إلا على معنى العلم وقد قال تعالى :(فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً)(١) قالوا فى ذلك علمنا فلا يجوز إلا على التفسير . ولا يقال يظن وإن كان الظن يجىء فى موضع العلم . قال المفضل قال الفراء فى قوله تعالى (فخشينا) معناه علمنا وهو مثل (إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) ، لأن خشينا وخفنا واحد والخوف والظن يذهب بهما مذهب العلم .

وقال دريد بن الصمة(٢) :

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج شراتهم فى الفارسى المسرد

أى علموا ،ومثله قوله تعالى :(الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم)(٣) : قالوا يعلمون ، فالظن يكون شكاً ويكون يقيناً . فالشك لا يجوز على الله تعالى . ولا يقال إن الله تعالى يبقى ولا أنه يرجو لأن الرجاء إنما يكون على الخوف والطمع وذلك عن الله تعالى منفى . ولا يقال يتحنن على خلقه ولا يتلطف ولا يتودد كما يقال إنه لطيف بهم ، ولا يقال أشفق الله عليهم . ولا يقال إنه غلظ ولا عنف على الكفار كما قيل إنه غضب عليهم ، ولا يقال شىء أبعد عليه من شىء ولا شىء أهون عليه من شىء ، ولا يوصف بالعجلة .

ولا يجوز أن يقال رأيت الله تعالى حتى |١٧٥| يصل ذلك بكلام رأيت الله أهلك عاداً وثموداً ، وقال تعالى :(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)(٤) ،

---

(١) سورة الكهف : آية ٨٠ .
(٢) كتبت فى المخطوطة « ابن الصمت » .
(٣) سورة البقرة : آية ٤٦ .
(٤) سورة الفيل : آية ١ .

و(الم تر إلى ربك كيف مد الظل)(١) ويجوز أن يقول رأيت الله كيف مد الظل ، ورأيت الظل كيف مده الله ، لأن المعنى واحد ، وكذلك لا يجوز سمعت الله حتى يصل فيقول سمعت الله تعالى يقول ، ويقول وجدت الله تعالى صنع كذا ، ولا يقال أدركت الله صنع كذا . ولا يوصف بالعناية ولا بالنصح ولا يقال ألزم نفسه ، ويقال أوجب وكتب على نفسه ، ولا يجوز الله يحرك بى ويسكن بى كما قيل جاء بى ، ولا يجوز قام الله بك وقعد بك وسكن بك وحرك بك وما كان مثله فعلى قياسه . ولا يقال ما دعى الله انعامه إلى كذا وكذا ، ولا ما حمله على كذا ، ولا يجوز فى شىء أن الله فيه شىء إلا أن يقول ما لله فى العامة على الخلق؟ فيقال الثناء والشكر فاذا خرج من هذا الوجه بطل القول بأن الله فى شىء شيئاً ولا يقال فى شىء أنه يقال تعالى احتاج إليه إذا فعله ، ويقال ما صبره إلى هذا الفعل لا من كان يفعله .

ومنه ولا يقال فيما نفى الله عن نفسه من الظلم اعتذر لأن المعتذر الذى ليس له على ما أضيف بشواهد نافية ، وقد جوز بعضهم اعتذار على غيره ما يعقل اعتذار الخلق إلى التعظيم وإزالة التهمة فقد كذب على الله وأخبر عنه تعال تبرأ ولا يقال اعتذر ، ولا يقال فى موضع نفسه . ومنه ولا يقال تعالى إنه مشغول لأن المشغول المانع له الشىء

ى (كل يوم هو

نى فقيراً وما يعرفه

شأن أى أمور خلقه

يفقر آخر ، ويدبر أمر

كلام العرب ما قصد إليه

يقال أقبل على شأنك أى على ما أنت قاصد له، ويقال والله ما شانت شأنه أى ما قصد قصده . قال الشاعر :

يا طالب الجود إن الجود مكرمة لاالبخل منك ولا من شأنك الجود

أى ليس من قصدك الجود. ومنه ولا يقال إن الله فى صناعته ولا هذا صناعة الله يراد به صنيعه . ولا يقال يمسه شىء ولا يمس هو شيئاً . ولا يحل هو فى شىء ولا يحل فيه شىء ، ولا يقرب هو فى شىء قرب المسافة ولا يقرب منه شىء ذلك القريب ، وكذلك فى هذا المعنى لا يقال فى البعد . ومنه الله تعالى خالق كل شىء ومالكه ولا يجوز أن يقال لأحد هذا ولد الله أو زوجته ولا هؤلاء بنوه وبناته لأنه خالقهم ، كما يقال سماؤه وأرضه وخلقه ورسله وكتبه . ولا يقال هذا قميص الله ولا رداؤه ولا نعله ولا خفه ، وإن كان هو الخالق والمالك لهذا كله . وكذلك هو خالق جميع الجوارح ولا يقال هذا عين الله ولا يده ، ولا رجله ولا ما يشبه ذلك وهذا كله لا يجوز إضافته إليه تعالى ، وإن كان هو خالقه ومالكه ولا يجوز عليه تعالى ما يستفتح وإن كان محتمل المعنى ،لأن القول فى هذا إنما تسليم وأمور موضوعة لا على قياس وتشبيه فلا يجوز على الله تعالى إلا ما أجازه العلماء وحسن من أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، والله أعلم .

ومن غيره ، ولا يوصف الله تعالى بالصعود ولا بالنزول ولا يقال حواه مكان ولا خلا منه مكان ولا فارقه مكان ولا لازقه مكان سبحانه ! كان قبل كان واستغنى ربنا عن المكان . ولا يوصف بالقعود ولا القيام ولا الكسل ولا التوانى ولا الخلوة ولا القوة ولا الشهوة ولا الغفلة ولا اللهو ولا الشك ولا الجهل ولا الندم ولا السكوت ولا المنطق . ولا يقال فسد إذ خلق [١٧٧] الفساد بل يقال خلقه لجميع ما خلق صلاح منه لا فساد وعدل لا جور . ولا يقال إنه جار ولا أربا ولا أزنا ولا أسرق ولا أقذر وهو تعالى خلق جميع ذلك سبحانه له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

فصل :

ولا يوصف الله تعالى بالضجر لأن الضجر فى اللغة اغتمام فيه كلام وتضجر ، ومنه ضجر الناقة وهو أن يكثر الرغاء ويقال إنها الضجور . ولا يوصف الله تعالى بالملل والسآمة وكله واحد ومعناه أن يمل شيئاً ويعرض عنه، يقال رجل ملول وامرأة كذلك . قال الشاعر :

أقسم ما بى من جفاء ومن ملل

فان قال قائل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا » فقد وصف الله تعالى بالملل ؟ قيل له فان صح الخبر فقد قال الأشعرى فيه وجهان أحدهما أن الله لا يغضب عليكم ولا يقطع عنكم ثوابه حتى تتركوا العمل وتزهدوا فى سؤاله والرغبة إليه ليس بملل فى الحقيقة ،والوجه الثانى أن لا يمل إذا مللتم،مثل هذا قولك فى الكلام هذا الفرس لا يفتر حتى يفتر الخيل ، لا يريد بذلك أنه يفتر إذا أفترت الخيل،ولو كان المراد هذا ما كان له فضل عليها لأنه يفتر إذا فترت. وكذلك يقول الرجل البليغ فلان لا ينقطع ،والمراد فى هذا لايفتر إذا فترت خصومه،يريد لا ينقطع إذا انقطعوا ولو أراد أنه ينقطع إذا انقطعوا لم يكن له فى هذا القول فضل على غيره ولا وجبت له بذلك مدحه.وقد جاء مثل هذا بعينه فى الشعر فى ابن أخت تأبط شراً ، ويقال لخلف الأحمر :

صلبت منى هذيل بخرق لا تمل الشر حتى يملوا

لم يرد أنه أراد يمل الشر—لعله الشعر—إذا ملوه ولو أراد ذلك ما كان فيه مدح لأنه بمنزلتهم وإنما أراد أنهم يملون الشر وهو لم يمله والله أعلم ، وقوله بخرق والخرق الضرب فى سماحة ونجدة ، وقال :

وخرق يرى الكأس أكرومة يهين اللجين بها والنضار

|١٧٨| اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب(١) .

---

(١) النضار : النضار والنضير والأنضر : الذهب والفضة وقد غلب على الذهب . النضار أيضاً : الخالص من كل شيء . الجوهر الخالص من التبر .

فصل

قال النقاش : لا يدخل فى أسماء الله الحسنى كثير مما وصف نفسه تعالى ، وإن كان الفعل إليه مضافاً دون خلقه فليس يدعى زارعاً ولا زراعاً وإن كان قال تعالى: (أم نحن الزارعون)(١) ،ولا يدعى ماكراً وإن كان قال تعالى: (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)(٢) ، ولا خادعاً ولا خداعاً وإن كان قال تعالى : (يخادعون الله وهو خادعهم)(٣) ،ولا بانياً ولا بناءاً ولا فارشاً ولا فراشاً وإن كان قال سبحانه وتعالى: (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) .. الآية(٤) . ولا يدعى مستقرضاً ولا مشترياً وإن كان قال تعالى (وأقرضوا الله قرضاً حسناً)(٥) ، وقال عز وجل: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم)(٦) ونحو ذلك مما يكثر إحصاؤه .

* * *

(١) سورة الواقعة : آية ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٥٤ .

(٣) سورة النساء : آية ١٤٢ .

(٤) سورة الذاريات : آية ٤٧ .

(٥) سورة المزمل : آية ٢٠ .

(٦) سورة التوبة : آية ١١١ .

الباب الحادي والثلاثون

في تفسير آيات من القرآن المشكلات

قوله عز وجل: (يخادعون الله وهو خادعهم)(١) :

قيل: قام مقام(٢) مخادعتهم بالعذاب عليها، وكذلك استهزاء الله بهم، وكذلك سخر الله منهم، وكذلك بمكر الله، وكل ما في القرآن من أشباه هذا فانما هو من الله تعالى على المكافأة لا على ما في الناس، وهو توسع ومجاز في معنى لغة العرب أن يسموا العقاب باسم الذنب الذي هو عقاب عليه. ومنه قوله عز وجل: (وجزاء سيئة سيئة مثلها)(٣) والجزاء عدل ليس بسيئة فسمي باسم السيئة توسعاً ومجازاً، وربما سموا الذنب باسم العقاب على التوسع كقوله تعالى: (الله يستهزئ بهم)(٤) فسمى عقوبته لهم على استهزائهم مجازاً على ما قلنا. وقد جاء في بعض التفسير معنى يستهزئ بهم وأشباهه أنه يفتح للكفار والمنافقين باب جهنم فيرون أنهم يخرجون منها فيزدحمون للخروج فاذا انتهوا إلى الباب ضربتهم الخزنة بمقامع النيران حتى يرجعوا، وقال البعض |١٧٩| استهزاء الله معناه إهلاكهم وتدميرهم وهذا معنى معروف في لغة العرب، قال عبيد:

سائل بنا حجر بن ام قطام إذا   ضلت به السمر الذوابل تلعب

والسمر لا تلعب لأنها القنا واللعب قريب من الهزؤ، وإنما معنى قوله تلعب بهم يريد تقتلهم وتهلكهم.

مسألة: فان قال قائل ما معنى قوله عز وجل: (لعله يتذكر أو يخشى)(٥)

---

(١) سورة النساء: آية ١٤٢.

(٢) كتبت في المخطوطة « قيل قا مقائل » وما أثبتناه يوضح المعنى.

(٣) سورة الشورى: آية ٤٠.

(٤) سورة البقرة: آية ١٥.

(٥) سورة طه: آية ٤٤.

ولعلكم تتقون ، وكيف جاز الشك منه ، قيل له هذا منه جل ثناؤه عن الشك! وإنما هذا على المجاز . وكان ابن عباس يقول لعله يتذكر أى يتعظ عندكم . فلعل وعسى من الله واجبتان فى القرآن . وفى أشعار العرب مثل ذلك ، قال بن مقيل :

ظنى بهم كيقينى وهم بتنوفة(١) يتنازعون جوائز(٢) الأمثال

أى يقينى منهم كيقينى ولم يرد ظنى بهم كظن. وقد قيل إن فرعون تذكر وخشى بقوله : (آمنت أنه لا إله إلاالذى آمنت به بنو إسرائيل)(٣) .

مسألة : قوله عز وجل : (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها)(٤) . إن قيل كيف يكون نكالا لما مضى قبلها من الأمم وقد مضت ، قيل كان ابن عباس يقول لما بين يديها أى لما فيها من ذنوبهم ، وما خلفها من بعدهم من بنى إسرائيل . وقال المفضل : قال الحسن يعنى ما بين يديها من الذنوب السالفة ، وما خلفها أى خلف تلك الذنوب وهى ضدها ، والنكال العقوبة .

قال جرير :

أين جعلت قلن أعاقى تغلبا للظالمين عقـــوبة ونـكالا

مسألة : فان سأل سائل عن قوله تعالى : (فهى كالحجارة أو أشد قسوة)(٥) فقال كيف جازت أو من الله ، وإنما هى للشك؟ قيل له قد جاء عن أهل اللغة والتفسير أن (أو) فى هذا الموضع ليست للشك ، ولا يجوز على الله سبحانه وتعالى الشك فمعنى (أو) إذا كانت بمعنى الزيادة على الشىء والنقصان منه كان معناها (بل) كقوله تعالى : (إلى مائة ألف أو يزيدون)(٦) لما كانت مائة ألف

---

(١) التنوفة : الصحراء المهلكة .
(٢) « جوائز » وقد كتبت فى المخطوطة « حوايز » .
(٣) سورة يونس : آية ٩٠ .
(٤) سورة البقرة : آية ٦٦ .
(٥) سورة البقرة : آية ٧٤ .
(٦) سورة الصافات : آية ١٤٧ .

من الناس نهاية أخبر تعالى أنه بعث نبيه |١٨٠| عليه السلام إلى هذا العدد العظيم عندهم . ومن القلة والقرب كقوله تعالى : (قاب قوسين أو أدنى)(١) ، وكذلك : (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب)(٢) . وأنشد الفراء فى (أو) بمعنى (بل) لذى الرمة :

بدت مثل قرن الشمس فى زونق الضحى
وصورتها أو أنت فى العين أملح

وإذا كانت (أو) بمعنى إضافة الثانى إلى الأول كانت بمعنى الواو ، ومنه قول النابغة :

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا   إلى حمامتنا أو نصفه فقد

أى ونصفه ، ومعنى فقد أى حسبى . قال توبة بن الحميرة :

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر   لنفسى تقاها أو عليها فجورها

فقوله تعالى : (أو هو) فعلى هذه المعانى لا على الشك تعالى الله عن الشك ! !

مسألة : فان سأل عن قوله عز وجل : (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين)(٣) ، فقال كيف جاز أن يلوم هؤلاء على ما لم يفعلوا ولم يدركوا ؟ قيل لما كانت الأبناء راضية بما صنعت الآباء من قتل الأنبياء دخلوا معهم فى الإثم وكانوا قتلة مثلهم والله أعلم .

مسألة : فان سأل عن قوله : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها(٤)) فقال أو يكون بعض القرآن خير من بعض ، قيل له قال ابن عباس وغيره ، أى العلم بهذه المحدودة خير من العلم بتلك المنسوخة أو مثلها فى الفضل

---

(١) سورة النجم : آية ٩ .
(٢) سورة النحل : آية ٧٧ .
(٣) سورة البقرة : آية ٩١ .
(٤) سورة البقرة : آية ١٠٦ .

قبل أن تنسخ . وقال بعض نأت بخير منها أى أسهل عليكم فى الأمر والنهى والفرض فذلك خير لكم .

مسألة : فان سأل عن قوله عز وجل بقوله :(كن فيكون)(١) ، فقال كيف يقول له وليس شىء بعد قيل قد قيل ، يجوز أن معنى يقول له بكونه فجعل القول فعلا مثل قولك : قال برأسه إذا حركه ولم يقل شيئاً ، كما قال أبو النجم :

وقالت الأنساع للبطن الحق قدما   فاضت كالفتيــــق المحيــق

الأنساع : السنون ، والفتيق : الحمل ، وليس ثم قولنا إنما ألحق البطن بالظهر . من وجه آخر |١٨١| لما كان الشىء قد تقدم علمه تعالى صار فيه كأنه ماثل لديه فجاز أن يقول له كن فيكون والله أعلم . وقال أبو الحسن رحمه الله : الأمر قد يكون قولا وغير هذا قول ، فالقول ماأمر به من جميع أوامره فهو أمر بالقول . وقد يكون قوله تعالى أمرنا ، هو إيتاء المراد لأن قوله تعالى :(إنما أمرنا لشىء إذا أردناه) أنه يأتى كما أردنا أن نقول له كن فيكون ، كما قال تعالى : (أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً)(٢) فقد يكون خير قول الخطاب إنما هو مايتعارف فى اللغة التى نزل بها القرآن .

مسألة : فان سأل عن قوله عر وجل :(وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول)(٣) وقوله تعالى :(حتى نعلم المجاهدين منكم)(٤) ومثل هذا فى القرآن كثير . فقال أليس قد علم الله كونه فما معنى ذلك ؟ قيل له المعنى فيه أنه قد علمه قبل كونه ولكن فعل ذلك لنقرر عندكم علمنا بمن يتبع الرسول منكم ، وهو فى الكلام كرجل قال لصاحبه النار تحرق

---

(١) سورة الأنعام : آية ٧٣ ، وسورة مريم : آية ٣٥ ، وسورة النحل : آية ٤٠ ، وسورة غافر : آية ٦٨ .

(٢) سورة يونس : آية ٢٤ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٤٣ .

(٤) سورة محمد : آية ٣١ .

الحطب ، فقال الآخر هات النار والحطب لنعلم أيهما تحرقه ، اى ليبين عندك علم ذلك . ويقال حتى نعلم بالفعل الذى يوجب الجزاء .

مسألة : فان سأل عن قوله عز وجل: (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم)(١) ، فقال كيف جاز هذا الكلام ، وليس للذين ظلموا حجة ؟ قيل له قال بو عبيدة : موضع (إلا) هاهنا موضع استثناء إنما هو موضع (أو) الموالاة ، ومجازها لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا . قال الأعشى :

إلا كناشرة المكلف نفسه   وابنى قبيضة إذ اعبب وتشهدا

معناه كجارحه . ومنه غير هذا تركته لئلا يطول .

مسألة : فان سأل عن قوله عز وجل : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)(٢) فقال كحب الله وهم مشركون ؟ قيل له قال المفسرون أى كحب المؤمنين الله ، وإن قال فقوله تعالى [١٨٢]: (يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم)(٣) أى أعمال كانت لهم ، قيل له قد قيل فيه بوجوه: أحدها يقول أعمالهم السوء تصير حسرات عليهم وندامات هلا كانوا عملوا غيرها ، وهو قول ابن عباس ، والوجه الآخر يقول أعمالهم التى فرطت عليهم فى الدنيا وعمل بها غيرهم فاستوجب الثواب ولم يعملوا بها ، ووجه آخر قاله المفضل ليست هنالك أعمال لهم ترى إنما هم يعلمون أن أعمالهم فى الدنيا لم تنفعهم .

مسألة : فان سأل سائل عن قوله تعالى: (فما أصبرهم على النار)(٤) فقال وهل يكون عليها صبر ؟ قيل له يريد ما الذى أجزاهم على النار بصبره استفهاماً وهو قول ابن عباس . قال أبو عبيده يأتى هذا الموضع فى معنى الذى

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٠ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٦٥ .
(٣) سورة البقرة : آية ١٦٧ .
(٤) سورة البقرة : آية ١٧٥ .

مجازها ما الذى صبرهم على النار ودعاهم عليها وليس يتعجب . قال المفضل فيه وجهان : أحدهما أن يكون بمعنى أى ، كأنه قال أى شىء أصبرهم على النار ؟ ويقال أصبره على ذلك وصبره بمعنى . والوجه الآخر معنى ما أصبرهم ما أجرأهم . وقال الكسائى قال لى قاضى اليمن : اختصم إلىّ رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه ، فقال صاحب الحق ما أصبرك على الله أى ما أجرأك عليه وكذا قال . وكان يقول ليس والله لأحد صبر على النار ولكنه يعنى ما أجرأهم على النار بأعمالهم .

مسألة : فان سأل عن قوله عز وجل : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث)(١) فقال تعالى ليلة وهى ليال ، فقيل هذا جائز عند العرب . قال الله تعالى وجل : (ثم يخرجكم طفلا) يريد أطفالا ، وقال تعالى : (والملائكة بعد ذلك ظهير) يريد ظهراً ، وقال عز وجل : (والملك على أرجائها)(٢) يريد الملائكة . قال الغنوى :

إن تقتلوا اليوم فقد سرّبنا ... فى حلقكم عظماً وقد شجبنا

يريد فى حلوقكم . قال العباس بن مروان :

[١٨٣] قلنا اسلموا إنا أخوكم ... فقد برئت من الأحن الصدور

أى إنا إخوتكم .

مسألة : فان سأل عن قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام)(٣) ، وقوله تعالى : (فأتى الله بنيانهم من القواعد)(٤) ، (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)(٥) ، (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل)(٦) ، (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)(٧) . فقال وكيف أخبر أنه يزول من مكان إلى

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٧ .
(٢) سورة الحاقة : آية ١٧ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢١٠ .
(٤) سورة النحل : آية ٢٦ .
(٥) سورة الحشر : آية ٢ . كتب فى المخطوطة « وقاتلهم » خطأ بدلا من « فأتاهم »
(٦) سورة الفرقان : آية ٢٣ .
(٧) سورة الفجر : آية ٢٢ .

مكان ، قيل له المعنى فى ذلك غير ما ذهب إليه وهو أنه جاء وأتى أمره وثوابه وحسابه وعذابه . وكان ابن عباس يقول : (وقدمنا إلى ما عملوا)(١) أى عمدنا ، فذكر نفسه تعالى وهو يريد أمره فقال أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وهو يعنى أمره ، وكما قال : (أفعصيت أمرى)(٢) والأمر لا يعصى وإنما يعصى الآمر فذكر الآمر وأراد الأمر وهذا فى اللغة موجود كثير . وكذلك جاء ربك والملك صفاً ، يعنى به جاء أمر ربك بالقضاء بين عباده والملك صفاً صفاً وهو ما ذكرناه أنه يذكر نفسه تعالى ويريد أمره على التوسع والمجاز لأنه لا يجوز فى اللغة أن يقال جاء الله بأمره وأتى الله بأمره كما يقال أتى الله بالخصب ، وجاءنا الله بالخير ، فقال جاء الله وأتى ، وهو يعنى جاء أمره ، لأن الله تعالى قد دل بحجج العقول على أنه عز وجل لا يجوز عليه المجىء والإتيان الذى هو إتيان من البعد إلى القرب ، لأن البعد والقرب بالمسافة والانتقال من مكان إلى مكان إنما يجوز على الأجسام المحدودة ، والأجسام المحدودة لابد أن تكون محدثة . ويقال إن قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) إن هذا القول فى يوم القيامة ، أى هل كانوا ينتظرون غير هذا ، وينظرون معناه ينتظرون . قال الشاعر(٣) :

فبينما نحن ننظره أتانا مغلق شكوه وزناد راعى

وقال الحسن يأتيهم الله بأمره وقضائه وحكمه ، وكذلك : أو يأتى ربك أمره يوم القيامة .

مسألة : فان قال فما أنكرتم أن يكون هذا المجىء والإتيان ليس على ما ذكرتم ولا هو مع ذلك على ما قالت المشبهة من إجازة الزوال والانتقال على الله عز وجل . قيل له لا يعقل فى اللغة ولا فى شىء من الكلام المجىء والإتيان إلا ما قلناه ، فلما لم يجز ما قالته المشبهة على الله عز وجل فيكون معناه ما قلنا . |١٨٤| وأيضاً فلو جاز أن يصف نفسه بأنه يأتى

---

(١) سورة الفرقان : آية ٢٣ .

(٢) سورة طه : آية ٩٣ .

(٣) زيادة من عندنا .

ويجيء ولا يكون معناه يعرفه أو يعقله أهل اللغة فى كلامهم ، لجاز أن تقول إنه يتحرك ويسكن ويجهل ، ولا يكون معناه ما يعقله أهل اللغة فى كلامهم ، فلما لم يجز أن يوصف الله تعالى نفسه بأنه يجهل إذا كان يجب أن يكون واصفاً لنفسه بأنه يجهل بالجهل المعقول بيننا فى اللغة ، كذلك أيضاً لا يجوز أن يصف نفسه بأنه يتحرك ويسكن لأن ذلك يكون وصفاً بالحركة والسكون المعقولين فى اللغة .

مسألة : فان قال فما معنى قوله عز وجل : (وإلى الله ترجع الأمور)(١) وهى راجعة إليه الساعة ، وإنما يقول القائل «إلى أن ترجع الأمور» إذا لم تكن فى يده ؟ قيل له معناه ان المساءلة عن الأعمال والثواب عليها والعقاب يرجع إليه يوم القيامة لأنهم اليوم غير مسئولين عن أعمالهم ولا مثابين عليها ولا معاقبين ، وكذلك قوله تعالى : (وإلى الله المصير)(٢) وهو الساعة فى ملكه .

مسألة : فان قال فما معنى قوله عز وجل : (وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)(٣) كان شاكاً فى إحيائه الموتى ؟ قيل له قد قيل فيه أقاويل وكلها تنفى عنه الشك ، أحدها أن يكون أراد « ليطمئن قلبى » فان نفسى تنازعنى إلى مشاهدة ذلك بالعيان مع تصديقى له بعينه . والآخر ليطمئن قلبى إلى إجابتك وأن لا يكون رد لدينى عما طلبته . وقال المفضل : ولكن ليطمئن قلبى أى يسكن إلى مشاهدة ما يرى من قدرتك فلا يختلجه فى اليقين بذلك شك . قال وقد قيل معنى « ليطمئن قلبى » لأنظر بحسى من لطائف حكمتك ما أدركه بالخبر . وقال ابن محبوب رحمه الله : ولكن ليطمئن قلبى ، بتصديق قومى لى أنك تحيي الموتى حين أخبرتهم بذلك .

مسألة : فان قال فما معنى قوله عز وجل : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٠ ، وسورة آل عمران : آية ١٠٩ ، وسورة الأنفال : آية ٤٤ ، وسورة الحج : آية ٧٦ ، وسورة فاطر : آية ٤ ، وسورة الحديد : آية ٥ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٢٨ ، وسورة النور : آية ٤٢ ، وسورة فاطر : آية ١٨ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٦٠ .

جلوداً غيرها)(١) .. الآية . وكيف يجوز على الحكيم أن يعذب جلوداً لم تعصه قط ؟ فقد قيل فيه بوجوه : أحدها أن الجلود لا تألم وإنما تألم النفوس فهذا وجه ، ووجه آخر يعاد ذلك الجلد بعينه جديداً ، وقال المفضل المعنى أن تلك الجلود إذا نضجت ردت صحاحاً ، فمعنى غيرها أى غيرها وهى محترقة لأنه تعالى أعدل وأرحم من أن يعذب من لم يعصه . وكذلك قوله عز وجل |١٨٥| (يوم تبدل الأرض غير الأرض)(٢) أى تمد فتصير أوديتها وأكامها وكل مضطرب الخلقة فيها ، شيئاً واحداً وأرضاً مسنوية فهى الأرض وقد بدلت غيرها فى الصورة . وكذلك عن أبى محمد رحمه الله قال معنى ذلك تبديل ألوانها ، وأما يؤتى بغيرها فلا ، ولكن تحدث ألوان اخر لعظم ذلك اليوم . قال فكذلك تبديل جلود أهل النار تعاد كما كانت هى لا غيرها ، ولأن الألوان قد فنيت مرة بعد مرة يجوز بأن تقلب بلون آخر .

مسألة : فان قال قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم)(٣) أكان الدين ناقصاً ؟ قيل له معناه أكملت الفرائض عليكم والشرائع لأنه إنما أنزلت أولا فأولا ولم(٤) يعن التوحيد لأن التوحيد لم يزل تاماً .

مسألة : فان قال فقوله تعالى : (رب بما أغويتنى)(٥) وإن كان الله يريد أن يغويكم كيف جاز الإغواء من الله عز وجل ؟ قيل له قال المفضل : أغويتنى أى ألقيتنى غاوياً أى ضالا لمخالفتى أمرك بالسجود لآدم عليه السلام . وقال الكلبى : أغويتنى أضللتنى عن الهدى لمخالفتى أمرك . وقال بعض المفسرين : أغويتنى سميتنى غاوياً لمخالفتى أمرك . وقال الحسن : أغويتنى لعنتنى . وأما أن كان الله يريد أن يغويكم فمعناه أن يضلكم ويمنعكم الرشد . وقال الحسن : يعذبكم أى لا ينفعكم نصحى بما أدعوكم إليه من الإيمان إذا نزل بكم عذاب الله وآمنتم لم ينفعكم يومئذ .

---

(١) سورة النساء : آية ٥٦ .

(٢) سورة ابراهيم : آية ٤٨ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٤) كتبت فى المخطوطة سهواً « يعنى » .

(٥) سورة الحجر : آية ٣٩ .

مسألة : فان قال قائل فقوله عز وجل : (ورحمتى وسعت كل شىء)(١) ولم تسع الكافر الذى لم يرحمه . قيل له قد قال المفضل قال الكلبى لما قال الله تعالى ذلك تطاول لها إبليس وقال أنا من ذلك الكل ، فأخرجه الله تعالى من ذلك وخيبه لقوله :(فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة)(٢) .. الآية . فقالت اليهود نحن منهم نحن من أصحاب الكتاب والعلم القديم فأكذبهم الله تعالى فقال : (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى)(٣) .. الآية . وقال غيره وأظنه ابن عباس ، ورحمتى وسعت كل شىء يقول فى الدنيا يعنى النعمة قد عمت ، فسأكتبها فى الآخرة للمؤمنين ، يقول فسأجعلها لهم دون الكفار يعنى الجنة .

مسألة : ١٨٦ فان قال فقوله عز وجل : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)(٤) . كيف يؤمنون وهم مشركون ؟ قيل له قال الكلبى يعنى أهل مكة يقول إذا سألتهم من خلقكم قالوا الله ، ومن يرزقكم قالوا الله وهم مشركون بالله يعبدون الأصنام . فمعنى إيمانهم ها هنا الإقرار بالله عز وجل فقط لا الإيمان التام باقامة الشرائع وأداء الفرائض . وفى تفسير ابن عباس فى هذه الاية ، قال كانت العرب فى الجاهلية إذا لبى أحدهم قال : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك . ومثل هذا فى القرآن كثير تركته اختصارا والله أعلم .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٥٦ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٥٦ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

(٤) سورة يوسف : آية ١٠٦ .

الباب الثاني والثلاثون

(فى القضاء والقدر والرد على القدرية من كتاب الضياء)

القضاء فى اللغة على أربعة وجوه ، قضاء خلق ، وقضاء حكم ، وقضاء أمر ، وقضاء إخبار وإعلام ، فأما قضاء الخلق فهو قوله عز وجل :(فقضاهن سبع سموات)(١) أى خلقهن . ويقال قضيت الأمر أى فرغت منه وأحكمته وكل شىء أحكمته فقد قضيته .

قال أبو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما   وداوود أو صنع السوابغ تبّع

قضاهما أى صنعهما. وأما قضاء الأمر فهو كقوله عز وجل :(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (٢) أى أمر ربك ، وفى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وأوصى ربك ، قال الفراء قال ابن عباس رضى الله عنه هى وصى ربك التصقت واوها بالصاد فصارت قافاً . قال والعرب يقول تركته يقضى بين الناس أى يأمر فينفذ أمره . وأما قضاء الخبر فهو قوله تعالى :(وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب) (٣) أى أخبرناهم وأعلمناهم. ومن ذلك قضاء الله وقدره أى قد اتقن الأشياء وأحكمها وأبرمها وفرغ منها ، وإنما سمى القاضى قاضياً لهذا المعنى يقال قضى بين الخصمين أى فصل بينهما وفرغ منه .: قيل للميت قد قضى نحبه أى فرغ من الدنيا أى فصل منها ، وقيل للموت قضاء لأنه أمضى وفرغ . وقال الحارث بن حلزه اليشكرى : |١٨٧|

وثمانون من تميم بأيديهم   رماح صدورهن القضاء

يعنى الموت ، يقول فى أسنتهم الموت . فقضاء المعصية قضاء خلق لا قضاء أمر ولا رضا .

---

(١) سورة فصلت : آية ١٢ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٢٣.

(٣) سورة الإسراء : آية ٤ .

مسألة : فان قال قائل أفتقولون إن الله تعالى قضى المعصية على العبد ؟ قيل له نعم .. فان قال فما معنى قضى المعصية ؟ قيل له معناه خلق المعصية من مكسبها وقضاء الطاعة أمر بها وحث عليها . فان قال قضى عليه الكفر ثم يعذبه بما قد قضاه عليه ؟ قيل له قد قلنا إن القضاء يتصرف على وجوه ، فان أردت أنه قضا عليهم الكفر أى أنه خلق الكفر والكافر قبيحاً فاسداً مذموماً متناقضاً فكذلك نقول ،وإن أردت أنه قضى عليه أجبره عليه أو أمره به أو رضيه منه فلا . وقد ذكر أن وفد نجران قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم: يكتب الله علينا الذنب ثم يعذبنا؟فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أنتم خصماء الله» فأنزل الله تبارك وتعالى: (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)(١)، ولقد أجاد أحمد بن النظر حيث قال :

أنت خصم الله إذ قلت لـــه　　　كتب الذنب وأصلانى سقر(٢)
هو لا يسأل عن أفعـــــاله　　　إنما يسأل عبـــد مزدجـر

فى القدر أيضاً : القدر فيه لغتان تقول العرب قدّر الله وقدْره بفتح الدال وجزمها ، وهو القضاء المؤقت ، وقد جاء القرآن باللغتين جميعاً فقال عز وجل: (إنا كل شىء خلقناه بقدر)(٣) ، وقال تعالى: (قد جعل الله لكل شىء قدراً)(٤) . وسميت ليلة القدر هى ليلة تقدير الأشياء كلها إلى حول السنة القابلة ،قال عز وجل (فيها يفرق كل أمر حكيم)(٥) وأنشد أبو أحمر :

ولكل من واقع قدر

قال الفرزدق :

وما صب فى رجلى من حديد مشاجع
مع القدر إلا حـــاجة لى أريدهـــا

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٣ .
(٢) سقر : علم لجهنم ، والكلمة ممنوعة من الصرف .
(٣) سورة القمر : آية ٤٩ .
(٤) سورة الطلاق : آية ٣ .
(٥) سوره الدخان : آية ٤ .

ويقال للقدر الكتاب لأن كل شيء قدره الله فقد كتبه . قال الجعد :

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني ... عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا

|١٨٨| والقدر في كلام العرب هو التقدير ، يقال قدرت الشيء وقدرته بالتثقيل والتخفيف وهو من التقدير . والعرب تسمى القدر المنية ، تقول منى لك الأماني ، أي قدر لك القدر . قال صخر التيمي :

لعمرو أبي عمرو لقد ساقه المنا ... إلى حدث يودى له بالأهاضب

قال أي ساقه القدر . وقال آخر :

ولا تقولن لشيء لست تفعلـه ... حتى يبين لك ما يملى لك المانى

أي يقدر لك المقدر . وقال آخر :

منت لك أن تلاقيني المنـــايا ... آحاد آحـــاد في شهر حلال

وعن عكرمة عن ابن عباس رحمه الله أنه سئل عن القدر ، فقال الناس فيه على ثلاثة منازل ، من جعل للعباد في الأمر المشيئة فقد ضاد الله في أمره ، ومن أضاف إلى الله سبحانه شيئاً مما يتنزه الله عنه فقد افترى على الله عظيماً ، ومن قال إني رحمت بفضل الله فذلك سلم له دينه ودنياه جميعاً ولم يظلم الله في خلقه ولم يجهله في حكمه . وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا مر بهدف مائل أسرع المشي ، قيل له يا رسول الله أتفر من قضاء الله ؟ قال : أفر من قضاء الله إلى قدره . وعن بعض أصحاب جعفر بن محمد قال كنت معه فقلت في كلامي ما شاء الله ، وأراد الله وقدر وقضى ، أي أن الله إذا أراد شيئاً شاءه وإذا شاءه قدره وإذا قدره قضاه فإذا قضاه أمضاه .

مسألة : فإن قال قائل ، فما القدر ؟ قيل له هو الخلق . فإن قال فيعذب الله على القدر ؟ قيل له لا ، وإنما يعذب على المقدور . فان قال فما الفرق بينهما ؟ قيل له القدر فعل الله تعالى ، والمقدور فعل العبد ، وكذلك قوله تعالى : (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)(١) ، فالقدر علمه عز وجل والمقدور فعل خلقه ، والمقادير من الله عز وجل . وقد روى عن النبي صلى الله |١٨٩| عليه وسلم

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٨ .

قال : « سيكون فى هذه الأمة قوم يعملون بالمعاصى ثم يقولون هى من الله قضاء وقدر ، فاذا ألقيتموهم فاعلموهم أنى منهم برىء » .
وروى أن رجلا قال له صلى الله عليه وسلم بأبى وأمى يا رسول الله متى يرحم الله عباده ومتى يعذبهم ؟ قال : يرحم الله عباده إذا عملوا بالمعاصى فقالوا هى منا ، ويعذب الله عباده إذا عملوا بالمعاصى فقالوا هى من الله قضا وقدر .
والمعصية هى من خلق الله ومن العباد عمل . وفى ذلك يقول أحمد بن النظر :

فالأفاعيـل اكتساب للورى　　　ومن الرحمن خـلق وفطر

وقد روى عن الأصبغ بن نباتة قال : لما رجع على بن أبى طالب من صفين قام إليه شيخ فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء وقدر ؟ .. قال على : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً ولا علوناً تلعة (١) إلا بقضاء وقدر ، فقال الشيخ أحسب عنائى والله ما أرى لى من الأجر شيئاً ! فقال على : بل أيها الشيخ لقد عظم أجركم فى مسيركم وأنتم سائرون وفى منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين ، فقال الشيخ كيف لم نكن مضطرين والقضاء والقدر ساقنا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا ؟ فقال على : ويلك أيها الشيخ لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حاتماً لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهى ، ولم يكن تأتى لائمة لمذنب ، ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسىء ولا المسىء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وجند الشيطان وخصماء الرحمن وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب ، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله تبارك وتعالى أمر تخييراً ونهى تحذيراً وكلف يسيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرها ولم يرسل الرسل عبثاً ١٩٠ ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، فنهض الشيخ مسروراً ،

---

(١) التلعة والتلاخ : أرض مرتفعة .

وهو يقول :

أنت الإمــام الذى نرجو بطــاعته
يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننــا ما كان ملتبسا
جزاك ربك عنــا فيــه إحسانا(١)

ومعنى كلام علىّ أن الله تعالى لم يجبر العباد على طاعته ، ولم تكن معصية العاصى لغلبته ، ولا طاعة المطيع على كره وجبر ، تعالى الله عز وجل وعلا علواً كبيراً !! وقوله قدرية هذه الأمة ومجوسها ، أما القدرية فانهم يكذبون بالقدر ويقولون لا قدر ، ونسبهم بالمجوس لأنهم ضاهوا المجوس فى قولهم حين قالوا إن الله خلق الخير ولم يخلق الشر ولم يرده وإن الشيطان يخلق الشر ، تعالى الله خالق كل شىء لا خالق سواه عز وجل . وللقدرية آراء مختلفة ومذاهب كثيرة نذكرها بعد هذا عند ذكر الفرق والمذاهب إن شاء الله .

مسألة : قال أهل الاستقامة إن الله تبارك وتعالى خلق الطاعة والمعصية وأمر بالطاعة ونهى عن المعصية ، وعلم من يعمل بالطاعة والمعصية ، فنفذ علم الله تعالى كما علم ، ومن قول أهل الاستقامة رحمهم الله تعالى ما جبر أحداً على طاعة ولا معصية ، والله تعالى أمر بالطاعة وأحبها ورضيها وزينها ، فمن عمل بها فبعلم الله والله المنان عليه . والله سبحانه وتعالى نهى عن المعصية وأبغضها وكرهها وقبحها فمن عمل بها فبعلم الله والله الحجة عليه . وقال أبو عبد الله إن القدر مما يسع جهله حتى يركب الجاهل منه شيئاً مما يوجب على من ارتكبه الكفر .

مسألة : وروى عن جعفر بن محمد أن رجلا سأله ، فقال له العباد مجبورون ؟ .. فقال إن الله تعالى هو أعدل من أن ١٩١ يجبر خلقه على المعاصى ثم يعاقبهم عليها ، قال فمفوض إليهم ، قال : هو أعز من أن يكون

---

(١) أنظر : كتاب فرق وطبقات المعتزلة ، ج ١ ، ص ٢٤ ، و د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ١ ، ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .

لأحد فى ملكه سلطان . قال : كيف هو ؟ قال: هو أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض. روى عمر بن شعيب عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يؤمن عبد أبداً حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره » . وعن على بن أبى طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لا يؤمن عبد أبداً حتى (يؤمن)(١) بأربع : أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وبالبعث والقدر ». وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : لا يأتينى رجل من هؤلاء الذين يتكلمون فى القدر فيزعمون أن أعمال العباد مفوضة إليهم ، ما يقرون هذه الآية: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله)(٢)، وقوله سبحانه وتعالى : (يدخل من يشاء فى رحمته)(٣) يعنى فى دينه : وقوله : (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)(٤) ، وقال :(قاتلهم الله أنى يؤفكون ! ! أما يقرءون وكل صغير وكبير مستطر ، وكل شىء خلقناه بقدر ! !وسئل عامر الشعبى ما يقول فى القدر؟ قال : أقول ما قال الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ، قال الرجل :وما قال الله فى كتابه ؟ قال عامر : قوله عز وجل : (ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم)(٥) قال : قال ما معنى هذه الآية ما أنتم بمضلين إلا من سبقت له الشقوة ومن هو صال الجحيم ، قال فما قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قال : « من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له » .

---

(١) زيادة من عندنا .

(٢) سورة الإنسان : آية ٣٠ .

(٣) سورة الشورى : آية ٨ .

(٤) سورة الأنعام : آية ٣٩ .

(٥) سورة الصافات : آية ١٦٢ — ١٦٣ .

الباب الثالث والثلاثون

(فى العلم)

قال أهل الاستقامة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى عالم وأن له علماً بمعنى أنه عالم بالأشياء لأن له علماً هو غيره ، به علم الأشياء . وقولنا إن له تعالى علماً كما قال عز وجل فى كتابه أنزله وهو العالم به ، ونقول إن له قدره بمعنى القادر ، لأن له قدرة هى غيره .

مسألة : إن قال قائل فما أنكرتم أن يكون [١٩٢] عالماً بعلم إذا لم تشاهده عالماً إلا بعلم . قيل له أولم تشاهد عالماً إلا وقد كان قبل ذلك غير عالم؟ فنحب أن لا نقضى بالشاهد على الغائب . فان قيل فما أنكرت أن يكون ما تقول به أنه عالم بنفسه لا معنى له لأنه لا يخلو من أن يكون عالماً بنفسه أو عالماً بعلم ، فان كان عالماً بعلم فهو ما نقوله ، وإن كان عالماً بنفسه وجب أن يكون نفسه علماً ، فلما استحال أن يكون نفسه علماً وجب أن يكون عالماً بعلم .. قيل له إن العالم إنما كان عالماً بوجود علمه ، وقولنا عالم بنفسه إثبات للذات الذى أنكرناه أنه غيره أن يكون قديماً أو محدثاً ، فان كان قديماً وجب أن يكون قديماً فى الأزل ، وإن كان محدثاً وجب أن يكون القديم قد كان غير عالم ثم علم ،فلما فسد هذان الوجهان صح ما نقول إنه عالم بنفسه .

مسألة : فان قال هل يعلم الله تعالى نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ؟ قيل له نعم يعلم ذلك إلى غير غاية ولا نهاية سبحانه وتعالى العالم بما كان وبما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان لا يخفى عليه . فان قال فما الدليل على أنه يعلم ما يكون من الأشياء قبل أن يكون ؟ قيل لو كان غير عالم بها قبل كونها يكون جاهلا بها . فلما كانت أفعاله على مقدار علمه بها ، علمنا أنه عالم بها قبل كونها .

مسألة : فان قال فالعلم ساق العباد إلى ما عملوا من المعاصي ؟ قيل إنا لا نقول ذلك كذلك ولكن سولت لهم أنفسهم وزين لهم الشيطان حتى كان منهم ما علم الله تعالى سبحانه وتعالى عز وجل . فان قال فيقدر من علم الله تعالى منه المعصية أن يفعل خلاف ما علم الله ؟ .. قيل له لا .. فان قال هذا هو مجبر . قيل له هو غير مجبر ، وإنما قلنا إنه لا يقدر على فعل ما علم الله تعالى أنه لا يفعله لتشاغله بفعل ما أمر به ، أو نهى عنه ، فأما إن ترك ما اختار فهو قادر على فعل ما اختار في الحال |١٩٣| الذي يختار فيها الفعل الثاني فهو شغله بفعل لا يقدر على فعل آخر ، ولكنه قادر على ترك ذلك في حال تركه من غير ما نع له من تركه ولا جابر يجبره ، ولاحائل بينه وبينه من قبل الله تعالى وإنما أوتي من قبل نفسه . فان قال فما الدليل على أنه إذا لم يفعل ما أمره به كان فاعلا خلافه ؟ قيل إن العبد لا يخلو من أحد أمرين : إما حركة أو سكون فهو إن كان متحركاً أو ساكناً فهو فاعل لأحد الأمرين وبأيها كان مأموراً ففعل خلافه فقد فعل خلاف ما كلف . ومن لم يعمل ما أمر به فليس بقادر عليه لأنه لا يقدر في وقت واحد على فعل شيء وتركه وذلك محال والقدرة على المحال محال ، فان قال أفليس قد علم الله من يكون مؤمناً ومن يكون كافراً قبل أن يعملوا ؟ قيل له بلى .. فان قال فقد كانوا كفاراً قبل أن يعملوا ، قيل له هذا محال ، وليس كل شيء من علم الله تعالى أنه يعمل شيئاً يكون فاعلا له قبل فعله ، وهذا ما لا تجهله العقول ، ومن اعتقد هذا فقد أثم وحاد عن الطريق الحق ، لأن علم الله في العبد أنه يعمل غير علم العبد أنه قد عمل لأن علمه أنه قد عمل إنما هو كان بعد أن لم يكن ، وعلم الله تعالى لم يزل عالماً بما يكون قبل كونه وفي حال كونه وبعد كونه فهو العالم بالأشياء لا يخفى عليه شيء منها .

مسألة : سل(١) الجهمية(٢) عن الله تبارك وتعالى أكان قبل علمه أم لم يزل

---

(١) كتب في المخطوطة « سأل » .

(٢) الجهمية : أتباع « جهم بن صفوان » أصله فارسي من ترمذ وقد ظهرت بدعته ←

مع علمه ، فان قالوا لم يزل مع علمه ، قل فاعلمه والعلم هو الله لأن ما لم يزل ينبغى أن يكون هو الله ، فان قالوا علمه مخلوق ، فقل لهم(١) قد كان ولا علم له ؟ فان قالوا نعم قد كان ولم يعلم شيئاً ، قل لهم هل كان يعلم أنه ليس معه شىء قبل أن يخلق شيئاً ويعلم أنه ليس كمثله شىء ، فان قالوا نعم ، فقل لهم قد وصفتم أن له علماً وسألتم عن الإرادة والعلم للمخلوقين أيهما قبل صاحبه؟ فان قالوا إن العلم كان قبل الإرادة فاسألهم خلق العلم وهو لا يريد أن يخلقه ؟ وكيف يخلق شيئاً وهو لا يريد خلقه ؟ |١٩٤ ثم قل زعمتم أن الإرادة قبل العلم فقد زعمتم أن هنالك شيئاً مخلوقاً لم يعلمه وإن الإرادة مخلوقة فقد كانت وهو لا يعلمها فى قولكم.

سؤال آخر : واسألهم عن حاله تعالى قبل أن يخلق شيئاً هل كان يعلم شيئاً ؟ أو يريد شيئاً ؟ فان قالوا نعم وأعطوك ذلك الرد فقد دخلوا فى قولك، وإن زعموا أنه لم يكن يعلم شيئاً ممن سمى يومئذ عالماً أو سميعاً أو بصيراً أو رباً أو خالقاً ، فهو مشرك .

سؤال آخر للقدرية إيما أحب إلى الله تعالى إنفاذ علمه فى ترك أمره ، أو الأخذ بأمره أو فى إبطال علمه . فان قالوا لا يجب واحداً منهما ، فقل أخبرونا بماذا أحب وأنتم مقرون بأنه قد علم قبل أن يخلق أنه سيقضى إلا أن يكفروا ، فلا يقروا بأنه لم يزل يعلم قبل خلق الخلق أنهم سيقضون فقد تركتم قولكم إن الله تعالى أحب وأراد شيئاً أن ينفذ علمه فى أن يعصى فقد تركوا قولهم رأساً ودخلوا فيما عابوا علينا ، وإن قالوا أحب وشاء وأراد

=بترمذ أولا . قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان . كذلك زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به فقط . ومما زعم أيضاً أن علم الله حادث ، وأنه لا يجوز أن يعلم الشىء قبل خلقه . وقتل فى مرو فى نهاية ملك الدولة الأموية (انظر : البغدادى : مختصر كتاب الفرق بين الفرق ، ص ١٢٨ — ١٢٩ ، والشهرستانى : الملل والنحل ، ص ١٣٥ — ١٣٧) .

(١) فى المخطوطة « له » .

الأخذ بأمره فى إبطال علمه ، فقل أليس قد أحب ورضى وشاء وأراد أن يكون فرعون وهامان وجنودهما ومن أهلك بالمثلات من القرون الأولى من المؤمنين ؟ فان زعموا أنه أراد ذلك . فقد زعموا انه أراد لنفسه تعالى الجهل والخلف والكذب وهذا المكفر بالله لمن قال به . وإن زعموا أن الله تعالى أراد أن ينفذ علمه ونفذ ما وعد فقد تركوا قولهم رأساً ودخلوا فيما عابوا على من خالفهم وأقروا بأن الله قد أحب وأراد وشاء ورضى أن يكون ما قد علم بالمعصية .

مسألة : فان قالوا ما هذا العلم الذى(١) اختبر الله تعالى به والوعد الذى وعد فقل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون)(٢). وقوله تعالى : (ختم الله على قلوبهم ..) ..الآية(٣) . وقوله تعالى لنوح عليه السلام (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)(٤) ، وفى آيات كثيرة من القرآن يخبر تعالى فيها بعلمه فيمن سبق عليه |١٩٥| الشقاء كل ذلك يكذب مقالتهم إنه لم يحب أن يكونوا مؤمنين مهتدين .

مسألة : قال عمر بن الخطاب رحمه الله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن قول الله عز وجل : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم)(٥).. الآية. فقال عليه السلام إن الله تبارك وتعالى خلق آدم واستخرج ذريته من ظهره وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم استخرج منه ذريته وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون . فقيل يا رسول الله فما العمل ، فقال صلى الله عليه وسلم إن الله إذا خلق أحداً للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة ، وإذا خلق أحداً للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار ، وقال : كتاب

---

(١) « الذى » زيادة من عندنا .

(٢) سورة يونس : آية ٩٦ .

(٣) سورة البقرة : آية ٧ .

(٤) سورة هود : آية ٣٦ .

(٥) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .

كتبه الله فى أهل الجنة بأسمائهم مجملا عليهم ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ، وكتاب كتبه الله فى أهل النار بأسمائهم مجملا عليهم ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم . ويسلك أهل السعادة طريق أهل الشقاوة حتى يقال كأنه منهم بل هم منهم ثم يخرجه الله قبل الموت ولو بفواق ناقة حتى يسلك بهم طريق أهل السعادة ، وقد يسلك بأهل الشقاء طريق أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم منهم ، ثم يخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة حتى يسلك بهم طريق أهل الشقاء ،والسعيدمن سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والأعمال بخواتمها .

وقال أبو بكر يرفع الحديث « خلق الله الخلق قبضتين فقال هؤلاء فى الجنة وهنيئاً لهم ، وهؤلاء فى النار ولا أبالى » . وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إنالعبد يعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبين أهل الجنة إلا مقدار ذراع أو باع ثم يدركه العلم السابق فيعمل بعمل أهل النار ، فيموت على ذلك فيصير إلى النار ، وإن العبد يعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبين أهل النار إلا مقدار ذراع أو باع ثم يدركه العلم السابق فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت على ذلك فيدخل الجنة » .

الباب الرابع والثلاثون

(في الإرادة والرد على القدرية)

قال الله عز وجل: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)(١) وقال عز وجل [١٩٦] : (إن الله يفعل ما يريد)(٢) . وهذه صفة ذات لأن كل ما علمه الله قد أراده وليست إرادته تعالى فعلا من فعله ولا نقول بذلك كما قال من حاد عن الحق، ولو كان فعلا أراده في نفسه أو في غيره أو أفعالا قائمة بنفسها . فان قال إنه أحدثها في نفسه فليس هو محلا للحوادث ، وإن قال أحدثها في غيره كان ذلك الغير مريداً ، وإن قال إنه أحدثها قائمة بنفسها كان مستحيلا لأنها صفة والصفة لا تقوم بنفسها فلما فسدت هذه الوجوه صح أنه تعالى لم يزل مريداً كما أنه لم يزل قادراً عالماً .. ومما يدل على فساد ما قالوا من أن الله تعالى خلق إرادة له ، بها أراد وقوله تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)(٣) ، فلما لم يجز أن يكون قوله مقبولا لم يجز أن يخلق إرادته، فلو جاز أن يقول لقوله لجاز أن يريد إرادته وقد كان أراد إرادة إن كان معنى إرادة بها أراد إذا كان إنما هو فعل من غير إرادة وإرادة بإرادة إلى ما لا نهاية له وهذا قول فاسد لا يجوز لقائله .

مسألة : فان قال قائل إن قوله تعالى أردناه إنما هو فعلناه ، قيل له إن كان معنى أراده بها أراد إذا كان إنما هو فعل من غير إرادة .

مسألة : فان قال قائل ما أنكرتم أن الله لم يكن مريداً ثم أراد ؟ قيل له أنكرنا ذلك لأنه لو لم يكن مريداً لكان موصوفاً بضد الإرادة من

---

(١) سورة يس : آية ٨٢ .

(٢) سورة الحج : آية ١٤ .

(٣) سورة النحل : آية ٤٠ .

الترك ، والاضداد عن الله تعالى منفية . ويقال له أيضاً ما الفرق بينك وبين من قال لم يكن عالماً ثم علم ؟ فان قال إن المريد غير العالم كذبه الإجماع لأن الاتفاق أن الله تعالى هو المريد العالم وهذه الصفات له تعالى ثابتة فى كتابه عز وجل . والقول بأنه لم يكن مريداً ثم أراد لايعدو منزلتين : إما أن يكون مصيباً فى أن لا يريد ، ثم أراد فقد رجع عن الصواب إلى الخطأ إذا كان فى أن لا يريد ، فقد انتقل عن الخطأ إلى الصواب أو عن الصواب إلى الخطأ وقد دخله الخطأ فى الوجهين جميعاً . فلما كان هذا |١٩٧| أقول من يقول إنه لم يزل ثم أراد لأن هذا معنى البداء(١) والله تعالى من أن تحله البداء أو الغفلة أو النسيان أو الخطأ أو الجهل أو أن يشبهه شىء من خلقه جل وعلا !!
ولقد أحسن أحمد بن النظر حيث يقول :

عز المهيمن عن مقال مكيف	أو أن ينال دراكه بمكان
أو أن يحيط به صفات معبّر	أو تعتريه هماهم الوسنان
أو أن يخالجه لغوب سامة	أو خطرة من خطرة النسيان
أو أن يقال الله خالق نفسه	وكلامه كالخلق للأبدان

مسألة : فان تجاهل وقال إن الله قد علم كل شىء ولم يرد كل شىء ، قيل له ما الفرق بينك وبين من يزعم أنه أراد وجود الشىء ولم يعلمه لأن فيما بيننا أن الإنسان قد يريد فعل الشىء ولا يعلم كيف يفعله . فان قال إن العلم لا يجوز أن يوصف بالقدرة عليه وعلى خلافه ، وإرادته قد يوصف بها وبخلافها ، قيل له وكيف يكون ذلك ؟ فان قال يجوز أن يقال أراد ولم يرد ، ولا يجوز أن يقال علم ولم يعلم . قيل له قد قال تعالى : (أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا فى الأرض)(٢) فما دليلك على ذلك وهو المريد بنفسه والعالم بنفسه ، ولا فرق فيما اعتللت به ولا حجة . ويقال له أتقولون أن الله يريد كون خلاف ما علم ، وأنه يعلم خلاف ما أراد ، فان قالوا نعم كفروا ، وإن قالوا لا يريد إلا ما علم ، قيل لهم أفتقولون إنه يعلم

---

(١) البداء : معناه أن الله سبحانه وتعالى يغير ما أراد . وقد كتبت فى المخطوطة فى أكثر من مرة « اليد » .

(٢) سورة يونس : آية ١٨ كتبت الآية خطأ فى المخطوطة .

خلاف ما أراد ، فان قالوا نعم . . قيل لهم وما ذلك ؟ فان قالوا أراد الطاعة ولم يرد المعصية ، قيل لهم فعلى قولكم هذا أنه لم يرد إنفاذ ما علم .

سؤال : ويقال لهم أتقولون إن الله قد علم الطاعة من المطيع والمعصية من العاصى ؟ فان قالوا نعم ، قيل لهم فأراد المعصية من العاصى والطاعة من المطيع ؟ فان قالوا أراد الطاعة ولم يرد المعصية ، قيل لهم علم الطاعة ولم يعلم المعصية ، فاذا قالوا نعم كفروا ، وإن قالوا قد علم جميع ذلك . قيل لهم وأراد إنفاذ ذلك وإبطاله ، فان قالوا إبطاله كفروا ، وإن قالوا إنفاذه نقضوا قولهم .

مسألة : والمعتزلة رجلان أحدهما يقول إنما أراد الله تعالى من أفعال عباده الأمر بها ، والآخر إنما أراد الله تعالى من أفعال عبده غير الأمر بها . فمن ذهب إلى الأمر لزمه إذا لم يكن البارى أمر بأفعال الأطفال والمجانين أن يكون |١٩٨| كارها لها إن كان يجب أن ينفى عن أفعال العباد الكراهة ، والله تعالى لا يكره إلا معصية كما لا ينهى إلا عن معصية ، وإذا لم يكن هذا هكذا عندهم بطل ما قالوه ، وهذا يوجب أن كل مباح معصية . ومن ذهب إلى أن إرادة الله عز وجل لأفعال عباده غير الأمر بها ، يقال له إذا أحب أن ينفى الإرادة لأفعال عباده الكراهة فهل أراد الله تعالى كون الأفعال التى ليست بمعاصى ولا طاعات ؟ فان قال نعم ، قيل له لأن الطاعة عندك إنما كانت طاعة للمطيع لأنه أرادها ، فان لم يردها لزم أن تقول إنه كاره لكونها ، وهذا يوجب أن يكون معصية لأن ما كرهه الله تعالى فهو معصية عندك .

مسألة : والإرادة هى صفة ذات لأن الله عز وجل لم يزل مريداً لما يأمر به إرادة أمر ، لا إرادة حتم ، فهو مريد لما أمر به مما علم ولما ينهى عنه مما علم أن يكون وأنه لا يكون ، ولم يزل مريداً لما ينهى عنه مما علم أنه يكون ، على معنى أنه مريد لما يأمر به إرادة أمر لا إرادة حتم ، فهو مريد لما أمر به الخلق مما علم أنه يكون مما نهى عنه . فاما أن يكون مريداً له ، محباً له ، أو مختاراً له

أو راضياً به فلا ، ولكن أراد أن يخلق ما علم أنه يكون مما نهى عنه ولم يرد مطاعاً ولا حسناً وإنما كان نهى عنه وذمه وهو غير مريد له طاعة ، وأراد خلقه ذميماً فاسداً ممن فعله مخالفاً للإيمان وهو غير مكروه ولا مغلوب ولو أراد أن لا يكون حتماً بما كان وهو خالق له ممن فعله ، والفاعل له مختار لفعله غير مجبر عليه ولا ملجأ إلى فعله ؛ كما قال الشيخ أحمد بن النظر :

قال لى فالكفر مما شاء لى قلت إن القول فيه مختصر
شاءه الله ذميماً منكراً غير مغلوب عليه مقتهر

فان قال قائل فكيف علم الله تعالى أنه يؤمن أو أنه يكفر ، قيل له |١٩٩| نعم وإنما تكون الطاعة لموافقة طاعة ، والمعصية معصية من قول الأمر والنهى ، فاما بموافقة الإرادة والمراد فلا . ولا يكون طاعة لموافقة العلم وذلك أن الله عز وجل مكننا وكلفنا الطاعة لحسنها ونهانا عن المعصية لقبحها فصرف العبد منا بتلك القوة وتلك الاستطاعة إلى ما أحب واختار لأنه مختار ؛ كذلك خلق وركب من غير اختيار . أجبره الله تعالى على فعل الأفعال ، فهو محمود ومذموم بما فعل مما أمر ونهى الله ، الخالق لجميع ما يحدث من فعله فى حال فعله لأنا إذا نفينا الخلق عن فعله خالفنا الحق وأثبتنا الخلق ونفينا الإرادة لخلق ما علم أنه خالقه ، وفى حالة إذا أثبتنا أنه خالق لما يريد خلقه فقد جعلناه مكرهاً على خلق الخلق ، فليس إلا نثبته مريداً لخلق ما علم أنه خالقه فى حالة ، أو غير مريد ولا خالق وقد بينا فساد ذلك ؛ وأيضاً لو خلق ما لا يريد خلقه أو حدوثه كان غافلا أو عابثاً ، تعالى الله عن ذلك ! ! لو حدث فى خلقه شىء لم يخلقه لجاز لطاعن أن يطعن فقال لا يجوز أن يقال لا خالق إلا الله ، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! ! وإنما الخلق مدح لله تعالى والله تعالى إنما أراد أن يطيعه عباده طوعاً لا كرهاً ولو أراد غير ذلك إن كان ، لم يفعله وهو قادر عليه .

مسألة : فان قال أن مما يدل على أن الله تعالى لا يريد الكفر ولا الفجر أن المريد يسمى سفيه غير حكيم فلما كان الله تعالى حكيما علمنا أنه لا يريد سمة ،

قيل له إرادة الله تعالى لا تأبه بإرادة خلقه وقد أراد شتم الشاتمين إله معصية لاطاعة ، خلا ف مدح المادحين له تعالى ، قد أراد ميل أهل الأهواء والشهوات عن الخلق معصية لاطاعة ولم يرد ميلهم طاعة له فى ذلك، وأراد الله تعالى الصلاح ممن أتى به مختاراً غير مكره طاعة ولم يرد أن يكون الصلاح مصعية ولم يرد الكفر |٢٠٠| والضلال إيماناً ولا طاعة ، ولكن أراد الكفر من فعل الكافر معصية لا طاعة وضلالا غير هدى و كفراً غير إيمان .

مسألة : ويقال للقدرية أليس لله ملكوت السموا ت والأرض وما فيهما من شيء ؟ فان قالوا لا ! كفروا وكذبوا بكتاب الله وجعلوا معه سبحانه من يملك شيئاً لا إله إلا الله، ودخلوا هاهنا فى قول الزنادقة. وإن قالوا بلى ! فقل أليس الله تعالى أراد وحب وشاء ورضى أن يكون الكفر فى ملكه ؟ فان قالوا نعم ! فقد خصموا وتركوا قولهم ودخلوا فيما عابوا على خصمهم وأقروا بأن الله قد أحب وأر ادوشاء ورضى أن يكون الكفر فى ملكه وبذلك تركوا قولهم وتركوا هم فيما عابوا علينا : وإن زعموا أنه تعالى لم يرد ولم يحب ولم يشأ ولم يرض أن يكون الكفر فى ملكه وسلطانه ، فيقال لهم من بيده ملك الكفر وسلطانه أبيد الله ملك الكفر أوبيد غيره و فى ملك غيره وسلطانه ؟ فان قالوا ليس بيد الله ملك الكفر وسلطانه وأنه بيد غيره وفى ملك غيره كفروا، وجعلوا مع الله تعالى من يملك شيئاً يملكه الله ، هكذا قول الزنادقة . وإن قالوا الكفر فى ملك الله وسلطانه ، فقل أليس الله تعالى يريد أن يكون الكفر فى ملكه ؟ وقل لهم أليس الناس جاءوا بشيء لم يزل الله يريد إلا أن يكون فى ملكه؟ أو لم يزل يريد أن لا يملكه فملكوا ما لم يكن فى ملكه ؟ فان قالوا كيف يكون فى ملكه ما لم يكن شيء بعد ؟ فقل كما لم يزل رب العالمين وكما كان ملك يوم الدين من قبل أن يكون يوم الدين، فالله تبارك وتعالى لم يحدث من خلق ملكه ما لم يكن له قبل ذلك ، ولا علم لم يكن يعلمه قبل ذلك . فان قالوا لم يرد أن يملك العباد شيئاً لم يكن يملكه، فقد تركوا لم يرد أن يكون الكفر فى ملكه . وإن أبوا إلا أن يقولوا لم يرد أن يكون

الكفر فى ملكه [٢٠١] فقل لهم هل أراد الله أن يكون الكفر فى ملكه أو لم يرد ذلك ؟ ، فان قالوا لم يرد ذلك .. قيل لهم فمن أكرهه وأجبره على أن يجعل فى ملكه وسلطانه ما لم يزل يريد أن لا يكون فى ملكه ، فأراكم تصفون ربكم بأنه مجبر مغلوب على أن يملك ما لم يزل يكره أن يكون فى ملكه وسلطانه . فان أتموا على هذا القول كفروا بالله وأشركوا معه ما لم ينزل به من سلطان ووصفوه بأنه مجبر مغلوب على أن يملك على ما كان لملكه فقد قالوا هاهنا أعظم مما عابوا على خصمهم وقالوا منكراً من القول وزوراً .

مسألة : سأل القدرية عن إرادة الله تعالى فى خلقه على غير معنى كانت من الله يريد تمامها من العباد أم على معنى يريد تمامه ؟ فان قالوا لا يقال إرادة الله تعالى معنى وليس إرادة الله تعالى كارادة العباد ، فقل لهم صفوا إرادة الله فى خلقه مما أمرهم به ونهاهم عنه؟فان قالوا الإرادة من الله واحدة ، فقل لهم أليس إرادة من الخلق فى الطاعة أن يكون منهم كما أراد من خلق الخلق؟ فان قالوا بلى ، فقل لهم ما بال إرادتهم تمت فيما أراد من خلق الخلق ولم تتم فيما أراد من الخلق فى الطاعة ؟ فان قالوا إرادته على غير وجه ، منها حتم كخلق السموات وغيرها ، ومنها أمر . فقل فمن أى الأمرين إرادته للخلق إذا أراد ذلك منهم فلم يكن ؟ فان قالوا من إرادة الأمر وإرادة الحتم فقد تركوا قولهم . فإن قالوا ليس من إرادة الأمر ولا من إرادة الحتم ، فقل لهم ما هذه الإرادة الثالثة وما هى ؟ فانهم لا يأتون بغيرها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

مسألة : زعم أهل القدر أن الإرادة من الله تعالى فى جميع الأشياء إرادة واحدة أراد من العباد الإيمان كما أراد أن يخلق السموات فذلك قولهم فى أصل كلامهم فاذا اضطروا رجعوا إلى أن إرادته فى خلق السموات غير إرادته من العباد الإيمان . قلنا فمن أقام [٢٠٢] منهم على القول الأول بأن الإرادة من الله تعالى فى جميع الأشياء واحدة ، أعجز أن يتمها ؟ ما أراد جميعاً على ما أراد ؟ كما أراد من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان والشمس والقمر أم لم يعجزه شىء مما أراده ؟ فان قالوا بل أعجزه شىء فقد كفروا بالله

وعجزوه وكذبوا بكتابه والله تعالى يقول : (إن الله على كل شىء قدير)(١) ؛ وإن قالوا لا يعجزه شىء وكل ما أراد فهو كائن ، قلنا فما بال الخلق لم يكن منهم ما أراد من الإيمان كما كان أراد من السموات والأرض فى تمام خلقها ، فان قالوا بل إرادته فى كل شىء سواء وليس كما أراد بكائن لأن الإرادة من الله تعالى فى خلقه حتم والإرادة من الله فيما أمر ليس بحتم كما حتم السموات ؛ قلنا فما هى إذا كانت ليست بحتم كما حتم خلق السموات ، فان قالوا هى إرادة أمر فقد زعموا كما زعمنا .

فصل

ويقال لهم إرادة الله من الآمر ما لم يتم كونه أم مما يتم كونه ؟ فان قالوا فارادة الله من الأمر ما يتم كونه ، قلنا فماذا دفع إرادة الله فيما أراد الله من عباده فى أمره ؟ فان قالوا إرادة الخلق دفعت إرادة الله ، قلنا أوليس أنها كانت سبب دفع إرادة الله ما أراد الخلق لأنفسهم لأنه لو لم يحب ويرد الله تمكين الخلق من استطاعة دفع ما أراد الله لم يكن الخلق ليدفعوا ما أراد الله ولا يستطيعون دفعه . فان قالوا إنما دفع العباد ذلك بما أعطاهم الله فقد زعموا أن الله دفع إرادته بارادتهم وأنه تعالى أراد ذلك جميعاً . فان قالوا إنما يستطيع العباد خلاف ما أراد الله منهم ويفعلون خلاف ما أراد الله بغير تمكين منه تعالى لهم ، فقد زعموا أنهم مستغنون عن الله تعالى وأنهم هم الذين يفعلون ما يحبون بلا سبب من الله تعالى لهم ولا قوة أعطاهم إياها وهذا مما يدخل عليهم . وإن قالوا إن الإرادة من الله تبارك وتعالى ليست بواحدة ، |٢٠٣| قلنا لهم كم هى ؟ فان قالوا إرادة كثيرة ، منها ما يخلق بتثبيت الخلق حتماً منه ، ومنها ما ليس بحتم . قلنا لهم أما التى فى حتم خلق الخلق فنحن وأنتم فيها سواء ، وأما التى ليست بحتم وليست فى قولكم بأمر قلنا فما هى ؟ وكم هى إرادة أرادها من الخلق أن يأمرهم وينهاهم ولا يجبرهم ولا يكرههم ؛ فان قالوا نعم . قلنا فهل أحب الله تعالى أم إنما أراد من الخلق فى أمره ونهيه ؟ فان قالوا نعم .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٠ .

قلنا فهل كان ما أحب كما أحب أم إنما أراد وأحبّ أن يكون الأمر منه أمراً وكان كما أراد أمر وأحب خلافه ؟ فان قالوا أراد أمراً وأحب خلافه فقد تركوا قولهم ، وإن قالوا بل أراد أن يأمر العباد بما يحب تمامه فقد رجعوا إلى أنها إرادة حتم مثل إرادة خلق السموات ولم تتم إرادته فى خلقه كما تمت فى خلق السموات .

فصل

زعمت القدرية أن الله أراد شيئاً فلم يكن الذى أراد كما أراد وأن إرادته لم تتم كما أراد فيها إبليس لعنه الله أراد من العباد المعصية فتمت إرادته فيما أراد منهم وقصرت إرادته فى بعض . والله تعالى أراد من العباد الطاعة فتمت إرادته فى بعض وقصرت فى بعض ، فأقاموا الله تعالى فى الإرادة مقام إبليس لم يفرقوا بين الله عز وجل وبين إبليس لعنه الله فى الإرادة فيما أمر ونهى . ولسنا نقول فى المشيئة كما قالت القدرية وذلك أنهم قالوا إن المشيئة من الله تعالى فى الطاعة إنما هى مشيئة أرادها من الخلق تكون على جهة البلاء وأنهم هم يختارون ما يريدون ومفوض ذلك إليهم . قلنا لهم أليس الله تعالى أراد شيئاً أن يكون الإيمان بفعلكم وإرادته لهذا إرادة حتم هى أم ليست بحتم؟ فان قالوا ليست بحتم ، قل فما هى وقد ميزتم الإرادة التى هى حتم عن الإرادة التى هى البلاء ؟ فقل لهم أليس إرادة الله تعالى فى هذا ، الهدى من الله حتم الله ، إنما أراد أن يكون هذا كذا فقد رجعتم إلى أن الإرادة من الله [٢٠٤] حتم فى ذلك وإلا فأتونا بالمخرج لكم من ذلك؟ غير أنا نقول إن الله تعالى فى خلقه إرادتين ، ومشيئتين . ومعنى الإرادة والمشيئة واحد غير أنا نقول إنهما اسمان تضمنهما معنى واحد أحدهما مشيئة الأمر الذى أرسل الله به الرسل وهدى به السبيل ، والمشيئة الأخرى مشيئة فى خلق الخلق وقسم الإرادة وما أراد فى إنفاذ ما قد سبق عنده فى علمه من الأمور وما به الخلق عاملون وإليه صائرون. ولو كانت المشيئة من الله تعالى واحدة كما قالت القدرية لم يختلف على الله تعالى فيما أراده

من الخلق، كما لم يختلف إرادته فى خلق السموات والأرض وغير ذلك ولكان العباد فيما أمرهم به مطيعين كما أطاعته السموات والأرض إذ أجابتاه. ونحن نفسر بيان ما فيه الهدى وبالله التوفيق . وذلك أنه لو كانت إرادته فيما أمر به من الطاعة مثل إرادته فيما أراد من خلق الخلق لكان الذى قال لهم: (كونوا قوامين بالقسط)(١) لا يكونون إلا ما أراد منهم كما زعموا أنه لم يرد منهم غير الطاعة، ولكان الذى قال لهم: (كونوا مع الصادقين)(٢) لا يكون أبداً إلا مع الصادقين لأن أهل القدر زعموا أن الله لم يرد فى العباد ولا العباد إلا الإرادة واحدة وهى إرادة الإيمان . ولو كان ذلك كذلك لكان كل من قال له كونوا كذا وكذا كانوا يكونون كما قال لهم، وكما قال لليهود: (كونوا قردة خاسئين)(٣) ، فكان كما أراد فيهم فلم يتم إرادته فى بعض، وبعض لا .وهم يزعمون أن الله تعالى أراد من العباد الإيمان ولم يرد فيهم ولا منهم غيره . ولكن ليعلم أهل اللب أن الله تعالى لم يعص بقسر ولا باستكراه ولا بغلبة ولكن إرادته نفذت فى كل ما أراد ولذلك وصف نفسه فقال جل وعلا: (والله على كل شىء قدير)(٤) يقال لمن قال إن الله تعالى أراد خلاف ما علم، هل علم الله ما العباد عاملون و إلى ما هم إليه صائرون ؟ فان قال لا كفر وخرج من قول أهل الصلاة، إن الله لم يزل عالماً بما يكون [٢٠٥] قبل كونه . وإن قال نعم ، قيل له فارادة إنفاذ ما علم أم بطاله ؟ فان قال لم يرد أن يكون ما علم كما علم كفروا، وإن قال إنه أراد كون ما علم، انقطعت حجته التى يحتج بها فى الإرادة لأن الله سبحانه وتعالى قد علم أن المعصية من العاصى معصية أرادها معصية مسخوطة وفضلها خلاف الطاعة والإيمان وبالله التوفيق .

---

(١) سورة النساء : آية ١٣٥ .
(٢) سورة التوبة : آية ١١٩ .
(٣) سورة البقرة : آية ٦٥ .
(٤) سورة البقرة : آية ٢٠ .

الباب الخامس والثلاثون

(فى المشيئة)

قال الله تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها)(١) .. الآية . وفى ذلك دليل على أنه لم يفوض الأمر إلى عباده ليستبد كل امرىء منهم بمراده كما زعم الملحدون المنكرون لأحكام كتابه إذ قالوا فقد شاء الله تعالى من الخلق أن يؤمنوا وكره منهم أن يكفروا فأحب الكافرون لأنفسهم أن يكفروا وكانت محبتهم غالبة لمحبته ومشيئتهم ظاهرة على مشيئته فهم إن شاءوا أن يكفروا نفذت مشيئتهم ، والله تعالى عندهم قد شاء من الخلق أن لا يكفروا فلم تنفذ مشيئته وإرادته ، وأراد أن يؤمنوا فلم تبلغ إرادته . وكيف يكون ذلك وهو عز وجل يقول : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً)(٢) .. الآية . أفليس فى هذا القول دليلا لأولى التمييز والابصار على أنه لا يستطيع من سبق الخذلان لأنه لا يدخل فى ملة أهل الإيمان إلا بمشيئة الله تعالى لا سابق لأمره ولا راد لحكمه ولا مضاد له فى مشيئته ، خالق الخلق ومدبر الأمر تعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً !!

عن النبي صلى الله عليه وسلم : « سبق العلم حف القلم وقضى القضاء وتم القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل ، والسعادة من الله لمن آمن واتقى ، والشقاء لمن كذب وكفر ، وبولايته للمؤمنين كما أمروا وبراءته من المشركين وتوبته إن تابوا وآمنوا » . ثم قال صلى الله عليه وسلم مخبراً عن الله جل وعلا : « يا بنى آدم بمشيئتى كنت أنت تشاء لنفسك [٢٠٦] ما تشاء وبارادتى كنت أنت تريد لنفسك ما تريد ، وبنعمتى قويت على معصيتى وبقوتى أديت إلى فرائضى فأنا أولى بحسابك منك وأنت أولى بسيآتك منى ، لم أدع تحذيرك

---

(١) سورة السجدة : آية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٥ .

ولم آخذك على غرتك ولم أكلفك فوق طاعتك ولم أحملك من الأمانة إلا قدرت به على نفسك» . وعن ابن عباس أنه قال : «الخلق لما علم الله منهم منقادون وعلى ما سطر فى المكنون من كتابه ماضون لا يعلمون خلاف ما منهم علم ولا غيره يريدون فلا مشيئة للعباد خلاف ما شاء الله». وكذلك قال الله فى كتابه : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)(١) . وقد شاء العباد على المعاصى فلا يبلغون مشيئتهم حيث لم يشأ الله الذى شاءوا ، وقال تعالى : (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)(٢) . وقوله تعالى قبلا أى قبيلا ، وفسر بعضهم أى عياناً ، أى يستقبلون كذلك ، فهذا دليل على أنه لم يشأ لأنه لو شاء أن يؤمنوا لم يقل ، إلا أن يشاء الله ، وقد شاءواهم فلم يكونوا ما شاءوا . ومن صفات الله تعالى أن يفعل ما يشاء وما يريد ، ليس لأحد أن يفعل ما يشاء وما يريد غيره لقوله عز وجل : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)(٣) . ففى هذا تثبيت لمشيئة الله تعالى وإرادته تعالى وإبطال لقول من قال إن العباد يفعلون ما يشاءون ويريدون ، والقدرة والمشيئة والإرادة لله تعالى لا لغيره سبحانه جل وعلا علواً كبيراً ! ! ولم يعمل أحد من العباد عملا من خير أو شر أو طاعة أو معصية إلا وقد شاءها الله تعالى لا مشيئة محبة ولكن مشيئة إرادة .

مسألة : فان قال قائل الله تعالى يشاء من المشركين الشرك ، قيل له نعم . فان قال فما الدليل ؟ قيل له قوله عز وجل ولو شاء الله ما أشركوا ، ولو شاء الله ما فعلوا ، ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، فهذا كله دليل على أنه شاء ما فعلوه وإذا شاء |٢٠٧| ذلك فقد أراده ، والإرادة والمشيئة هما صفتا ذات لا صفتا فعل كالعلم والقدرة . والدليل على أن الله تعالى لم يشا الإيمان

---

(١) سورة التكوير : آية ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١١١ .

(٣) سورة التكوير : آية ٢٩ .

من الخلق كلهم قوله عز وجل: (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً)(١) . فهذا دليل على أنه لم يشأ أن يؤمنوا جميعاً لأنه قد أخبر تعالى أنه لو شاء لآمنوا جميعاً، علمنا أنه لم يشأ أن يؤمنوا . فان قال لو شاء لآمنوا بالجبر ، قيل له إن الإيمان قد يكون بالجبر وبغير جبر ، فليس لك أن تزعم أن معنى هذا خاص لا بأنه يدل على خصوص هذه الآية ، وأما الله تعالى فلم يجبر أحداً وإنما آمن من آمن مختار غير مجبر ، وقد قال عز وجل : إن هذه تذكرة (فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله)(٢) ففى هذا تثبيت المشيئة وأنه لا يكون إلا ما علم وشاء وأراد ، وإبطال قول من زعم أنهم يفعلون خلاف ما علم الله تعالى منهم وأراد .

مسألة : ومما يدل على أنه لا شىء مخلوقاً مراداً إلا والله تعالى مريد له قوله تعالى: (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله)(٣) مخبراً أنه لا يكون شىء فى الأرض أو شاء أحد إلا أن يشاء الله، وقوله تعالى: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله)(٤) فأخبر أنه إن شاء شيئاً فيكون ولا يكون إلا أن يشاء كونه. وهذه آيات محكمات وأجمع أهل الفقه بأسرهم لو أن رجلا قال لرجل عليه دين له والله لأعطيك حقك غداً إن شاء ثم أصبح ولم يعطه، أنه غير حانث باجماع الأمة وفقهاء الأمصار والتابعين لا خلاف بينهم فى ذلك بأن الله تعالى لو شاء أن يعطيه لأعطاه، فعلم بذلك وبكتاب الله تعالى وأنه لا يكون ما لم يشأ لأن الله تعالى لو شاء أن يعطيه حقه فلم يعطه لكان عبداً حانثاً فى يمينه. فلما أجمع فقهاء الأمصار أنه لو جاء الوقت فى غد ولم يعطه ما كان حانثاً كان ذلك أدل الدليل على أن الله تعالى لو يشاءه لكان معظماً له، فلا يكون فى الأرض إلا ما شاء الله، ولم لو يكن إلا هذا الدليل لوجب كون الإرادة

---

(١) سورة يونس : آية ٩٩ .
(٢) سورة المدثر : آيتا : ٥٥ — ٥٦ .
(٣) سورة الكهف : آيتا ٢٣ — ٢٤ .
(٤) سورة التكوير : آية ٢٩ .

وإثبات القضاء والقدر لله تبارك وتعالى .

مسألة : فان سأل سائل عن هذه الفواحش مجملة أو متفرقة هل أرادها الله تعالى . فالجواب فيها |٢٠٨| أنه أراد أن تكون قبيحة فاسدة خلاف الطاعة والإيمان . فان قال أفتقولون إن الله تعالى أراد أن يكفر به ويشتم ؟ قيل له لا يطلق ذلك لأنه يتوهم علينا القول ولكن يقال إن الله تعالى أراد شتم الشاتمين له خلاف مدح المادحين له ، معصية لا طاعة .

الباب السادس والثلاثون

(فى خلق الأفعـــال)

إن سأل سائل من أهل القدر عن أفعال العباد ، فقال أفتزعمون أنها مخلوقة لله عز وجل ؟ قيل له نعم .. فان قال فما حجتكم فى أنها مخلوقة وقد أمر الله تعالى ببعضها ونهى عن بعض وأوجب الثواب والعقاب عليها ؟ قيل له الحجة من الكتاب والإجماع وما لا يمتنع منه القول أن الله تعالى خالق وما سواه مخلوق من خير وشر ونفع وضر وقال الله عز وجل: (خالق كل شىء)(١ ووجدنا الأفعال شيئاً موجوداً فعلمنا أنها مخلوقة لأن مخرج الآية عموم ولم نجد فى كتاب الله ما يدل أنه خاص ، فان قال فقد قال تعالى: (فتحنا عليهم أبواب كل شىء)(٢) وتدمر كل شىء ، وأتيت من كل شىء فمخرج الآية عموم وهى مخصوصة ، قيل له اجتمعت الأمة أن هذه الآيات خصوص ، وقوله تعالى خالق كل شىء عموم ولعمرى إن العرب قد تضع كلا موضع بعض إذا كانت فى المواضع الدال على تخصيصها . وقد قال لبيد :

الا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحـــالة زائل

ولم يرد أن الحق باطل، ولا كل شىء باطل فانما أراد بعض الأشياء للعلم بأن بعضها ليس بباطل، ومما يؤكد أن قوله تعالى خالق كل شىء عام فى كل شىء من أفعال العباد وغيره قوله تعالى: (وجعل الظلمات والنور)(٣) والإيمان نور والكفر ظلمة لقوله تعالى: (ليخرجكم من الظلمات إلى النور)(٤) قال أهل التأويل من الكفر إلى الإيمان ، وقال تعالى: (وجعل بينكم مودة

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٢ .
(٢) سورة الأنعام : آية ٤٤ .
(٣) سورة الأنعام : آية ١ .
(٤) سورة الأحزاب : آية ٤٣ .

ورحمة)(١) ، (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة)(٢) والمودة والرأفة والرحمة فعل العباد يحمدون عليه ويذمون على تركه وقد أضاف جعل ذلك إليه . والجعل من الخالق خلق كله ولا يكون من المخلوق .لورأيتم الرفق لرأيتم خلقاً لم تروا من خلق الله [٢٠٩] أحسن فيه خلقاً ، ولا يكون الجعل من المخلوق خلقاً ، والجعل من العباد قول ووصف ، وقال عز وجل : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً)(٣) وذلك قول منهم ، والإجماع من المسلمين فى الجملة أن الله جل جلاله خالق وما سواه مخلوق ولا يستثنون شيئاً دون شىء ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو رأيتم الرفق لرأيتم خلقاً لم تروا من خلق الله أحسن منه خلقاً ولو رأيتم الخرق لرأيتم شيئاً لم تروا من خلق الله أقبح منه» والرفق فعل الرفيق يحمد عليه ، والخرق فعل الأخرق يذم عليه . وسئل على بن أبى طالب عن أعمال العباد التى يستوجبون بها النار أهى شىء من الله أم شىء من العباد ؟ فقال : هى من الله خلق ومن العباد عمل .

كما قال الشيخ أحمد بن النظر رحمه الله :

فالأفاعيل اكتساب الورى ومن الرحمن خلق وفطر

مسألة : فان قال فخلق الشرك فى قلوب المشركين ، قيل له إن أردت أنه خلق الشرك الذى فى قلوبهم بأن اضطرهم إليه وحملهم عليه كما خلق أسماعهم وابصارهم فى رؤيتهم فلا وليس كذلك نقول . وإن أردت أنه خلق الشرك الذى فى قلوب المشركين متناقضاً فاسداً خلافاً للتوحيد فى قلوب الموحدين فكذلك نقول . فان قال هل شتم الله نفسه وكيف يكون شتم الله نفسه إذ خلق الشتم ؟ أم هل كذب إذ خلق الكذب ؟ قيل له تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! !وكيف يكون شاتماً لنفسه وإنما خلق شتم الشاتمين له معصية لا طاعة ، خلاف مدح المادحين له طاعة .

---

(١) سورة الروم : آية ٢١ .

(٢) سورة الحديد : آية ٢٧ .

(٣) سورة الزخرف : آية ١٩ .

مسألة : فان قال أليس ما خلق الله تعالى قد فعله وصنعه ؟ قيل له نعم قد يقال هذا فى جملة الأشياء مطلقاً . فان قال أليس تقولون إن الله خلق الكفر ؟ قيل له نعم .. فان قال أفتقولون إن الله تعالى فعله وصنعه أم لا ؟ قيل له لا .. ألا ترى أنا نقول إن جهنم قذرة ولا نقول إن الله صنع الأقذار ، [٢١٠] ونقول خلقها لأن خلقها اسم تعظيم فى كل شىء ، وصنع ودبر الأقذار والقبائح تهجين فنفينا عنه جل جلاله كل إضافة تهجين . والخلق صفة تعظيم مضاف إلى الله تعالى بالتعظيم ، ألا ترى أنا نقول إن الله تعالى يجد كل شىء ، ولا يجوز أن يقال يجد الخبر والأذى والمكروه لأن جملة القول أن الله يجد الأشياء أى يوجب العلم بالأشياء والإحاطة بها . فان قال أفتقولون إن العبد فعل الكفر ؟ قيل له نعم .. ومعنى ذلك أنه كفر ، فان قال أفتقولون فعل خلق الله ؟ قيل له لا ، لأن ذلك توهم أنه خلقه . وقد يقال أفسد المطر طعام فلان والمطر تدبير الله ، ولا يقال تدبير الله يفسد ، ولا يقال إن الله تعالى قد أظهر فى الأرض الفساد . وفى ذلك يقول أحمد بن النظر :

قال فالله تعـــالى حده ... كوّن المنية خلقاً والقذر
وجميع القبح والله الذى ... خلق الخلق بالجمال والصور
قلت فالقرد قبيـح لونه ... وكذا الكلب ذو اللون الوضر
وهما لله خلق ولم نقل ... إن خلق الله فى الكلب قذر
ولهذا شاهد من غـيره ... حين قالوا افسد الزرع المطر
لم نقـل تدبيره أفسـده ... فافهم المعنى وجادل ببصر

مسألة : ويقال ما أقبح الكلب وأقبح جهنم ، ولا يقال ما أقبح تدبير الله تعالى ، فلو أن قائلا قال ما أحسن جهنم كان فى ذلك مخطئاً وهى من خلق الله ، ولو قال ما أحسن الخلق كان مصيباً ، وجهنم خلق فجاز التحسن لذكر الخلق ولم يجز لذكر جهنم .

مسألة : فان قال فهل يخلق الفعل من ثلاثة إما أن يكون للعبد دون الله أو لله دون العبد ، أو للعبد والله ، والله تعالى على الشركة ؟ قيل له نعم العقل قد خلا من هذه الثلاثة الوجوه ليس الفعل للعبد دون أن يكون خلقاً لله

ولم يكن خلقاً لله دون أن يكون اكتساباً من العبد ولم يشتركا فيه جميعاً لأنهما لم يخلقاه [٢١١] جميعاً ولم يكسباه وإنما كانت تكون الشركة أو خلقاه جميعاً أو اكتسباه جميعاً، وإنما اكتسبه العبد وخلقه الله بجعله بخلاف غيره من الأجسام والأفعال :

مسألة : فان قال متى خلق الله الفعل فى حال اكتسبه العبد أو قبل أن يكتسبه أو بعدما اكتسبه ؟ قيل له العين التى هى من كسبت هى التى خلقها الله تعالى كسباً على ما هى عليه . فقولك قبل أو بعد أو مع إشارة منك إلى معنى ليس هو الكسب ، ونحن لم نجعل الكسب الواحد الذى لا يتجزأ ولا ينقسم بالعدد أسماء بل نقول العين التى هى كسب للعبد هى المخلوق وهو الذى اخترعه الله تعالى فأنشأه على ما هو عليه من حسن ما حسنه أو قبح ما قبحه . فان قال أفيجوز أن يخلقه ولا يكسبه العبد أو يكسبه العبد ولا يخلقه الله ؟ قيل له لا يجوز أن يكسبه العبد ولم يخلقه الله تعالى ، لأن فى ذلك إيجاباً لفعل كان بعد أن لم يكن لم يكتسبه الله تعالى ومحال أن يكون محدث وقع وليس الله تعالى هو محدثه كما أنه يستحيل أن يكون محدث مملوك ومربوب فى العالم لا يملكه الله تعالى ولا يكون ربه :

سؤال : يقال لهم إن الله تعالى خالق كل شىء ، فان قالوا نعم .. قيل لهم فتعنون كل الأشياء أو بعضها ؟ فان قالوا كلها أقروا بخلق الأفاعيل ، وإن قالوا يعنى بعض الأشياء ، قيل لهم فهل وجدتم خلقاً من الأمة صغيراً أو كبيراً استثنى شيئاً دون شىء ، فى قول الله عز وجل :(خالق كل شىء)(١) ؛ ويقال لهم أتقولون :(إن الله على كل شىء قدير)(٢) ، فان قالوا نعم .. قيل لهم فيقدر على بعض الأشياء أو على كلها ، فان قالوا كلها ، قيل لهم فهو قادر على خلق الأفعال ، فان قالوا نعم تركوا قولهم .

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٠ .

فصل

ويقال لهم أخبرونا عن الإيمان من خلقه لا من شيء ؟ قيل لهم وكيف يمكن الإنسان يحدث الإيمان لا من شيء وهو لا يدرى كيف كان لا من شيء ولا يتصور ذلك فى وهمه مع أن إحداث الأشياء لا من شيء فى صفة الخالق سبحانه وتعالى ، قد وصفتم المخلوق بصفة الخالق سبحانه وتعالى علواً كبيراً !! ويقال لهم أرأيتم الحركة التى فى الشجر لم زعمتم [٢١٢] أنها مخلوقة ولم تزعموا فى حركة الإنسان وكل عرض ؟ فان قالوا لو كانت أفعالنا مخلوقة لما عذبنا الله تعالى عليها . قيل لهم فيلزمكم أن تقولوا إن الإيمان مخلوق ولأنه لا يعذب عليه ، والكفر غير مخلوق لأنه يعذب عليه وكلاهما فعلكم ، فتناقض قولكم . ويقال لهم هل يكون للعبد أن يتكلم بكلمة ليس عليه لله تعالى فى تلك الكلمة نعمة ، فمن قولكم لا يكون إلا بنعمة من الله عز وجل ، فيقال لهم أفبنعمة الله إلى عبده أزلية أو محدثة ، فيقال هل يجوز أن تكون نعمة الله ليس هى من خلق الله فلا بد من قولهم نعم وفيه انقطاعهم .

مسألة : جاء الأثر عن ربنا تبارك وتعالى قال : أنا الله الذى لا إله إلا أنا خلقت الخير وقدرته فطوبى لمن خلقته للخير وقدرته على يديه ، وأنا الله الذى لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدرته فويل لمن خلقته للشر وقدرته على يديه لأنى لا أسأل عما أفعل وهم يسألون .

مسألة : وسأل أهل الشك من القدرية عن حركات العباد التى زعموا أنها فعلهم ليس لله تعالى فيها صنع ، أكلها طاعة أم كلها معصية ؟ أم بعضها طاعة وبعضها معصية ؟ وما من الحركات طاعة وما هو منها معصية ؟ فان قالوا الشرك بالله والقتل والزنا وأشباه ذلك من المعصية ، والطاعة الإيمان بالله والصلاة والصيام وأشباه ذلك ، فقل لهم أخبرونا عن الكفر أكان قبل الحركات التى هى الكفر ؟ فقل متى سميت الحركات التى هى كفر أبعد ما كانت حركات أم قبل أم فى حال ما كانت الحركات التى زعمتم أنها كفر ؟ لأنكم إنما فعلتم فعلا لم تكونوا نهيتم عن المعاصى فعلا ، وفعلتم من الأمر فعلا لم تكونوا

أمرتم به، لأنكم زعمتم أن الحركات التي هي كفر إنما كانت من العباد صنعاً ليس لله تعالى فيها صنع. فأين موضع النهي الذي نهاكم الله تعالى عنه؟ أقبل فعلكم أم بعده؟ فان قالوا كان نهى الله قبل فعل فعما نهاكم؟ عن الكفر نهاكم أم عما ليس بكفر حتى كان منكم الكفر، فان قالوا نهانا عما لم يكن كفراً حتى كان كفراً، فقد زعموا أنهم في حال ما علموا لم يكونوا بمنهيين، وإن قالوا بل كان الأمر من الله [٢١٣] والنهي قبل أفعال العباد، فقل لهم أخبرونا عن الذي عنه شرعته أم خير أم لا خير ولا شر، وعن الأمر أخير هو أم شر أم لا خير ولا شر؟ فان قالوا بل الأمر خير أمرنا به، والنهي شر نهانا عنه. فقل من فعل هذا الخير والشر؟ وكلاهما قبل أفاعيل العباد فهنالك تنقطع حجتهم.

سؤال: ويقال لهم أخبرونا عن الحركات التي ذكرتم أنه ليس لله تعالى فيها صنع ما هي؟ فان قالوا منها الزنا، فقل لهم وكيف الزنا؟ فان قالوا هي الحركات التي تكون بين الذكر والأنثى. فقل هل تكون حركة ليس من المعاصي بلا سبب من الله مخلوق؟ فان قالوا نعم، فقل فأرونا ذلك ولن يجدوا أيضاً إلا بصنيع من الله تكون الحركة حتى تسمى حركة، فان قالوا لا يجوز حركة إلا بصنع من الله تعالى، فقل أفليس من المحال أن تدعوا فعل ما لا يكون فعله إلا بفعله؟ فان قالوا فعل الله غير فعل العباد، فقل ففعل الله الأجسام وفعل العباد الحركات التي ليست بأجسام؟ وقل لهم وهل تكون حركات من العباد يفعلوها خارجة من صنع الله؟ فان قالوا نعم، فقل فأرونا ذلك وأوجدوه فلن يستطيعوا ذلك، فان قالوا لا فقد رجعوا إلى قولنا وهو قول المسلمين أهل الاستقامة في الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل

عن الحسن فى قوله تعالى: (وجعل الظلمات والنور)(١) ، قال : خلق الكفر والإيمان ، وعن مجاهد فى قوله تعالى : (ومن كل شىء خلقنا زوجين)(٢) قال الكفر والإيمان، والخير والشر، والهدى والضلال. قال حذيفة رضى الله عنه إن الله صنع كل صانع وصنيعه ، والدليل من السنة على خلق الأفعال قول النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى على جنازة رجل من الأنصار فقال اللهم نقه من الذنوب والخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس . والعباد هم الذين يعنفون ويطلقون ويغسلون وينقون فأضاف ذلك إلى الله عز وجل لأنه الخالق لأفعال الخلق . وعنه صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله فقال إنى كنت صائماً فأكلت وشربت [٢١٤] فقال صلى الله عليه وسلم إن الله أطعمك وأسقاك !! فالطاعم والشارب هو العبد والطعم والشرب فعله فأضافه إلى الله تعالى اذ كان خالقه جل وعلا .

مسألة : إن سأل سائل فقال هل يخلو العبد من نعمة وبلية ؟ قيل له لا يخلو من ذلك فالنعمة يجب عليه شكرها وكذلك قال الله تعالى: (وسيجزى الله الشاكرين)(٣) ، والبلايا منها (ما)(٤) يجب الصبر عليه كالمصائب والأمراض فى الأموال والأولاد وما أشبه ذلك ، ومنها ما لا يجب الصبر عليه كالكفر وسائر المعاصى ، وليس بين الإيمان والكفر منزلة ثالثة ولا بين الطاعة والمعصية منزلة ثالثة، ولا بين الجنة والنار منزلة ثالثة ، وكل فعل أو قول فلا يخلو من طاعة أو معصية . وعن ابن عباس قال : بينما حمار يسوق حماراً إذ تكلم بكلمة قال صاحب اليمين والله ما هذه حسنة فأكتبها حسنة ، وقال صاحب الشمال والله ما هذه سيئة فأكتبها، فنودى من السماء ما تركه صاحب اليمين فاكتبه . وفى خبر عنه بينما رجل يسوق جملا إذ زاغ عن الطريق فقال له

---

(١) سورة الأنعام : آية ١ .

(٢) سورة الذاريات : آية ٤٩ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٤٤ .

(٤) ما : زيادة من عندنا .

حل " فقال صاحب اليمين : الخير وحل !! زجر الإبل وخر زجراً للحمار !! وقيل فى قوله تعالى : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)(١)، يكتب الأشياء كلها ؛ وقال الحسن حتى أنه ليكتب قول الرجل يا جارية ضعى الإناء ، ويا جارية اصنعى لى ضوءاً ، ويا جارية ناولينى نعلى وناولينى ردائى ، ويقال حتى صفير الرجل لدابته لتشرب ، وحتى إن هذا أسود وهذا أبيض ، وبلغنا أن الملكين عليهما السلام أفرح بمحاسن العبد إذا تكلم وعمل العبد بمحاسنه ، وإنما أشد حزناً بمساوئه منه بمساوئ نفسه ، يقولان اللهم فقهه وسدده حتى يملى علينا خيراً !! ويقال ما خطا عبد خطوة قط إلا كتب له حسنة أو سيئة ؛

---

(١) سورة ق : آية ١٨ .

الباب السابع والثلاثون

(فى إعادة الخلق)

الدليل على إعادة الخلق قوله عز وجل: (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)(1) ، وقوله تعالى: (هو الذى أحياكم ثم يميتكم |٢١٥| ثم يحييكم) (2) ، وقوله عز وجل: (فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة)(3) ،وقوله تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده)(4) ، ومثله فى القرآن كثير .

مسألة : ومن كان مؤمناً بالجملة وهو شاك بالبعث لم يجز له ذلك وعليه أن يعلم ويعتقده ، فان أقر بالجملة ولم يسمع ذلك من أحد ولا قامت عليه الحجة من كتاب الله تعالى ولا من خاطر قلبه ففى ذلك اختلاف . وإذا تليت عليه الآية أو سمعها وهو قوله عز وجل: (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون)(5) . فقد قامت عليه الحجة وعليه أن يعلم ذلك فان شك كفر ، وإن خطر بقلبه ذلك ولم يعلمه كفر ،وعليه أن يؤمن به إذا سمع بذكره أو خطر بقلبه أو قرئ عليه القرآن ويتوب من شكه فيه والله أعلم .

---

(١) سورة يس : آية ٧٩ .

(٢) سورة الحج : آية ٦٦ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٥١ .

(٤) سورة الروم : آية ٢٧ .

(٥) سورة الأنعام : آية ٣٨ .

الباب الثامن والثلاثون

(فى الاستطاعة)

الاستطاعة فى اللغة هى القدرة على الشىء وقد يسمى بها أشياء تؤول إلى القدرة ، قال الله تعالى :(فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً)(١) يعنى الصوم من لم يقدر عليه أطعم وزال عنه فرض الصوم لزوال اسم الاستطاعة وهى الصحة فوجود المال يوجب استطاعة الإطعام، قال الله عز وجل :(ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات)(٢) يعنى سعة فى المال ، وقال الله عز وجل :(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)(٣) ، فالاستطاعة أسماء بمعان والأصل فيها القدرة ، قال الراعى :

ثبتت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا

وقال قيس بن دريج :

وأصبحت الغداة ألوم نفسى على شىء وليس بمستطاع

أى ليس بمقدور ،والقدرة فى الإنسان هى عرض فى الجسم وليس القدرة جسماً فى الجسم، والعرض لايقوم بنفسه ولا يثبت وقتين ، والقوة لا خلاف بأنها صفة وعرض لا تقوم بنفسها أيضاً ولا يثبت وقتين . |٢١٦| وحقيقة الكسب كل فعل وقع باستطاعة محدثة مع الفعل فأما من فعل بقدرة قديمة هو غير مكتسب .

مسألة : والدليل على أن الاستطاعة مع الفعل أن من لم يخلق الله له استطاعة

---

(١) سورة المجادلة : آية ٤ .

(٢) سورة النساء : آية ٢٥ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٩٧ .

لم يحب أن يكسب شيئاً ، فلما استحال أن يكتسب الفعل إذ لم يكن استطاعة صح أن الكسب إنما يوجد بوجودها ، وفى ذلك إثبات وجودها مع الفعل . فان قال قائل أليس فى عدم الجارحة عدم الفعل ؟ قيل له فى عدم الجارحة عدم الاكتساب لأنها إذا عدمت القدرة فبعدمها استحالة بكسب الاكتساب لعدم القدرة ولا لعدم الجارحة إذا وجدت وجد الاكتساب ، فلما كانت توجد ويقارنها العجز وتعدم القدرة فلا يكون كسب ،علم أن الاكتساب إنما يعدم لعدم الاستطاعة لا لعدم الجارحة . وقال تعالى: (ما كانوا يستطيعون السمع)(١) وقد أمروا أن يسمعوا الحق وكلفوه فدل ذلك على جواز التكليف وإن لم يقبل الحق ويسمعه على طريق القبول لم يكن له مستطيعاً .

فصل

الله عز وجل خلق الإنسان خلقة لايستطيع أن يمنع منها ،خلقه غير ممتنع من حركة أو سكون ولا يخلو من أحدهما أبداً حتى يموت ، فالمتحرك لايكون ساكناً والساكن لا يكون متحركاً وهذا مما لا يكون ، ولا يخلو العبد أن يكون متحركاً أو ساكناً بخير أو شر . فاذا كان الخير فلا سبيل له إلى الشر لشغله بفعل الخير وإذا كان فى الشر فلا سبيل له إلى الخير لشغله بفعل الشر . ولسنا نقول إنه لا سبيل له إلى الخير والشر على جهة الخير وإنما نقول إنه لا يستطيع إلا فعل ما هو فيه لأنه لم يخلق خلقه يستطيع أن يكون فاعلا تاركاً ، ولا طائعاً عاصياً ،ولا قاعداً قائماً ،ولا قابضاً باسطاً ،ولا آخذاً تاركاً فى حالة واحدة ،وهذا لا يصح وإنما خلق يستطيع أن يكون قائماً فى حال قيامه أو قاعداً فى حال قعوده ،لا يستطيع أن يكون قائماً قاعداً معاً ، كذلك خلقه الله عز وجل فهو يفعله فى إحدى الأمرين [٢١٧] غير مستطيع الآخر لأنه مشغول بأحدهما عن الآخر . وزعم أهل القدر أن الله خلقهم متحركين غير ساكنين وقالوا إن كل أمورهم حركة لا سكون فيها ، ولو كان ذلك كذلك لم ينه عباده عن شيء من الحرام ولا عن ركوبه ويأمر بأداء حدوده ؛ ولم يكن يقل للمؤمنين

---

(١) سورة هود : آية ٢٠ .

غضوا من أبصاركم واحفظوا فروجكم ، فليس الغض ترك البصر وسكوناً عنه وتشاغلا بغيره ، وليس النظر ترك الغض وسكوناً عن الغض ، ولو كان كل متحركاً بشيء ليس بساكن عن غيره لكان العباد لا يوصفون بترك شيء أبداً إلا بأخذه. وليس أحد يستطيع حركة وسكوناً فى حال واحد ، ولا يستطيع أحد فعل ما لم يفعل ، ولا تقديم استطاعة لشيء لم يفعله. وكيف يكون كذلك وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً يزعم أن فيه استطاعية لفعله قبل أن يفعله إلا فى حال ما يفعله وكذلك قولنا . وزعم أهل القدر أن العبد فيه استطاعة ما لم يفعل غيره لأنه لا يكون فاعلا لما يريد فعله إلا فى حال فعله له . فيقال له : ما معنى ادعائكم تقديم الاستطاعة إن كنتم لا تستطيعون فعل ما تفعلون إلا فى حال ما تفعلون ؟ ثم يقال لهم أليس هكذا أراد الله تعالى من تركيبه فيكم إن كنتم لا تستطيعون فعل ما تفعلون إلا فى حال فعلكم له فلا يستطيعون فعل ذلك ؟ فاذا زعموا ذلك فقد [زعموا أن] الله تعالى حال بين العباد وأن يفعلوا فعلا إلا فى حال فعلهم له ، وفى ذلك إبطال تقديم الاستطاعة التى تدعيها القدرية وتركهم لقولهم والله الموفق للصواب .

سؤال : ويقال لهم أخبرونا عن الذى لم يبصر بعينه ولا يسمع بأذنه ولا يتكلم منذ خلق ثم أبصر من بعد ثم سمع وتكلم ، متى كانت الاستطاعة للبصر والسمع والكلام ؟ أقبل أن يبصر ويسمع ويتكلم ؟ أكان يستطيع ذلك فى حال فعله أو من بعد فعله [؟] فان قالوا [قد كان فيه] [استطاعة] البصر والسمع والكلام ، فقل أو كان فى تلك الحال [التى كان] فيها لا يبصر ولا يسمع ولا يتكلم بصيراً سميعاً متكلماً وهو لا يبصر ولا يسمع ولا يتكلم [٢١٨] أليس قد تعلمون أنه من كان من الخلق سميعاً ، قيل له لا يمتنع من أن يسمع ، وكذلك من كان بصيراً أفترون أنه قد سد أذنيه وغمض عينيه ، فان قالوا بل إنما يبصر عند فتح عينيه فقد تركوا كلامهم الذى يحتجون به من تقديم الاستطاعة . وإن قالوا كانت فيه استطاعة السمع والبصر والكلام قبل أن يبصر ويسمع ويتكلم فقد زعموا أنه لم يكن بأعمى ولا أصم ولا أبكم ، وإنما سألناهم عمن لم يبصر ولم يسمع ولم يتكلم .

سؤال آخر : ويقال لهم أخبرونا هل يجوز لعبد أن يكون لا مؤمناً ولا كافراً ؟ فان قالوا بلى قد يجوز ذلك . فقل لهم فاذا لم يكن مؤمناً فما يكون أكافراً أم غير ذلك ؟ فان قالوا إذا لم يكن مؤمناً فانه لا يكون كافراً فقد زعموا أن الناس قبل أن يدخلوا فى الإسلام لم يكونوا كفاراً . فان قالوا إذا لم يكن مؤمناً فما يكون أكافراً أم غير ذلك ؟ فان قالوا إذا لم يكن مؤمناً فانه يكون كافراً فقد صدقوا فى ذلك . فقل لهم عند ذلك هل يستطيع العبد أن يكون كافراً لا يكون مؤمناً ؟ وإذا لم يكن مؤمناً ألا يكون كافراً ؟.. فان قالوا ذلك فقد تركوا قولهم ذلك. ويقال لهم أخبرونا عن الأعمى الذى لم يكن يبصر ثم أبصر متى كانت استطاعة البصر فيه؟ فى حال العمى أم فى حال ما أبصر أم من بعد ؟ فان قالوا قبل أن يبصر فقد زعموا أن استطاعة البصر كانت فيه وهو أعمى . فان قالوا مع البصر فقد تركوا قولهم ، وقالوا بقولنا إن الاستطاعة مع الفعل ، وإن قالوا من بعد الفعل فقد تركوا قولهم وقولنا ودخلوا فيما لم نقل نحن ولا هم وقالوا بقول من قال إن الاستطاعة بعد الفعل .

سؤال : يقال لهم أخبرونا عن الاستطاعة ما هى؟ فان قالوا هى السلامة فى البدن ، فقل أفلستم تزعمون أن الإنسان فيه استطاعة ما لم يفعل ؟ فان قالوا نعم ، فقل إذا كانت السلامة استطاعة إذا كانت فى البدن ؟ هل غابت عن البدن إذا ٢١٩ كان قائماً غير قاعد؟ ما باله إذا كانت السلامة معه حيث ما ذهب ، يستطيع بها أحياناً وحيناً لا يستطيع ، والاستطاعة موجودة فى كل وقت لا تفقد ولا تعدم . وإن قالوا الاستطاعة غير السلامة فى البدن ، فقل أخبرونا ما هى ؟ فان قالوا إنها لا توصف ولا توجد ، فقل وكيف تعرف أن الإنسان مستطيع إذا كانت الاستطاعة لسبب السلامة فى البدن ولا قوة لإنسان ، والقوة والسلامة هما شىء واحد فما هى؟ فان قالوا إنها ليست بموصوفة ولا محدودة وإنما يعرف الإنسان أنه مستطيع إذا فعل . فقل أفقبل الفعل أم بعد الفعل ؟ فان قالوا بعد ما يفعل . فقل هو الذى اردنا منكم تبيانه فبينوا كيف يعرف ؟ وإن قالوا بعدما يفعل فقد زعموا أن الاستطاعة بعد الفعل تعرف وليس يوصف حد باستطاعة إلا بعد ذلك خلافاً لقولهم وقولنا . وإن قالوا يعرف

فى حال فعله، وذلك قولنا ، وهو خلاف لقولهم إن العباد يستطيعون قبل أن يفعلوا .

سؤال : فان أخبرونا عن قول الله عز وجل :(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)(١) ما هذه الاستطاعة؟ يقال لهم إنهذه الاستطاعة ليست الاستطاعة التى تدعون أنها فيكم متقدمة ،ولو كانت تلك لكان ما كانت تلك فيه فى زعمكم كان عليه الحج ، ولكن الاستطاعة هاهنا المال . وكذلك جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الزاد والراحلة » ، فان قال قائل منهم كيف جاز لكم أن تفسروا القرآن فى حجتكم ورأيكم وتردون رأى غيركم فيه بالتفسير ؟ قيل لهم ليس إذا اختلفنا نحن وأنتم كان علينا أن نرجع إلى المجتمع عليه ،فعلينا أن نلزم محكم الكتاب وندع متشابهه فنحن نرى بتفسيرنا وتفسيركم ونرجع إلى محكم الكتاب المجتمع عليه ، أليس قال الله فى كتابه : (خالق كل شىء)(٢) ، فان قلتم وكذلك وأتيت من كل شىء ، فان قال فيما ليس ما اختلفنا نحن وأنتم كان كالذى اجتمعنا نحن وأنتم فيه ،لأن قول الله تعالى :(وأتيت من كل شىء)(٣) نحن وأنتم فيه إنها لم تؤت من السماء شيئاً ولا من طعام الجنة شيئاً ولا من أحدهما [٢٢٠] شيئاً ولا من أشياء كثيرة . وأما قوله عز وجل خالق كل شىء ،فلم نجتمع نحن وأنتم عليه لأنكم تقولون فيه بغير ما نقول نحن ، نقول خالق كل شىء والمعاصى فيما خلق ،وأنتم تستثنون المعاصى وتقولون العباد خلقوها ،وقال تعالى فى الهدى والضلال :(يضل من يشاء ويهدى من يشاء)(٤) فما نسخ هذه عندكم؟قال :(رب بما أغويتنى)(٥) ،

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩٧ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٢ .
(٣) سورة النمل : آية ٢٣ .
(٤) سورة النحل : آية ٩٣ .
(٥) سورة الحجر : آية ٣٩ .

وقال أهل الجنة : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)(١) وقال أهل النار : (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين)(٢) ، فما نسخ هذا؟ وأمثال هذا فى القرآن كثير نسأل الله التوفيق إلى أعدل الطريق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) سورة الأعراف : آية ٤٣ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ١٠٦

الباب التاسع والثلاثون

فى الرد على من يقول بخلق القرآن من القدرية والمعتزلة
من كتاب الأكلة وحقائق الأدلة

قالت المعتزلة والقدرية أن كلام الله مخلوق وأن كلام الله ليس بقديم وأنه لا يوصف بقدم الكلام وسنشرح فى كتابنا هذا ما يزول به الشبه والالتباس ويتجلى الغطاء لمن وقف من الناس، ونبين لأهل الزيغ والاعوجاج قصد السبيل والمنهاج، ويحتج عليهم إن شاء الله بما تبين به من الحق الواضح والمنهج اللائح بتوفيق الله وعزته وقوته ومنه. نقول وبالله التوفيق إن كلام الله تعالى قديم لأنه قد ثبت أنه متكلم كما ثبت أنه عالم وأن من صفته الكلام وهى صفة ذات ، وصفاته لم يزل موصوفاً بها فوجب أن يكون متكلماً وأن له كلاماً. والحقائق لا تختلف شاهداً أو غائباً كما وصفناه فى إثبات مسألة العلم، فوجب أنه يتكلم ، والدليل على أن كلامه أزلى قديم قوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)(١) ، فبين أن قوله (كن) يتعلق بخلق ما يخلقه، فلو كان قوله مخلوقاً ، لاقتضى أن يكون له قول آخر فيه يقول كن فيكون . ثم الكلام فى ذلك القول مثل |٢٢١| الكلام فى هذا القول، ثم كان لا يقتضى على كل قول قولاً لا آخره بقوله له كن فيكون، وقد كان يتسلسل إلى ما لا نهاية له وذلك ما لا يصح به وجود قول وفى هذا أدل دليل على صحة ما قلناه من قدم الكلام ووصف البارى ، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً !!

مسألة : فإن قال قائل ما الدليل على أن من قولكم قدم كلامه ، قلنا الدليل من الكتاب قوله تعالى : (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام

---

(١) سورة يس : آية ٨٢ .

والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)(١)، أى أنه لو صار جميع ما فى البحار مداداً ، وجميع نبت الأرض من الأشجار أو غيرها أقلاماً ، وجميع الحيوانات كتبة ، وجميع الجمادات قراطيس ، ثم امتدت أيامهم وطالت مدتهم حتى كتبوا بتلك الأقلام وتلك البحار التى صارت مداداً على تلك القراطيس كلام الله تعالى لفنيت جميع المخلوقات ولم يفن(٢) كلام الله تعالى. فقد بين سبحانه وتعالى أن جميع المخلوقات تفنى وكلامه لا يفنى . علمنا أنه لا يفنى لأنه قديم وتفنى المخلوقات بالإضافة إليه لأنها محدثة مخلوقة . ودليل ثان(٣) على صحة ما قلناه من الكتاب قوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد ، وقبل وبعد إذا لم يقيدا بشىء، يقتضى الأزل ، وإذا قيدا بشىء فقيل قبل كذا وبعد كذا كان ذلك لما قيد له . فأما إذا قيل قبل مطلقاً ، وبعد مطلقاً كان المراد به الأزل والأبد والله سبحانه وتعالى أطلق القول فيه، فقال لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويقتضى أن يكون الأمر له أزلياً ولا يزال وما يوجد أزلا ولا يزال فهو قديم ،وأنه قبل الأشياء كلها وبعد الأشياء كلها كما قال سبحانه وتعالى ،وما كان قبل الأشياء وبعدها فلا يكون محدثاً لأن المحدث ما كان له أول فى الابتداء وآخر فى الانتهاء . والدليل الثالث من السنة ما روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم [٢٢٢] أنه قال : «فضل كلام الله على كلام المخلوقين كفضل الله على الخلق » . ووجه الاستدلال من الخبر أنا نقول ان النبى صلى الله عليه وسلم جمع بين كلام الله وذاته فى إثبات الفضل لهما والتسوية فى الفضل بينهما يوجب أن يكون ذلك كذلك بمعنى يجمعها ولا معنى يجمعها إلا القدم ، فوجب أن يكون فضل كلامه على كلام الخلق كفضله على الخلق فى معنى أن كلامه قديم كما أن ذاته قديم والله أعلم . والدليل الرابع من الإجماع ما قد ثبت ورفع أن على بن أبى طالب لما حكم الحكمين وجرى منهما ما جرى من خلعه على يد من حكمه ، قال : « أنا ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن » . وكان هذا الحديث بمشهد الفريقين جميعاً فلم ينكر

---

(١) سورة لقمان : آية ٢٧ .

(٢) كتبت سهواً فى المخطوطة « يفنى » .

(٣) كتبت فى المخطوطة سهواً « ثانى » .

عليه أحد، فصح أنه ماحكم مخلوقاً وإنما حكم القرآن. فقد صح عن الكتاب والسنة والإجماع سنة . والدليل الخامس من العقل يقول إن شرط الكلام قيامه بالمتكلم به فإذا صح ذلك وجب أن يكون البارىء سبحانه وتعالى محلا للحوادث ، ولا يجوز أن يكون الكلام الذى هو من شرطه قيامه به حادثاً ولا مخلوقاً، فبان استحالة القول بحدوث كلامه وقوله . والدليل السادس على صحة ما قلناه أيضاً أنا نقول إن كلام البارى سبحانه لا يخلو من أن يكون من هذه الأقسام فإن كان جسماً وجب أن يكون سائر الأجسام كلام الله سبحانه وتعالى إما أن يكون قديماً أو محدثاً مخلوقاً ، ولا يخلو إما أن يكون جسماً أو عرضاً أو جوهراً لأن الحوادث لا تخلو من أن تكون من هذه الأقسام، فأنت جسم وجب أن يكون سائر الأجسام كلام الله سبحانه وتعالى ، لأن الأجسام جنس واحد يجوز على كل واحد منها جميع ما جاز على الآخر : وهذا يوجب أن يكون سائر الأجسام كلها كلام الله تعالى لأنه خالق الأجسام كلها بلا اختلاف فى ذلك من جميع الأمة :

الباب الأربعون

(في نفي حدث القرآن)

وهذا لا يقول به أحد وهو محال فاستحال أن |٢٢٣| يكون في الحقيقة : فإن قال أحد وكذلك السماء والأرض لم ينطقا في الحقيقة على زعمكم ، قيل له أن الجماد قد يحل فيه الكلام والصوت ويوجد فيه كنحو كلام الذراع وقولها للنبي صلى الله عليه وسلم : «لا تأكلني فإني مسمومة». فإن قالوا الذراع ما تكلمت وإنما تبين فيه الدلائل على أنه مسموم ، قيل له هذا غلط ، وقد اجتمعت الأمة أنها تكلمت وهو من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر هذا أحد فيما علمنا وبالله التوفيق .

مسألة : فإن قال قائل فما الدليل على أن الله خلق الأشياء بقوله وأخرج قوله من الأشياء المخلوقة وبين أنه غيرها ؟

الجواب : قيل ان الله سبحانه وتعالى ذكر جميع الأشياء المخلوقة في آيات كثيرة من كتابه فأخبر عن خلقها بقوله وكلامه ، وان كلامه وقوله غيرها وخارج عنها . منها قوله عز وجل : (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق(١) ، وقال عز من قائل قال : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل)(٢) ، وقال عز وجل : (خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين)(٣) ، ثم قال (حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز

---

(١) سورة الأنعام : آية ٧٣ .

(٢) سورة الحجر : آية ٨٥ .

وكتب في المخطوطة سهواً « السماء » بدلا من « السموات » .

(٣) سورة العنكبوت : آية ٤٤ .

الحكيم . ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى)(١)
وقال سبحانه وتعالى: (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ؛
ما خلقناهما إلا بالحق)(٢) وقال عز وجل: (أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق
الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس
بلقاء ربهم لكافرون)(٣) ، وقال سبحانه (وخلق الله السموات والأرض
بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)(٤) . فقد أخبر
سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض وما بينهما ولم يدع شيئاً من الخلق
إلا ذكره وأخبر عن خلقه وأنه خلقه بالحق وإن الحق قوله وكلامه وأمره
الذى خلق به الخلق كله وأنه غير الخلق ، وخارج عن الحق [٢٢٤] فهذا نص
التنزيل بلا تفسير ولا تأويل ؛

مسألة : فإن عارض معارض وقال ان قوله تعالى أن يقول له ، يدل على
الإنسان للقول وكل مستأنف محدث . قلنا له المراد بذلك المصدر أى قولنا
يتعلق به ان كن ، وهو كما قال : (وأن تصوموا خير لكم)(٥) أى فالصيام
خير لكم فهو كذلك ، ثم يقول أليس قال: (فسيرى الله عملكم ورسوله)(٦)
وليس يقتضى أن يكون الاستئناف فى الرواية قديم وإنما الاستئناف فى البدل
الذى سيوجد وقد قال سبحانه وتعالى (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين)(٧)
وليس يقع الاستئناف فى وصف كونه عالماً جهاد المجاهدين ووصفهم . وكذلك
قوله تعالى ان يقول له كن ، ليس يقع الاستئناف فى القول ، وإنما يقع
الاستئناف فيما يخلق ويكون ، وهو سبحانه وتعالى أزلى أبدى . فإن قال قد جئت

---

(١) سورة الأحقاف : آيات ١ — ٣ .
(٢) سورة الدخان : آيات ٣٨ — ٣٩ .
(٣) سورة الروم : آية ٨ .
(٤) سورة الجاثية : آية ٢٢ .
(٥) سورة البقرة : آية ١٨٤ .
(٦) سورة التوبة : آية ١٠٥ .
(٧) سورة محمد : آية ٣١ .

بأشياء متباينات متفرقات فزعمت أن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وبأمره ، فقد ناقضت قولك .

الجواب : قيل له ما قلت ذلك إلا على صحة وبيان ، ولا خرجت من كتاب الله ولا أتيت ببهتان ولا أخبرت إلا بما أخبر الله به مما يوافق بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً ، كل ما ذكر الله تعالى أنه حق خلق به الأشياء فهو شيء واحد ، وإن كثرت أسماؤه فهو كلام الله ، وهو قول الله ، وهو أمر الله ، وهو الحق ، وهى أسماء شتى لشيء واحد ، كما سمى كلامه ، نوراً وهدى وشفاء ورحمة وقرآناً وفرقاناً . وإنما أجرى الله هذا على كلامه كما أجراه على نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد أحد فرد صمد سبحانه وتعالى ! !

فصل

الدليل على أن (١) القرآن هو كلام الله قوله عز وجل : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (٢) يعنى حتى يسمع القرآن لا خلاف بين أهل اللغة والعلم فى ذلك . وقال عز وجل : (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله . قل لن تتبعونا كذلكم قال [٢٢٥] الله من قبل) (٣) فسمى القرآن كلامه وسماه قوله وأخبر أن قوله كلامه بقوله عز وجل : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (كذلكم قال الله من قبل) (٤) . والدليل على أن القرآن أنه الحق ، قوله عز وجل : (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم) (٥) ، فهذا أخبر الله سبحانه وتعالى عن القرآن أنه الحق ، وقال عز وجل : (وكذب به قومك وهو الحق قل لست

---

(١) « أن » زيادة من عندنا .

(٢) سورة التوبة : آية ٦ .

(٣) سورة الفتح : آية ١٥ وكتبت الآية خطأ فى المخطوطة .

(٤) سورة الفتح : آية ١٥ .

(٥) سورة البقرة : آية ٩١ .

عليكم بوكيل)(١) فأخبر سبحانه أن القرآن هو الحق ، وقال عز من قائل : (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)(٢)، فهكذا أخبر الله سبحانه وتعالى عن القرآن أنه الحق وقال سبحانه عز وجل :(ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك فى مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)(٣) فهذا أخبر الله سبحانه وتعالى عن القرآن أنه الحق . وقال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه)(٤) وقال سبحانه : (المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)(٥) ، وقال عز وجل (الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك)(٦) ، وقال عز وجل :(وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق)(٧) ؛ وقال عز وجل (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين)(٨) وهذا وأمثاله فى القرآن كثير ، أخبر الله سبحانه أنه الحق فسماه باسم الحق ، ثم ذكر عز وجل أن القرآن قوله وأن قوله الحق ، فقال عز وجل :(ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)(٩) وقال عز وجل: (ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)(١٠)، وقال عز وجل : (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال

(١) سورة الأنعام : آية ٦٦ .
(٢) سورة يونس : آية ٩٤ .
(٣) سورة هود : آية ١٧ .
(٤) سورة يونس : آية ١٠٨ .
(٥) سورة الرعد : آية ١ .
(٦) سورة السجدة : آية ١ — ٣ .
(٧) سورة المائدة : آية ٨٣ .
(٨) سورة القصص : آية ٥٣ .
(٩) سورة الأحزاب : آية ٤ .
(١٠) سورة السجدة : آية ١٣ .

ربكم قالوا الحق)(١) ، فهذه أخبار الله تعالى أن الحق قوله وأن قوله الحق ، وأن الحق كلامه وأن كلامه الحق ، ومثله فى القرآن كثير . الدليل على أن الله سمى القرآن أمره قوله عز وجل: (حم. والكتاب المبين ، إنا أنزلناه فى ليلة مباركة |٢٢٦| إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين) (٢) يعنى بالأمر القرآن فأخبر سبحانه أن القرآن أمره وأن أمره القرآن . وقال عز وجل: (ذلك أمر الله أنزله إليكم)(٣) يعنى القرآن فهكذا(٤) أخبر الله أن القرآن أمره ، فهذه أسماء لشيء واحد وهو الشيء الذى خلق الله به الأشياء ، وهو غير الأشياء ، وهو خارج عن الأشياء ، وغير داخل فى الأشياء ، وهو كلامه ، وهو أمره وهو الحق ، وهو قوله فهذا بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير .

مسألة : فإن قال قائل فى قول الله عز وجل: (كن فيكون)(٥) إن القول فى قوله تعالى « فيكون » يقتضى التعقيب ، الدليل على ذلك قول القائل لا تسوءنى فأسوءك فلربما كانت الإساءة له بعد ذلك بزمان فصح أنها لا توجب التعقيب . وكذلك أيضاً لو أن رجلا قال إذا دخلت مكة فلأشترين مصحفاً أو كتاباً فربما أن يكون اشتراه بعد دخوله بمدة طويلة فوجب أن الفاء لا تقتضى التعقيب ، والذى يبين ما ذكرناه قوله عز وجل: (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له)(٦) أضعافاً كثيرة والقرض من العبد إنما هو فى دار الدنيا والضعف من الله للمقرض إنما هو فى الآخرة، فصح ما قلناه بدليل القرآن.وكذلك قوله تعالى: (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا)(٧)

---

(١) سورة سبأ : آية ٢٣ .
(٢) سورة الدخان : آيات ١–٥ .
(٣) سورة الطلاق : آية ٥ .
(٤) كتب فى المخطوطة « فهذا » .
(٥) سورة يس : آية ٨٢ . وفى آيات مختلفة من القرآن الكريم .
(٦) سورة الحديد : آية ١١ .
(٧) سورة الأعراف : آية ٤ .

فهذا دليل على أن الفاء لم توجب النعقيب لأن البأس قبل الهلاك .ودليل ثان(١) يدل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى: (كن فيكون) إنما هو رفع على الابتداء ولم ينصبه على إعراب الأمر وجواب الأمر لا ينصب إلا باضمار (أن) المفتوحة ولا تضمر (أن)إلا فى فعل ما لم يمض معناه ،ألا ترى أنك تقول ذهبت حتى أدخلها فى معنى دخلتها، فترفع دخلتها حين كان معناه ماضياً ولم يضم فكان المعنى هكذا . يرفع عن أبى حاتم السجستانى ووجدنا عن أبى عبيدة فى قوله (كن فيكون)رفع لأنه ليس هو عطفاً على الأول ولا فيه شريطة فيجازى به إنما أخبر الله تعالى أنه قال كن كان . واعلموا أن الفاء تكون على أربعة أضرب تكون متبعة عاطفة مثل قولك دخلت [٢٢٧] البصرة فالكوفة ، ومتبعة غير عاطفة وذلك يكون فى باب الشرط والجزاء ، وتكون زائدة كقولك زيد فمنطلق أى زيد منطلق والدليل على ذلك(ما)(٢) قال الشاعر :

وقائلة خولان فانكح فتـاتهم وأكرومة(٣) الحيين خلو(٤) كما هيا

أراد خولان فانكح فتاتهم . فعلى هذا يكون المعنى فى قوله(كن فيكون) أى كن فكان والله أعلم .

فصل

فى الرد على من يقول بخلق القرآن محتجاً ومستدلا بقوله: (إنا جعلناه قرآنا عربياً)(٥)

إن قال قائل فقد قال الله عز وجل إنا جعلناه قرآنا عربياً فقد أخبر أنه جعله وأخبر أنه جعل الظلمات والنور . والظلمات والنور مخلوقتان مجعولان فوجب أن يكون القرآن مخلوقاً إذكان مجعولا . الجواب يقال لهم ومن سألكم أن الظلمات والنور مخلوقة من أجل أنها مجعولة حتى تجعلوا هذا أصلا لكم :

---

(١) كتب فى المخطوطة « ثانى » .

(٢) « ما » : زيادة من عندنا .

(٣) أكرومة : مكان الكرم .

(٤) كتبت فى المخطوطة « خلق » .

(٥) سورة الزخرف : آية ٣ .

وما الفرق بينكم وبين من قال إن قال: (وجعل الظلمات والنور)(١) وهما مخلوقان ، كما قال سبحانه وتعالى: (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى)(٢) وجب أن تكون كلمة الذين كفروا مخلوقة لأنها مجعوله ووجب أن يكون الكفر مخلوقاً لأنه من الظلمات، وقد أخبر القرآن أن الظلمات مخلوقة وبين أن الكفر من الظلمات بقوله :(والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات)(٣) .

مسألة : فإن قالوا ، قال الله عز وجل :(وجعل الظلمات والنور)(٤) فأفرد الجعل ولم يقل وجعلها كيت وكيت وأخبر أنه جعل كلمة الذين كفروا السفلى جعلا متصلا فبطل أن يكون معنى الجعل هاهنا معنى الخلق ، قيل لهم ما الفرق بينكم وبين من عارضكم ففرق بين جعل القرآن وجعل تفرقكم بعينه فاحتج عليكم بقولكم، كما قال فى القرآن قرآناً عربياً فبطل أن يكون القرآن خلقاً إذ كان جعلا متصلا، كما بطل أن يكون جعل كلمة الذين كفروا السفلى خلقاً إذ كان جعلا متصلا، ووجب أن يكون جعل الظلمات ٢٢٨ والنور إذ كان جعلا متصلا .

مسألة : وقد احتج بعض شيوخ المعتزلة فقال إذا أخبر الله أنه جعل كلمة الذين كفروا السفلى ولم يكن جعله لذلك خلقاً إذ كانت الكلمة من فعل غيره، يقال له ما الفرق بينك وبين من قال إن ذكر الله سبحانه الجعل فى القرآن لا يوجب أن يكون خلقاً بدليل قول الله عز وجل (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً)(٥) فهل يجب أن يكون جعلهم له فعلا كما كان جعلتم لأعمالهم فعلا ؟ فإن قالوا لا .. قيل لهم فما أنكرتم أن يكون القرآن قديماً وأن يكون جعل الله ليس فعلا إذ كان القرآن لا يجوز أن يكون مفعولا كما زعمتم

---

(١) الأنعام : آية ١ .
(٢) سورة التوبة : آية ٤٠ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٥٧ .
(٤) سورة الأنعام: آية ١ .
(٥) سورة الزخرف : آية ١٩ .

أن جعل العباد لأعمالهم فعل لهم . ثم يقال لهم أخبرونا عن قول الله عز وجل: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)(١) . أتزعمون إذ قد زعمتم جعلتم الله عليكم كفيلا ، أى جعلتم الله عليكم كفيلا .. وكذلك قوله : (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) (٢) وتزعمون أن معنى ذلك ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم ، وكذلك قوله (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون)(٣) ، أتزعمون أن بنى آدم يخلقون لله البنات لا معنى لذلك غيره . وكذلك قوله: (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له)(٤) . أتزعمون أن معنى ذلك خلقوا ، لا معنى غيره . وقال عز وجل (وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض أم بظاهر من القول) (٥) ، أتزعمون أن الله سبحانه أخبر أنهم خلقوا له شركاء فلقد نفى هذا وأبطله . وكذلك قوله سبحانه وتعالى :(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً)(٦) اشهدوا خلقهم ؟ أتزعمون أن معنى قوله وجعلوا الملائكة ، وخلقوا الملائكة . لا معنى لذلك غيره؟ وكذلك قوله عز وجل: (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل ٢٢٩ الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً)(٧) ، أفتزعمون أن معنى تجعلونه تخلقونه ، أى اليهود يخلقون التوراة لا معنى لذلك غيره . وكذلك قوله عز وجل: (كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين) (٨)، أتزعمون أنهم خلقوا القرآن

---

(١) سورة النحل : آية ٩١ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٢٤ .

(٣) سورة النحل : آية ٥٧ .

(٤) سورة الأنعام : آية ١٠٠ .

(٥) سورة الرعد : آية ٣٣ .

(٦) سورة الزخرف : آية ١٩ .

(٧) سورة الأنعام : آية ٩١ .

(٨) سورة الحجر : آية ٩٠ — ٩١ .

عضين؟ لا معنى له غير ذلك . وكذلك قوله : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)(١) ، أفتزعمون أن معنى ذلك ما خلق الله؟ لا معنى لذلك غيره ، ومثله فى القرآن كثير . فإذا جاز لكم أن تتأولوا القرآن تأويلا ولا تجعلوا أن نفى الجعل نفى الخلق ، فلا فرق بينكم وبين من جعل إثبات الجعل قد يكون بمعنى الخلق ومعنى غير الخلق ، فقد دللنا على أن الجعل ليس معناه الخلق بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير .

ولقد أحسن أحمد بن النظر حيث يقول رداً عليهم فى الجعل ·

إن كان من أنا جعلناه فما ... فى الجعل إن أنصفت من تبيان

قد قال إبراهيم رب اجعل لنا ... بلداً بفضلك أفضل البلدان

وكذاك فاجعلنى مقيماً مخلصاً ... حق الصلاة لوجهك المنان

فانظر أكان وقد دعاه لجعله ... أم لم يكن خلقاً من الرحمن

فصل

إن سأل سائل فقال أوضح لى بيان الجعل وشرحه ومعانيه ؟ وما هو من الجعل مخلوق ؟ وما هو غير مخلوق ؟ . الجواب : قيل له ان الجعل فى كتاب الله عز وجل يحتمل معنيين عند العرب : معنى خلق ومعنى تصيير غير خلق ، فلما كان الخلق ليس من صنع العباد لم يتعبد الله العباد به فيقول لهم اخلقوا ولا تخلقوا إذا كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين ، وهو فعل الخالق سبحانه . وأما تصيير الذى لا على معنى الخلق خاطب الله به العباد بالأمر والنهى فقال اجعلوا أو لا تجعلوا ، والله سبحانه جعل على كل كلمة علماً ودليلا ، وفرق بين الجعل الذى يكون على معنى الخلق وبين الجعل الذى يكون على معنى التصيير الذى هو غير الخلق . فأما ٢٣٠ الجعل الذى يكون على معنى الخلق فان الله عز وجل جعله من القول المفصل وأنزل القرآن به مفصلا ، وهى الكلمة التى تكون قائمة بذاتها . فمن ذلك قول الله عز وجل :

---

(١) سورة المائدة : آية ١٠٣ .

(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور)(١) . فسواء عند العرب ، قال وجعل ، أو قال وخلق ، فانها قد علمت ما أراد به هذا الجعل الخلق فانه أنزله من القول المفصل . وقال : (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)(٢) فعقلت العرب عنه أن معناه خلق لكم بنين وحفدة أى قال قولا مفصلا . وقال : (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة)(٣) فعقلت العرب عنه أنه عنى بهذا الجعل الخلق وكان من القول المفصل سواء عندها قال جعل وخلق لأنها قد علمت ما أراد ، ومثل هذا فى القرآن كثير . وأما الجعل الذى على معنى التصيير الذى هو غير الخلق فان الله عز وجل أنزله من القول الموصل الذى لا يدرى المخاطب حتى يصل الكلمة بكلمة بعدها فيعلم ما أراد بها وإن تركها مفصلة لم يدر(٤) السامع ما يريد بها ولم يفهمها ، فمن ذلك قوله عز وجل : (يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض)(٥). فلو قال إنا جعلناك ولم يوصلها بما بعدها لم يعقل داوود عليه السلام ولا أحد ممن سمع هذا الخطاب ما أراد الله سبحانه ولا ما عنى بقوله ، فلما وصلها بخليفة فى الأرض عقلها داوود وكل من سمع هذا الخطاب علم ما أراد الله سبحانه وتعالى . وكذلك قوله لأم موسى عليه السلام : (أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)(٦) فلو لم يوصل وجاعلوه بالمرسلين ، لم تعقل أم موسى ما خاطها به فلما وصل الكلمة بالمرسلين عقلت أم موسى ما أراده . وكذلك قوله : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً)(٧) وقد كان الجبل قبل أن يتجلى مخلوق فوصل الجعل بدكاً ولو لم يوصله لم يعقل السامع ما أراد الله سبحانه وتعالى . وكذلك قوله : (ربنا واجعلنا

---

(١) سورة الأنعام : آية ١ .

(٢) سورة النحل : آية ٧٢ .

(٣) سوره النحل : آية ٧٨ .

(٤ كتبت فى المخطوطة سهواً « يدرى » .

(٥) سورة ص : آية ٢٦ .

(٦) سورة القصص : آية ٧ .

(٧) سورة الأعراف : آية ١٤٣ .

[٢٣١] مسلمين لك)(١) وقد كانا قبل دعوتهما مخلوقين ، فوصل « واجعلنا مسلمين » ، ولو لم يوصل لم يفهم معناه . وكذلك قول ابراهيم صلوات الله عليه (رب اجعل هذا البلدا آمناً)(٢) فوصل بآمنا ولو لم يوصله ما عقل أحد ممن سمع ذلك ما عنى بدعوته ، ومكة كانت مخلوقة قبل ذلك فلما وصل بآمناً عقل ذلك ما أراد إبراهيم صلوات الله عليه ومثل هذا كثير .

مسألة : فان عارض معارض فقال أنتم قد وصفتم قدر كتاب الله وسميتموه بأنقص اسم وحرفتموه عن مواضعه وسميتموه موصلا ومفصلا والله سبحانه سماه كتاباً عزيزاً ، وسماه كريماً وأخبر أنه تام كامل بقوله عز وجل : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء)(٣) والموصل عند العرب غير الكامل ؟ الجواب : قلنا له هذا من جهلك علينا وقلة معرفتك بما فى كتاب الله وسنة رسوله وما تناولته العرب فى أشعارها وعند فصحاء العرب كلام جيد صحيح مرتضى (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)(٤) فامتدحهم بصلة ما وصل ووعدهم على ذلك أحسن وعد وهى الجنة . وقد ذم الله سبحانه وتعالى الذين قطعوا ما أمر الله بصلته ولعنهم وجعلهم من الخاسرين ، فقال عز وجل : (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)(٥) يعنى النار ، أعاذنا الله منها ، ومما يقرب إليها إنه جواد كريم !! وقال عز وجل فى مواضع أخر : (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصول ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون)(٦) ، فهذا ذم من الله عز وجل لمن قطع

---

(١) سورة البقرة : آية ١٢٨ .
والآية تبين دعاء سيدنا إبراهيم وإسماعيل .
(٢) سورة البقرة : آية ١٢٦ .
(٣) سورة الأنعام : آية ٣٨ .
(٤) سورة الرعد : آية ٢١ .
(٥) سورة الرعد : آية ٢٥ .
(٦) سورة البقرة : آية ٢٧ ، فى المخطوطة نسى كتابة « فى الأرض » .

ما وصل الله وما أمر بصلته . ثم ذكر عز وجل ما فى القرآن من المفصل فقال عز وجل : (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)(١) . وقال عز من قائل : (حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً)(٢) ، وقال عز وجل : (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون)(٣) وقال : (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)(٤) ٢٣٢ فهذا قول الله سبحانه واخباره وتسميته لكتابه وكلامه جل الله وعلا عما يقول المفترون علواً كبيراً !

---

(١) سورة هود : آية ١ .

(٢) سورة فصلت : الآيات ١ — ٣ .

(٣) سورة الروم : آية ٢٨ .

(٤) سورة الأنعام : آية ٩٨ .

الباب الحادى والأربعون

فى الرد على من ادعى خلق القرآن واحتج بقول (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)

إن قال قائل لم القرآن محدث والمحدث مخلوق لقول الله عز وجل : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) (١). الجواب: يقال لهم لم زعمتم أن الله عنى بقوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث هو كلامه ؟ فان قالوا نعم ، قيل لهم وما برهانكم على صحة ما ذكرتموه وما الدليل على ما وصفتموه ؟ ثم يقال لهم حدثونا عن كلام الله عز اسمه أتزعمون أنه يأتى فى الحقيقة ، فان قالوا نعم .. قيل لهم وما الفرق بين أن يأتى فى الحقيقة وبين أن يجىء فى الحقيقة ، فاذا زعمتم أن كلام الله يأتى فى الحقيقة وهى صفة ، صارت الصفات تأتى فى الحقيقة بقوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ، فما أنكرتم أن يكون البارئ يأتى فى الحقيقة لعموم قوله: (فأتى الله بنيانهم من القواعد)(٢) ولعموم قوله:(وجاء ربك والملك صفاً صفاً)(٣) وهل من فرق فى الذى بيناه وهل من دليل لكم على غير ما وصفناه ؟ فان رجعوا عن قولهم إن كلام الله لا يأتى فى الحقيقة، وزعموا أنه يأتى من الله على جهة التوسع والمجاز ، قلنا لهم فاذا كان عز اسمه قد أخبر أن كلامه يأتى منه وهو لا يأتى فى الحقيقة وأن المعنى فى الحدوث هو قراءته وعبارة عنه ، فذكر القرآن وأراد تلاوته وعبارته وقراءته كما ذكر أنه يأتى وليس هو يأتى فى الحقيقة، مع أن الآية لا تدل على ما استدلوا به لأن قوله عز اسمه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) وإنما يكون لهم الحجة بذلك لو قال عز اسمه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢ .
(٢) سورة النحل : آية ٢٦ .
(٣) سورة الفجر : آية ٢٢ .

يلعبون)(١) ، وكلام الله الا كان محدثاً من الآية ، وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، وكلام [٢٣٣] الله سبحانه وتعالى لا يختلف وإنما يختلف ويتغاير قراءته، والإحداث هاهنا لتلاوته والحروف المكتوبة وهكذا نقول والله أعلم .

فصل

فى الرد على من ادعى خلق القرآن أو اعتل بقوله

(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)(٢) .

قالوا قد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه قد يأتى بمثل الآية التى نسخها بما هو خير منها وما أتى البارئ سبحانه بمثله أو خير منه فهو محدث مخلوق .

الجواب : قلنا لهم حرتم عن الصواب فأخطأتم عن طريق السنة والكتاب . أما علمتم أن النسخ على وجوه كثيرة وتنقسم المقالات فيه على نيف وثلاثين مقالة موجودة مفسرة وليس هذا موضع ذكره وتفسيره، غير أن الناسخ والمنسوخ إنما كان فى كتاب الله عز وجل من أجل ما أراد من الرفق لعباده والصلاح لهم . أنزل الله لهم شيئاً بعد شيء ولم ينزله جملة واحدة لأنه لو أنزله جملة واحدة لم يجز أن يكون فيه ناسخ ولا منسوخ إذ كان غير جائز أن يقول البارئ فى وقت واحد افعلوا ولا تفعلوا ذلك الشيء بعينه ، فأنزله الله تعالى شيئاً بعد شيء ليتم مراده فى تعبده ، خلقه بما شاء إلى وقت ثم ينقلهم من ذلك التقييد إلى غيره فى وقت آخر ويزيل عنهم ذلك التقييد بما أمرهم به لغيره عوض فى ذلك تخفيفاً عليهم ولما فيه من الصلاح لهم .فلو أنزل القرآن جملة واحدة لضعف العمل ولسبق الحوادث التى من أجلها نزل كثير من القرآن، لأنه غير جائز أن ينزل ربنا قرآناً قبل حادثة يخبر عنها بالحدث عنه ويحكم فيها وهى لم تقع ، فافهموا فانه أصل يدور عليه الناسخ والمنسوخ .

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٠٦ .

الباب الثاني والأربعون

فى الرد على من احتج فى خلق القرآن بالذهاب لقوله عز وجل
(ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك)(١)

قالوا هذا كلام له ظاهر يدل على أن الله لو شاء أن يذهب بالقرآن لكان على الذهاب به قادراً وما كان كذلك ، محدثاً مخلوقاً .

الجواب : يقال لهم لو زعمتم أن معنى قوله عز وجل : إن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ، يريد به إبطال كلامه وفناه دون أن يعنى بذلك أن يذهب بفهم عباده له عن قلوبهم فيكون ذهابه عدم إفهامه عبارة كلامه لا عدم كلامه الذى لم يزل متكلماً به ، الحجة فى ذلك قوله عز وجل : (إنما جزاء الذين يحاربون الله [٢٣٤] ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً)(٢) أو كذلك يؤذون الله ، وقوله : (فأتى الله بنيانهم من القواعد)(٣) ، وقال إبراهيم : (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين)(٤) . أفتزعمون أن البارئ فى موضع يذهب إليه إبراهيم فى الحقيقة ، وأن البارئ يحارب فى الحقيقة ويؤذى بوقوع الغم فى الحقيقة ويأتى البنيان لأنه يحل فيها؟فمن قولهم ليقال لهم فما أنكرتم من أن يكون معنى قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ، أنه لم يرد إذهاب كلامه الذى لم يزل متكلماً به وإنما أراد بالذهاب به أن يعدم الفهم من قلوب عباده فلا يكون به فهماً .

والدليل الثانى أن يقال لهم ما أنكرتم أن يكون معنى قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ، إنا إذا شئنا أذهبنا بكتابته من المصاحف وغيرها وبحفظه من الصدور وبتلاوته من الألسن فلا يكون عندكم متلواً ولا محفوظاً ولا مكتوباً فما أنكرتم من ذلك ، وأما الذى يرفع من كونه إذا أراد تعالى ذلك تعالى الله لا يعجزه شىء وعلا علو كبيراً ! !

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٦ .

(٢) سورة المائدة : آية ٣٣ .

(٣) سورة النحل : آية ٢٦ .

(٤) سورة الصافات : آية ٩٩ .

والدليل الثالث ويتأولون قول الله عز وجل : (نسوا الله فنسيهم)(١) ، فيقال لهم حدثونا عن النسيان أهو الترك أم هو السهو ، فان قالوا الترك وليس هو السهو ، قيل لهم فاذا احتملت الآية السهو واحتملت الترك وتأولتموها على الترك لقيام الدلالة على أنه سبحانه وتعالى لا يسهو فماالفرق بينكم وبين من تأول قوله : (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك)(٢) المعنى أنه أراد الذهاب بفهمه والعلم به ولم يرد الذهاب بكلامه وإعدامه . الدليل الرابع ويقال لهم حدثونا عن قول الله عز وجل : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً)(٣) أتزعمون أن هذا الكلام على ظاهره أنه لو شاء أن يؤمنوا طوعاً أو كرهاً لآمنوا؟فمن قولهم لا لأنهم يذهبون إلى أن البارئ قد شاء أن يؤمنوا طوعاً فلم يؤمنوا ، قيل لهم فاذا أزلتم الآية عن ظاهرها وخصصتموها بتأويل فاسد فما الفصل بينكم وبين من تأول قوله التأويل الصحيح : (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك)(٤) [٢٣٥] بذهاب حفظه وإفهامه بالدلالة التى قامت له على ذلك وبالله التوفيق .

فى الرد على من ادعى خلق القرآن بالتثبيت والتبديل والنقص ، واحتج

بقول الله عز وجل . (يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)(٥)

وكذلك يحتجون بقوله : (وإذا بدلنا آية مكان آية)(٦)

مسألة : عن ابن عباس أنه قال يمحوا الله ما يشاء من أحكام كتابه فينسخه ببدل أو غير بدل ويثبت ما يشاء فلا ينسخه ولا يحوله ثم قال وعنده أم الكتاب . قال ابن عباس عنده ما ينسخ ويبدل من الآى والأحكام ، وعنده ما لا ينسخ

---

(١) سورة التوبة : آية ٦٧ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٨٦ .

(٣) سورة يونس : آية ٩٩ .

(٤) سورة الإسراء : آية ٨٦ .

(٥) سورة الرعد : آية ٣٩ .

(٦) سورة النحل : آية ١٠١ .

ولا يبدل كل ذلك فى أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ هكذا وجدنا عنه وبالله التوفيق .

مسألة : فان قال قد قال الله عز وجل : (وإذا بدلنا آية مكان آية)(١) فهذا نص ظاهر فى جواز زوال حكم آية ووضع أخرى فى موضعها قلنا له هذا النسخ مأخوذ من قولهم نسخت الشمس الظل إذا أزالته وحلت محله ، وكذلك قولهم نسخت الريح الآثار إذا أزالتها فلاالريح بقيت ولا الآثار وجدت ، هكذا نقول وبالله التوفيق .

مسألة : فان اعتلوا بقول الله عز وجل فى حدث القرآن : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)(٢) ، فقالوا قد دل بذلك أنه عز وجل يقدر أن يأتى بمثله ولولا أن ذلك كذلك ما كان لتقريعهم بالعجز حجة عنـــه ولو أتى بمثله لكان ذلك إلا محدثاً لأنه كائن بعد أن لم يكن وإذا كان مثل القرآن محدثاً فالقرآن محدث لأن القرآن لا يكون إلا محدثاً .

الجواب : قيل فما أنكرت أن يكون قول الله عز وجل : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) ، دليل على نفى الحدث عنه ، وذلك أن قريشاً لما قالت إن هذا إلا قول البشر احتج الله عليهم فى نفى ذلك وإنكاره أن يكون محدثاً بهذه الآية وقرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله لأنه مما لا يجوز [٢٣٦] أن يكون محدثاً ، ولا يجوز أن يأتوا بمثله ، وهذا أدل دليل على أنه لا مثل له وأنه ليس بمحدث ولا مخلوق . ويقال لهم أليس قد قال الله عز وجل (لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)(٣) فيدل هذا على أنه جائز أن يجعل فيهما آلهه غيره . فان قال لا يجوز أن يكون فيهما آلهة إلا الله ، قيل له فما أنكرت أن يكون قوله : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا

---

(١) سورة النحل : آية ١٠١ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٨٨ .

(٣) سورة الأنبياء : آية ٢٢ .

بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)(١) دليلا على انه لا يجوز أن يؤتى بمثله ولا يجوز أن يكون له مثل .

الدليل الثانى يقال لهم حدثونا عن قول الله عز وجل يخبر عن المشركين أنهم يقولون : (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (٢) ورده عليهم بقوله أتنبئون الله بما لا يعلم ، أى أنكم لا تقدرون على ذلك ولاسبيل لكم ، أعندكم أن البارئ سبحانه وتعالى يوصف بالقدرة على أن ينبئ الخلق بما لا يعلم وأن يأتى بأمر لا يعلم كونه ، فان قالوا لا .. قيل لهم فما أنكرتم أن يكون اخبار الله عز وجل أنهم لا يأتون بمثله ولا يدل على أنهم يقدرون أن يأتوا بمثله وبالله التوفيق .

فصل : فى الرد على من ادعى خلق القرآن بقوله : (ادخلوها بسلام آمنين)(٣) وقوله عز وجل لإبليس اخرج منها فانك رجيم (٤) . وقوله لأهل الجنة (ادخلوها بسلام آمنين) ، وقوله لآدم : (اسكن أنت وزوجك الجنة)(٥) وقوله لآدم وحواء وإبليس اهبطوا بعضكم لبعض عدو (٦)ولا يخلوا أن يكون أمره بالصلاة أن يكون نهيه عن الزنا وغيره فان كان ذلك متغايراً وإذا وجب تغايره وجب أن البارئ غيره لأن ما يتغاير غير ما لا(٧) يتغاير لأن المتغاير

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٨ .

(٢) سورة يونس : آية ١٨ .

(٣) سورة الحجر : آية ٤٦ .

(٤) فى سورة ص : آية ٧٧ ، قال تعالى : (قال فاخرج منها إنك رجيم) .

(٥) سورة البقرة : آية ٣٥ .

(٦) قال تعالى : (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) . سورة طه : الآيات : ١٢٣ - ١٢٤ .

ونلاحظ أن كلام الله تعالى موجه هنا إلى آدم وحواء ، وليس لآدم وحواء وإبليس كما ذكر فى المخطوطة .

(٧) « لا » : زيادة من عندنا .

المتبعض قد لزمه سمت الحدث وما كان كذلك وجب حدثه وما أحدثه الخالق فمخلوق ، فان كان قوله أخرج منها ، أو قوله ادخلوها بسلام آمنين ، وقوله اسكن أنت وزوجك الجنة ، وقوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، وأمره بالصلاة هو نهيه عن الزنا ، وأنه لما قال لإبليس اخرج منها ، قال لآدم وأهل الجنة ادخلوها بسلام آمنين ، ولما قال لآدم اسكن [٢٣٧] أنت وزوجك الجنة قال لهما ولإبليس(١) اهبطوا منها . ولما نهى عن الزنا قد أمر بالصلاة ، ولما أمر بالصلاة إلى بيت المقدس أمر بالصلاة إلى الكعبة ، فلما لم يجز ذلك صح ما قلناه آنفاً أنه مخلوق لتغايره .

الجواب : يقال لهم ما أنكرتم من آن يكون الله عز وجل لم يقل لإبليس اخرج منها إلا وهو قائل لأهل الجنة : (ادخلوها بسلام)(٢) ومراده فى وقت دخولهم ، ولم يقل لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة إلا وهو قائل لهما ولإبليس اهبطوا فى الوقت الذى معلومى أنكم تهبطون فيه ، ولم يأمر بالصلاة فى الوقت الذى مراده أن يكون فيه معلومه أن يصلى مصلياً إلا وهو ناه عن الزنا أن يكون فى الوقت الذى يفهم فيه عباده أنه ليس لهم أن يزنوا ، وكذلك لم يأمر بالصلاة إلى البيت المقدس فى الوقت الذى ليس لهم تركها إلى بيت المقدس إلا وهو آمر بالصلاة إلى الكعبة فى الوقت الذى ليس لهم تركها إلى الكعبة فيه . وإن كان لم يفهمهم لزوم الأمر لهم بذلك إلا فى الوقت الذى ليس لهم ترك الصلاة إلى الكعبة فيه ، وأن يكون يأمرهم بالشىء الذى فى معلومه أن ينسخه الا وهو آمر لهم بذلك إلا فى الوقت الذى ليس لهم ترك وقت إفهامهم لزوم الناسخ لهم من غير أن يكون قوله متغايراً ولا متبعضاً ، فما أنكرتم من ذلك ومن أن يكون قوله الذى يفهم به لزوم المنسوخ تارة ولزوم الناسخ تارة ودخوله الجنة تارة والهبوط إلى الأرض تارة واحداً غير منقسم ولا متجزئ ولا متبعض وبالله التوفيق .

---

(١) كرر المؤلف أن الأمر بالهبوط كان لآدم وحواء وإبليس . والحق أن رفض إبليس السجود لآدم جاء فى أكثر من سورة . وفى سورة « ص » قال تعالى : (قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين . قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم) . الآيات ٧٧ — ٨١ .

(٢) سورة الحجر : آية ٤٦ .

الدليل على نقض ما اعتلوا . يقال لهم أليس القائل لإبليس اخرج منها فانك رجيم هو القائل لأهل الجنة ادخلوها بسلام آمنين ؟ فمن قولهم نعم .. وكذلك جوابهم فى سائر ما عددوه فى اعتلالهم ، ثم يقال لهم فهل يجب إذا كان القائل واحداً أن يكون آمراً لأهل الجنة بدخولها فى وقت ما أمر إبليس بالخروج منها وأن يكون أمر بالناسخ فى وقت ما أمر |٢٣٨| بالمنسوخ فان قالوا نعم نقضوا اعتلالهم ودخلوا فيما عابوا . وقيل لهم ما أنكرتم أن يكون القول واحداً ولا يجب أن يكون البارئ أمر بالناسخ فى وقت ما أمر بالمنسوخ وهذا هدم كلامهم ، ويقال لهم إن كنتم تسألون عن كلام الله المفهوم بالعبارة عنه ،

الجواب عنه : أنه لا يتغاير ولا يختلف ، والفهم الذى حدث لآدم عندما قال له اسكن أنت وزوجك الجنة غير الفهم الذى حدث لإبليس عندما قال الله له عز وجل اخرج منها فانك رجيم . وليس إذا تغايرت العبارات وما يحدث للمخاطبين من الفهم أن يكون كلام الله متغايراً كما أن البارئ سبحانه وتعالى لا يتغاير ذكره بما أنزل على عباده الذكر بلسان العبرانى وأنزله بلسان السريانى ولسان العربى ، ولا أن يكون البارئ عز وجل متغايراً ولا مختلفاً باختلاف الذكرى وتغايرها من لسان إلى لسان سبحانه وتعالى عما يصفون ، وتعالى علواً كبيراً !!

الباب الثالث والأربعون

(فى بيان القول للبارئ أنه لم يزل قديماً وصفاته ولم يزل إلهاً)

إن قال قائل أتزعمون أن البارئ لم يزل قديماً بكلامه وصفاته الذى استحقها لنفسه ، قيل له كذلك نقول كما نقول إن النبى صلى الله عليه وسلم محدث بصفاته وأنه محدث وصفاته محدثه .

مسألة : فان قال أفتزعمون أنه لم يزل إلهاً بصفاته ، قيل له هذا كلام محتمل الإبهام فلا نطلقه حتى يتبين مرادنا فنقول إنه إن أردت أنه لم يزل إلهاً وأن صفاته آلهة فهذا لا يجوز ، لأنه لا إله إلا الله . فان عنيت بقولك أنه لم يزل إلهاً موصوفاً بصفاته فالمعنى صحيح ولا يجوز أن يطلق من اللفظ ما يوهم أن الصفات آلهة ، ولكنا نقول إنه لم يزل إلهاً موصوفاً بصفاته وأنه لم يزل واصفاً لنفسه بما يستحقه من الصفات ليزول الإبهام والإشكال والفرق بين إطلاقنا أنه لم يزل قديماً بصفاته ولم [٢٣٩] يزل إلهاً بصفاته جل وعلا علواً كبيراً !!

مسألة : فان قال قائل إذا زعمتم أن صفات البارئ عز وجل التى يستحقها لنفسه قديمة ولم يقولوا هى البارئ ولم يقولوا هى غيره ، فما أنكرتم أن يكون آلهة ؟

مسألة : قيل لهم ولو لزم هذا للزم إذا كان النبى صلى الله عليه وسلم محدثاً بصفاته وكانت صفاته محدثة وهى غيره ، أن يكون نبياً بصفاته ، وأن يكون محدثاً بصفاته وهى غيره نبياً ، فان لم يجب هذا إذا كان البارئ عز وجل قديماً بصفاته وبالله التوفيق .

فصل : فى نفى خلق القرآن من كتاب الضيـاء :

فان سأل سائل قال : أتقولون إن القرآن كلام الله وإنه قديم وهو صفة من صفاته ؟ قيل له إن كلام الله صفة من صفات ذاته وصفاته الذاتية لم يزل بها موصوفاً وعند أهل الاستقامة معروفاً ، والدليل على ذلك أنه لو جاز لقائل أن يقول إن الله لم يكن متكلماً لجاز لقائل أن يقول إنه سبحانه لم يكن عالماً ثم علم ولم يكن قادراً ثم قدر . فلما فسدت هذه المقالات وبطلت هذه العبارات صح أنه متكلم لأن من صفته الكلام ولما كان موصوفاً بالعلم كان موصوفاً بالكلام ولو لم يوصف بالكلام لوصف بضده من السكوت وكان ذلك السكوت لا يتعرى من وجوه، اما الطفولية أو خرس أو عجمة أو ما يمنع به الإفهام، فلما لم يجز أن يوصف بهذه الصفات وجب أن يكون متكلما وكلامه غير مخلوق .

ودليل آخر أنا مجمعون جميعاً بأنه حى والحياة من صفات ذاته فلوكان حياً بحياة محدثة مخلوقة كان كلامه محدثاً لأنه تبع بصفة الحياة فلما وقع الإجماع أنه حى بنفسه لا بحياة محدثة مخلوقة كان كلامه صفة له من صفات ذاته ولم يجز أن يكون محدثاً لكلام عباده ، والدليل على ذلك أنه لا يجوز وجود ذاته مع عدم صفات ذاته، كما أنه لا يجوز وجود صفاته مع عدم ذاته لأن ذاته وصفات ذاته أزلية قديمة [٢٤٠] لا يجوز عليها العدم .

ودليل ثالث على إبطال قول من قال بحدث القرآن وخلقه قوله عز اسمه : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها)(١) أى من قبل أن نخلق الأرض والأنفس . فهذا دليل على قدمه وإبطال قول من قال بحدثه وخلقه .

ودليل رابع وهو قولنا لمن قال إن كلام الله مخلوق فما تقول فى أسماء الله الذاتية مثل الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السميع العليم أهذه الأسماء هى قديمة أو محدثة أو هى ذاتية أو فعلية ؟ فان قالوا إنها ذاتية وهى قديمة، قلنا لهم أفى القرآن محدث مخلوق وفيه غير محدث فأقيموا الدليل على ذلك ؟ وصح أن القرآن كلام غير مخلوق ولله عاقبة الأمور .

---

(١) سورة الحديد : آية ٢٢ .

الباب الرابع والأربعون

(فى كلام الله لموسى عليه السلام)

اختلفت الأمة فى كلام الله عز وجل لموسى عليه السلام ، فمنهم من قال أسمعه نفسه متكلماً واحتجوا بقوله: (وكلم الله موسى تكليماً)(١) . وقال بعض أسمعه صوتاً أفهمه به الكلام وهذا خطأ ولا نقول به لأن كلام الله لا يخرج بصوت ولا حرف إلا أن يكون الملك عبر لموسى عليه السلام عن الله عز وجل فذلك جائز أن يعبر له بصوت لأن الملك له صوت كصوت المخلوقين. وقال بعضهم كلمه بالوحى بدليل قول الله عز وجل: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً)(٢) وهذا خبر غير منسوخ لأن الأخبار لا تنسخ فيجوز أن يكون كلمه بالوحى ، وقد سمى الله التوراة كلامه فقال تعالى: (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه)(٣) .. الآية .

مسألة : فان قال قائل كيف سمع موسى كلام الله تعالى ، قلنا له سمع كلاماً أزلياً قديماً جامعاً للمعانى كلها بلاصوت ولا حرف ،وهو لا يتمثل فى الوهم ولا يتصور فى العقل، كما شاء وعلم،لا يعجزه شىءلا صوت ولا حرف لأن الصوت والحرف محدثان مخلوقان .

[٢٤١] مسألة : فان قال قائل من أين علم أن الذى كلمه هو الله ؟ قلنا له سمع كلاماً خارجاً عن كلام المخلوقين وعن سائر الكلام ، لأن كلام الله يجرى بالأنفاس عند الكلام والخطاب وكلام الله سبحانه وتعالى ليس بصوت ولا حرف ولا نفس ، فلما سمع كلام الله تعالى على هذه الصفة علم أن الذى كلمه هو الله ،والإشكال يقع فيمن له إشكال ولا يقع فيمن لا إشكال له فيه والله سبحانه وتعالى لا يشبهه شىء من المحدثات أو يجرى عليه حدث الصفات .

---

(١) سورة النساء : آية ١٦٤ .

(٢) سورة الشورى : آية ٥١ .

(٣) سورة البقرة : آية ٧٥ .

ودليل ثان أن موسى عليه السلام لما سمع كلام الله سمع كلاماً قاطعاً ودليلا بيناً ساطعاً فعلم أن الذى كلمه رب العالمين ، فقال : (رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى)(١) ، وكان فى لسانه عقدة فى حال الصبا كان قد احترق لسانه وله خبر ، وليس هذا موضعه ، وما كان يفصح الكلام من العقدة فشرح الله صدره فى الحال ويسر أمره وزال العقدة من لسانه فى الحال ، فعلم أن الذى كلمه رب العالمين ، لأن قدرة الخلق لا تنال ذلك أبداً ، وإنما هو صنع الله الواحد القهار . إن قال قائل كيف يكون الكلام بلا صوت ولا حرف ؟ قيل له إنه كلام أزلى قديم لا يتكيف ، ولو تكيف لتصور وكل متصور فمخلوق ، وكلام الله عز وجل لا يشبه كلام المخلوقين جل وعلا علواً كبيراً ! !

مسألة : فان قال قائل زدنى إيضاحاً ، قيل له إن الكلام عند العرب ينقسم على ثمانية أقسام فى المنظوم والمنثور ، فالمنثور ينقسم على أربعة أنواع فمنه الحديث الذى يتفاوضه الناس فيما بينهم ، ومنه الخبر وهو ما أخبرك به الرجل عن غيره ، ومنه الخطب وهو كلام مجموع فى أمره مقصود طال أو قصر ، ومنه الرسائل وهو ما كان من الكلام موجهاً به إلى إنسان أو مكتوباً إليه فى أمر أو نهى أو موعظة أو ما أشبه ذلك . والمنظوم أيضاً ينقسم على أربعة [٢٤٢] أنواع فمنه الشعر والرجز والسجع والمزدوج ، وكلام الله تعالى خارج من جملة هذه الأجناس ومفارق لجميع كلام الناس . فان قال أحد أنه يشبه هذه الأقسام فليقم دليلا واضحاً وبرهاناً بيناً لائحاً ، وإلا فليقبل الحق ممن جاء به وبالله التوفيق .

مسألة : واعلموا أن الكلام الذى عن العرب بيناه وشرحناه فى الأقسام يتشعب بأربعة أنواع فتارة يكون بالصوت والحرف كالمتكلم بلسانه ، وتارة بالصوت بغير حرف كالمزمار والقصبة ، وتارة بالحرف بغير صوت كالكتاب يكتب إلى من شئت بأى أمر شئت . وتارة بلا صوت ولا حرف وهو الإشارة ،

---

(١) سورة طه : الآيات ٢٥ — ٢٧ .

كما قال عز من قائل فأوحى إليهم أن سبحوا بكرا وعشياً ، ويوجد أنه أشار إليهم بالأمر لأنه قال له أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا(١) ، فاستثنى الرمز من الكلام لأنه كلام ولا صوت فيه ولا حرف ، والبارئ عز اسمه يتكلم بكلام جامع للمعانى كلها يعرفه السامع إذا سمع بلا صوت ولا حرف لأن الصوت والحرف يقتضى لساناً وشفتين وأسناناً وحلقاً وشدقين وذلك على الله يستحيل لأن هذا من صفات الحدث والتعطيل والله سبحانه وتعالى متكلم لا كالمتكلمين ولا يشبه كلامه كلام الآدميين سبحانه وتعالى قديم بذاته يسمعه من يشاء من عباده بلا صوت ولا حرف ولا إشارة ولا رمز ،لأن هذه الأشياء جعلها الله لعباده آلة ليفهم بعضهم عن بعض والله تعالى غنى عن الآلات والأدوات وقد أجابت السموات والأرض لرب العزة ، فقال لها للأرض (ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)(٢) قولا بلا صوت ولا حرف ، وكذلك قول النملة :(ادخلوا مساكنكم)(٣) وتسبيح الجبال عند داود عليه السلام.وقد صح من الإجماع أن القرآن مكتوب فى مصاحفنا مقروء بألسنتنا معلوم فى قلوبنا محفوظ فى صدورنا غير مخلوق، كما قال إن الله تبارك وتعالى معبود فى مساجدنا مذكور بألسنتنا معلوم فى ٢٤٣ قلوبنا ليس بحال فيها لأن الحلول عن الله منفى تعالى الله علواً كبيراً ! ! فالكتابة حيث ما وجدت وبأى لون وجدت وبأى شيء كتبت وبأى خط وجدت فالمكتوب أبداً كلام الله غير مخلوق ، والمكتوب هو المفهوم من الكتابة لأنكم إذا نظمتم فى المصحف وقرأتم آية عرفتم فيها المعنى غير الخط . وكذلك كلام الله سبحانه وتعالى غير محدث ولا مخلوق ، وكذلك القراءة أينما سمعت من أى لسان سمعت

---

(١) لما بشر الله تعالى سيدنا زكريا بابنه يحيى ، طلب زكريا من الله سبحانه أن يجعل له آية . قال الله تعالى :(قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا. فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) .

سورة مريم : الآيتان ١٠ — ١١ .

(٢) سورة فصلت : آية ١١ .

(٣) سورة النمل : آية ١٨ .

وبأي لغة قرئت فالمقروء أبداً كلام الله عز وجل غير محدث ولامخلوق، والمقروء هو المفهوم من قراءة القارئ والصوت والحرف هو اصطكاك أسنان القارئ واعتماد آلته ولسانه فمرة يجهر بها ومرة يخفي ، فكذلك القراءة أينما سمعت بأي لغة سمعت فهي محدثة مخلوقة لم تكن فكانت ، وأما المعاني فكلام الله عز وجل أزلي قديم ليس بمخلوق وصفة الله عز وجل من صفاته الذاتية ليس بمحدث ولا مخلوق وبالله التوفيق .

رجع إلى كتاب الضياء :

قال الشيخ سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري رحمه الله، الكتاب على الإطلاق اسم لكتاب الله عز وجل ولا يسمى الكتاب على الإطلاق غيره ، والكتب تسمى بالإضافات إلى مؤلفها أو بالصفات للأنواع التي فيها ، والكتب التي سماها الله تعالى بأعيانها وذكرها أربعة ، القرآن هو كتاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وله أسامي غير هذا نذكرها إن شاء الله . والتوراة كتاب موسى عليه السلام سماه الله توراة وسماه أيضاً في القرآن كتاباً وفرقاناً ونوراً وضياء ، والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام ، والزبور كتاب داود عليه السلام ، فهذه الكتب الأربعة كلها لها أسماء من الله عز وجل غير الكتاب الذي هو اسم لكل كتاب ولسائر الأنبياء صلوات الله عليهم ، كتب لها أسماء مخصوصة في القرآن ، إلا الصحف التي ذكرها الله عز وجل فقال صحف إبراهيم وموسى ، وسمى سبحانه وتعالى الكتب المتقدمة [٢٤٤] زبراً غير أنه لم يخص بهذا الاسم إلا كتاب داود عليه السلام فصار عاماً لسائر الكتب . قال تعالى : (وآتينا داوود زبوراً)(١) . وقال عز وجل : (وإنه لفي زبر الأولين)(٢) . وقيل كل كتاب ذو حكمة فهو زبور ، وقيل الزبر كتاب الأنبياء بالنبوة على مايكون ، والكتاب المبين للحلال والحرام . والزبر جمع زبور وهي الكتب ، فأما الزبر مفتوحة الباء مضمومة الراء فالقطع واحدتها زبرة ومنه آتوني زبر الحديد أي قطع . ويقال زبرت الركبة إذا طويتها ، ومن هذا قالوا فلان لا زبرة له أي لا عقل له يقيمه كما يقيم الزبر الركبة أن تنهار . فأما القرآن والتوراة

---

(١) سورة الإسراء : آية ٥٥ .

(٢) سورة الشعراء : آية ١٩٦ .

والإنجيل فهى الكتب التى فيها الأمر والنهى والحلال والحرام. وليس الزبور كذلك إنما الزبور فيه تسبيح وتهليل ودعاء وحكمة مثل سائر كتب الأنبياء عليهم السلام التى ليست فيها شرائع ولا أمر ولا نهى . وفضل الله الزبور على سائر الصحف فذكره فى القرآن والتوراة والإنجيل واختص له أسماء ولم يختص لسائر الأسماء . فقد قيل إن لبنى إسرائيل أربعة وعشرين كتاباً مثل كتاب شعيا وكتاب أرميا وكتب سليمان وغير ذلك . ولكتب سليمان أسامى مثل فوهلت وسترشرين وغير ذلك ، ولكن ليس لها فى القرآن ذكر . واليهود تسمى كتب بنى إسرائيل خمساً معناها خمسة أخماس ، وخمسة أخماس يكون خمسة وعشرين . وقد احتجت عليهم النصارى، فقالوا قد أقررتم لنا أن كتب بنى إسرائيل خمسة أخماس وخمسة أخماس خمسة وعشرون وفى أيديكم أربعة وعشرون كتاباً ، والإنجيل الخامس والعشرون.

فصل :

ويقال للقدر كتاب ، قال الجعدى :

يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى ‎ ‎ ‎ ‎ عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا

يعنى قدر الله ، وسئل الأصمعى فقال : القدر ، وأنشد :

[٢٤٥] كتب البياض لها وبورك لونها ‎ ‎ ‎ ‎ فعيونها حتى الحواجب سود

وإنما قيل للقدر كتاب لأنهم ذهبوا إلى أن الله تعالى كتب كل شىء وقدره فى اللوح المحفوظ . قال الله عز وجل: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)(١) ، قال أهل التفسير إلا ما قضى وقدر .وقال فى قوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى)(٢) أى قضى بذلك وفرغ منه . ويقال للفرض أيضاً كتاب . قال ابن عباس فى قوله تعالى: (كتب عليكم القصاص) أى فرض، ومن ذلك قيل للصلاة الفريضة المكتوبة ، قالوا وإنما قيل لصلاة الفريضة كتاب لأنه نزل به الكتاب وذكر فى الكتاب . وقالوا الكتاب الأمر . وفسروا ادخلوا

---

(١) سورة التوبة : آية ٥١ .

(٢) سورة المجادلة : آية ٢١ .

الأرض المقدسة التى كتب الله لكم أى التى أمركم أن تدخلوها . ويقال كتب بمعنى جعل من قوله.(أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان)(١) ، وقالوا فى قوله عز وجل:(فاكتبنا مع الشاهدين)(٢) ، وقوله:(فسأكتبها للذين يتقون)(٣) ، فسروا هذا كله بمعنى جعل فقد جاء فى الكتاب هذه المعانى كلها بمعنى قضى وجعل وأمر .

مسألة : والكتاب يكون واحداً وجمعاً ، قال تعالى:(ونخرج له يوم القيامة كتاباً)(٤) يريد واحداً ، وقال عز وجل:(هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق)(٥) يريد جمعاً . فاذا قلت الكتب فليس إلا الجمع وهى من ثلاثة إلى عشرة ، فاذا قلت الكتاب فهو الجمع الذى لا عدد له ، ويكون الواحد منه الكتاب أيضاً .ويقال كتبت الكتاب إذا جمعت الحروف بعضها إلى بعض. ويقال يكتب بنو فلان إذا اجتمعوا . قال عبيد :

نبئت أن بنى جذيلـة أرغبوا   شعواء من سلمى لنا وتكتبوا

أى تجمعوا ، ومنه ويقال لجماعة الخيل كتيبة . قال النابغة :

تزهى كتائب خضر ليس يقصمها   إلا ابتدار إلى موت بالجـــام

الكتاب جمع كتيبة ، ويقال كتبت الخرز إذا جمعته ، قال ذو الرمة :

٢٤٦ وفراء غرفية(٦) أثأى(٧) خوارزها

مشلشل ضيعتـه بينهـــا الكتب

---

(١) سورة المجادلة : آية ٢٢ .
(٢) سورة آل عمران : آية ٥٣ ؛ سورة المائدة : آية ٨٣ .
(٣) سورة الأعراف : آية ١٥٦ .
(٤) سورة الإسراء : آية ١٣ .
(٥) سورة الجاثية : آية ٢٩ .
(٦) غرفية : شجر الغرف يصبغ به الثياب .
(٧) أثأى : ثقب .

والكتب الخرز والكتبة الخرزة ومنه كتبت البغلة إذا جمعت بين شفريها بحلقة ونعلة مكتوبة إذا كانت كذلك . قال ابن داره :

لا تأمنن فزاريا(١) خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار(٢)

وكان الكتاب يسمى كتاباً لما اجتمع فيه من المعانى بالخط والحروف، ويقال لجمع الحروف بعضها إلى بعض كتاب ، والأسفار الكتب بلغة كنانة . ويسمى الكتاب سفراً لأنه يحمل من مكان إلى مكان والسفر الكتاب الطويل الذى ليس بكراسة ، ومن العرب من يقول سفر بأنها سفر ، وبعضهم يقول إنها سفر بكسر السين وهى لغة . والسفر من أجزاء التوارة ، وكل كتاب سفر والجمع أسفار ، والكتبة السفرة من قوله تعالى : (بأيدى سفرة كرام بررة)(٣) وقيل إنهم ملائكة السماء الدنيا وهم الكتبة يحصون أعمال العباد . والطلس والطرس الكتاب ، فاذا محوت الكتاب ولم تعرف خطه قلت طلسته ، وإذا امحى ولم ينعم محوه قلت طرسته . ويقال للكتاب الرقيم . وأنشد :

لمن ظلل مثـــل الكتـــاب المرقم

ويقال هو مرقوم عليك أى مكتوب ،وقال تعالى (كتاب مرقوم)(٤) أى مكتوب وهو فعيل بمعنى مفعول ، وقال :

سأرقم فى المـــاء القراح إليـكم
على بابكم إن كان فى الماء راقم

أى كانت.والرقيم فى قول الله عز وجل يقال اسم الوادى الذى فيه الكهف . وقال الكلبى الرقيم لوح من رصاص كتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم ودينهم وممن هربوا . وقال الحسن الرقيم الجبل الذى هربوا إليه ، والرقيم فى غير هذا الوجه الزوجة . قال الأخوص :

---

(١) فزاريا ، وليس كما فى المخطوطة « قرارانا » ، والفزارى يعنى من قبيلة فزارة .
(٢) بأسيار ، وليس كما فى المخطوطة « ياسيار » .
(٣) سورة عبس : الآيتان ١٥ — ١٦ .
(٤) سورة المطففين : آية ٩ .

لعمــرك إننى برقيم قيس   وحارة بينها ضب كثيب

فصل فى الصحف :

الصحف جمع صحيفة يثقل ويخفف . وقوله تعالى صحف إبراهيم وموسى يعنى الكتب التى أنزلت عليهما صلى الله [٢٤٧](١) عليهما وسلم ، وسمى المصحف مصحفاً لأنه أصحف أى جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين . ويقال طويت الصحيفة فأنا أطويها طياً ، فالطى هو المصدر وطويته طية أى مرة واحدة ، وتقول إنه لحسن الطية لا يريد به المرة الواحدة ولكن يريد به ضرباً من الطى مثل الجلسة والمشية يريدون به نوعاً منه ، قال ذو الرمة :

أم دعنة عنها الصبا سفعا   كما تنشر بعد الطية الكتب

تكسر الطاء لأنه أراد نوعاً منه فى الحسن أو القبح ولم يرده المرة الواحدة ، والفعل اللازم للصحيفة وغيرها والحية وما يشبهها الانطواء يقول انطوى ينطوى انطواء فهو منطو على منفعل ، ويقول اطوى يطوى يريد به افتعل فأدغم التاء فى التاء فقال مطواً .

القول فى تسمية الكتاب : سمى الكاتب كاتباً لأنه يضم بعض الحروف إلى بعض من قولهم كتبت الكتاب إذا ضممت خرزاً منها إلى خرز [illegible] قول ذى الرمة :

وفراء(٢) غرفية أثأى خوارزها   مشلشل ضيعته بينها الكتب

الوفر : المزادة ، والغرفية : مدبوغة بالغرف وهو شجر ، وأثأى : أفسح والمشلشل : الماء ، والكتب : الخرز . ويقال كتبت الكتاب أكتبه كتاباً ومكتباً ومكتبة ، وكتب الرجل يكتب كتاباً ومكتباً فهو رجل كاتب وهم قوم كتاب وكتبة فالمفعول منه مكتوب . وسطر يسطر سطراً وسطره ، ومسطر فهو ساطر والمفعول منه مسطور . وخط يخط خطاً وخطة ومخطط فهو رجل

---

(١) صفحة ٢٤٧ من المخطوطة أكملنا نحن أسطرها حسب سياق النص إذ أن آخر كل سطر محذوف .

(٢) كتب فى المخطوطة «وفرعاء» .

خاط وخطاط . قال الله عز وجل: (ولا تخطه بيمينك)(١). وإذا أنت كتبت عن نفسك قلت كتبت وسطرت وخططت، وإذا أمرت غيرك قلت اكتب لى كتاباً واسطر لى سطرين وثلاثة ، قال الشاعر :

وإنى وأسطار سطرن سطرا　　لقائل يا نصر نصر انصرا

وخط لى خطاً حسناً، وإن شئت قلت اخطط لى فأما الأسطيرة فيما يكتب(٢) فهو تؤلفه الضلال والجهال من الكذب المزخرف الذى يأكلون به الدنايا(٣) [٢٤٨] وجمعه أساطير ، وأما السطر فهو الحيرية(٤) والكبر والسلطنة، وفى القرآن (لست عليهم بمسيطر) أى بمسلط ، ويقال سطر وطرس وهو من المقلوب .

قال أبو الشيص :

طلل عفت ديم السماء رسومه　　فكأن باقى رسمهن طروس

وقال الخليل : الطرس الكتاب الممحو ، والطرس المداد أيضاً . قال الشاعر :

يا فاعطنى ثمن الطرس الذى كتبت
به القصيدة أو كفارة الكذب

فصل فى الوحى :

الوحى الكتابة تقول وحى يحى وحياً أى كتب وكتب كتاباً واياحى ؟ قال من رسم آبار كوحى الواحى ، أى ككتاب الكاتب .

وأنشد ابن عرفة :

كان أخ اليهود يخط وحياً　　بكاف فى منازلها ولام

قال عنترة وشبه المنازل ودرسها :

كوحى صحائف فى عهد كسرى　　فأهداها الأعجم طمطمى(٥)

الوحى فى كلام العرب على وجوه كثيرة منها وحى النبوة ، ومنها وحى

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٤٨ .

(٢) هذه الزيادة من عندنا ، مثل كل نهايات الأسطر فى هذه الصفحة من المخطوطة .

(٣) « الدنايا » زيادة من عندنا . وقد كتبت فى المخطوطة « الد . . . » .

(٤) الحير : الحمى والبستان . والحير : الكثير من المال والأهل .

(٥) طمطم : يطلق على الأعجم الذى لا يبين فى كلامه .

الإلهام ، ومنها وحي الإشارة ، ومنها وحي الكتابة ، وفي كل ذكر شواهد من الكتاب والشعر تركته اختصاراً . واختلفوا في قوله عز وجل: (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً)(١) ، قال مجاهد أشار إليهم ، وعن الضحاك عن أبي ليلى لأكتب لهم ، قال أبو عبيدة والمعنى محتمل القولين .

فصل

والترقين ، ترقين الكاتب الكتابة وهو ترتيبه ، وكذلك ترقين الثوب بالزعفران والورس ، قال الشاعر :

دار كرقن الكاتب المرقن   بين نفي الملقى وبين الملقن

والرقون النقوش ، قال بعضهم امرأة راقنة مختضبة بالحناء والزعفران، وأنشد:

صفراء راقنة كالشمس عطبـــول

والرقون الزعفران ، ونقول نمقت الكتاب تنميقاً إذا حسنتة وزينته ، وجائز أيضاً أن يخفف وقد نمقته أيضاً نقشته ، قال النابغة :

كان مجر الراسات ذيولهــا   عليه قضيم نمقته الصوابع

[٢٤٩] قضيم صحيفة . والتناشير كتابة الغلمان في الكتاب ينشرونها على المعلم أي يرونه إياه . نقول نشرت الكتاب وأنشرت نشراً، والإملال لإملال الكتاب ليكتب ، والسجل الصحيفة فيها الكتاب ، وقيل السجل كاتب ، كان للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال الحسن السجل الصحف وفيه أكثر من هذا تركته اختصاراً .

والكتاب فصول كتبت مشتملة على علوم كثيرة منها الهمز والمد والقصر والوصل والفصل والحذف والزيادة والنقط والشكل ، ولكل فصل من هذا فصول كتب مصنفة موجودة ولم نشغل كتابنا بها وبالله التوفيق .

---

(١) سورة مريم : آية ١١ .
كتب سهواً في المخطوطة « سبحوه » بدلا من « سبحوا » .

الباب الخامس والأربعون

فى القرآن وذكره

سمى الله عز وجل القرآن كتاباً فقال تعالى: (الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)(١) . قال أبو عبيدة معناه هذا القرآن والعرب تخاطب الشاهد مخاطبة الغائب ، قال مخاطباً خفاف بن ندبة السلمى وهى أمة كانت حبشية ، وكان من عربان العرب :

أقول والرمح ناظر متنه   تأمل خفافاً إننى أنا ذالكا

وسمى القرآن قرآناً. لأنه جمع السور وضمها ، قال الله عز وجل : (إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)(٢) . معناه ألفنا منه شيئاً وضممناه إليك فاعمل به وخذ به . قال : وقيل للناقة التى لم تلد ما قرأت جنيناً قط . وأنشد لعمرو بن كلثوم :

ذراعى عيطل ادماء بكر   هجان اللون لم تقرأ جنينا

أى لم تضم فى رحمها ولداً . وفى اية ما قرأت القرآن مجازة إذا تلوت بعضه إثر بعض حتى يجتمع وينجم بعضه إلى بعض .

الفرقان : قال أبو عبيدة سمى الفرقان فرقاناً لأنه فرق بين الحق والباطل وبين المؤمن والكافر ،وعن ابن عباس فى قوله تعالى: وأنزل الفرقان ، قال المخرج من الشبهات ،وسمى الله عز وجل التوراة فرقاناً فقال تعالى: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءاً)(٣) لأن سبيله فى تلك الأمة سبيل القرآن(٤)

---

(١) سورة السجدة : الآيتان ١ — ٢ .

(٢) سورة القيامة : الآيتان ١٧ — ١٨ .

(٣) سورة الأنبياء : آية ٤٨ .

(٤) أضفنا أواخر كل سطر من أسطر صفحة ٤٤٩ من المخطوطة حسب ما يقتضيه النص لأن معظمها محذوف فى الأصل .

فى هذه الأمة، ومنه سمى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الفاروق لتفريقه بين الحق والباطل. ويقال سمعت فرقان الفرقان فى الفرقان، فالفرقان الأول أراد به التفريق والثانى يجمع تفريقاً من الناس وهو الجماعة ، والثالث السحر . وقيل سمى السحر فرقاناً يفرق بين الليل والنهار .

الوحى : من أسماء القرآن الوحى والوحى هو القرآن كما ٢٥٠ يقال له تنزيل ووحى ، وقد قالت الأمة بأجمعها هو القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله ، وقال عز وجل : (قل إنما أنذركم بالوحى)(١) .. الآية . وفى الوحى معان جليلة وتفسير طويل تركته اختصاراً .

التنزيل : ويقال للقرآن تنزيل كما يقال له قرآن ويقال هذا فى التنزيل أى فى القرآن وهو مأخوذ من قوله تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً)(٢) ، ومن قوله عز وجل (قل نزله روح القدس من ربك بالحق)(٣) و(نزل به الروح الأمين)(٤) ، ونزلناه تنزيلا ، وهو مشتق من نزل ينزل وأصله من الانحدار ، قال الله عز وجل : (وينزل لكم من السماء رزقا)(٥) .
قال الأعشى :

واست لأنسى ولكن لمالك   ينزل من جو السماء يصوب

وكل منحدر مع موضع عال فهو متنزل .

القصص : وسمى الله عز وجل القرآن قصصاً فقال تعالى . (نحن نقص عليك أحسن القصص)(٦) . والقصص فى كلام العرب هو اتباع الأثر . قال عز وجل : (وقالت لأخته قصيه)(٧) أى اتبعى أثره والله أعلم . ويقال

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٤٥ .
(٢) سورة الزمر : آية ٢٣ .
(٣) سورة النحل : آية ١٠٢ .
(٤) سورة الشعراء : آية ١٩٣ .
(٥) سورة غافر : آية ١٣ .
(٦) سورة يوسف : آية ٣ .
(٧) سورة القصص : آية ١١ .

خرج فلان فى أثر فلان قصصاً أى اتبع أثره فكأنه سمى قصصاً لأنه عليه السلام اتبع ما أوحى إليه ثم ألقى ذلك إلى الناس فاتبعوا .

الروح : ويقال للقرآن روح ، قال الله عز وجل: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا)(١)، قال ابن قتيبة فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم: « تحابوا بذكر الله وروحه » ، قال روحه القرآن لقوله تعالى: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) فكأنه سماه روحاً لأنه أحيا به الدين والله أعلم .

المثانى : وسماه الله عز وجل المثانى فقال تعالى: (كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه)(٢) ، قال سمى بذلك لأن الأنباء والقصص تثنى فيه ، وقال آخرون المثانى مشتق من قولك تثنيت الشيء أى كررته . وقوله تعالى كتاباً متشابهاً مثانى مجازه آيات من القرآن متشابهات يشبه بعضها بعضاً وأنشد العجاج :

نشدتكم بمنزل الفرقان أم الكتاب السبع من مثانى

ثنين من آى القرآن أم الكتاب ويقال لسورة الحمد أم الكتاب [٢٥١] ويقال لها السبع المثانى . وروى أبو عبيدة باسناد له عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ عليه أبى فاتحة الكتاب فقال والذى نفسى بيده ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى القرآن مثلها إنها السبع من المثانى والقرآن الذى أوتيت . وقال أبو عبيدة إنما قيل الحمد أم الكتاب لأنها يبتدى بها فى أول القرآن وتعاد فى كل ركعة ، ويقال لها فاتحة الكتاب لأنها يفتتح بها المصاحف فيكتب قبل القرآن .

المفصل : قال بعض العلماء سمى مفصلا لأنه نظم نظماً بالآيات فآية فى الحلال ، وآية فى الحرام ، وأخرى فى القصص ، وأخرى فى الناسخ ، وأخرى فى المنسوخ ، قد فصل بأنواع الأحكام والحدود والأنباء . ويقال نظم به مفصل ، أى جعل بين كل لؤلؤتين خرزة وبين كل خرزتين زبرجدة ،

---

(١) سورة الشورى : آية ٥٢ .

(٢) سورة الزمر : آية ٢٣ .

قال النابغة :

بالدر والياقوت زين نحرها ومفصل من لؤلؤ وزبرجد

وقال غيره سمي مفصلا لأن الأحكام والسنن تثبتت فيه وفصلت ، ويقال فصلت الحكم أى أوضحته وبينته وقضاء مفصل أى مبين . قال الله عز وجل :(إنه لقول فصل . وما هو بالهزل)(١). السورة : قال أبو عبيدة السورة تهمز ولا تهمز فمن همزها جعلها من أسارت أى فضلت فضلة من الطعام ومجاز سورة مجاز قطعة من القرآن على حد علمه وفضله منه ، ومن لم يهمزها جعلها من سورة البناء أى نزلت منزله ، وأنشد النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة(٢) ترى كل ملك دونها يتذبذب(٣)

أعطاك سورة أى منزلة ورفعة لا يلحقها أحد من الملوك وارتفعت عن منازل الملوك قال : وسورة البناء(٤) مأخوذة من ذلك لأنه يبنى ويرفع . ويقال سرت وارتفعت إليه . وأنشد العجاج :

ورب ذى سراق محجوره سرت إليه من أعالى السوره

وسورة فى لغة من همزها ومن لم يهمزها ، وسور بفتح الواو وجمع سورة بجزم الواو (٥) قيل وإنما قيل لسور القرآن سور لأن الله [٢٥٢] عز وجل فضل بها نبيه صلى الله عليه وسلم فكل ما أعطاه زاده سورة أى زاده رفعة وفضيلة ، والسورة فى كلام العرب على ما فسروه هى الرفعة والمنزلة والفضيلة ، قال الحطيئة :

فمن بلغ أفنـاء سعد فقد سعا إلى السورة العليا لهم رجل جلد

فسور القرآن هى مناقب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفضائله ومنازله. الرفيعة . وقال ابن الأنبارى فيها أربعة أقوال أحدها من ارتفاع منزلة مثل سورة البناء ، والثانى لشرفها لقولهم له سورة فى المجد أى شرف وارتفاع ،

---

(١) سورة الطارق : الآيتان ١٣ — ١٤ .

(٢) سورة : هنا معناها رفعة وعلو شأن .

(٣) يتذبذب : أضفنا هذه الكلمة وهى غير موجودة فى المخطوطة .

(٤) كتب فى المخطوطة « سور النبأ » ، وما أثبتناه وهو « سورة البناء » هو الصحيح والسورة فى اللغة ما طال من البناء وحسن .

(٥) وردت هذه الجملة مصحفة وناقصة ، وقد صححناها .

والثالث لكبرها على حيالها من قولهم عنده سورة من الإبل أى أقرام(١) كرام واحدتها سورة ، والرابع لأنها قطعة من القرآن على حده وفضله من قولهم أسارت منه سوراً أى أبقيت منه بقية فيكون أصلها الهمز فتركوه وأبدلوا منه واواً لانضمام ما قبله .

الآية : قال أبو عبيدة إنما سميت آية لأنها كلام متصل إلى انقطاعه وانقطاع معناه قصة ثم قصة . وقال فى قوله عز وجل : (آيات محكمات)(٢) مجازه أعلام الكتاب وعجائبه وآياته فواصله ، وفى قوله تعالى : (لمن خلفك آية)(٣) أى علامة . وقال ابن قتيبة بلغنى أن أبا عمرو الشيبانى قال معنى آية من كتاب الله أى جماعة حروف ، قال ومنه يقال خرج القرم بآيتهم أى بجماعتهم . وقال غيره الآية أصلها العلامة التى يعرف بها الشىء ويستدل بها عليه . قال الهذلى شعراً :

بآية ما وقفت الـــركاب　　　بين الحجون وبين السرور

يعنى بالآيات العلامة والحجون بمكة ، والسرر على أربعة أميال من مكة عند مسجد عبد الصمد ، كانت هناك شجرة يقال لها سَرٌّ تحتها سبعون نبياً أى قطعت سررهم فسميت بذلك . قال عمر بن ربيعة :

بآية أحجـــار وخط خططتـــه

لنا من طريق الجلس(٤) والمنقور(٥)

|٢٥٣| كأنها جعلت هناك أحجار يستدل بها علامة . قال نوح بن سهى الطائى شعراً :

خرجنا من النقبين لا حى مثلنا　　　بآيتنا نرحى للفلاح المطافلا

---

(١) القرم : الفحل إذا ترك عن الركوب والعمل ، والسيد العظيم ، والجمع قروم . والأقرم من الإبل والجمال ما لم يمسه حبل ، الموسوم بالقرم ، والمؤنث قرماء والجمع قرم .

(٢) سورة آل عمران : آية ٧ .

(٣) سورة يونس : آية ٩٢ .

(٤) الجلس : الغليظ من الأرض ومن الشجر .

(٥) المنقر : البئر الصغيرة الضيقة الرأس فى صلبة من الأرض ، أو الكثيرة الماء . الحوض .

بآيتنا أى بجماعتنا ومعنى قولهم خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم، وكذلك أنهم كانوا إذا خرجوا لحرب أو لأمر حملوا معهم آية قد جعلوها علامة لهم . فقيل خرج القوم بآيتهم أى بعلامتهم وكثر ذلك حتى قيل لهم إذا خرجوا مجتمعين وإن لم تكن لهم آية خرجوا بآيتهم فصار اسماً للجماعة ، والآية أيضاً الرسالة كأنها رسالة بعد رسالة وأخبار بعد أخبار . قال النابغة الذبيانى :

من مبلغ عمرو بن هند آيـة ومن النصيحة كثرة الإنذار

فالآية على هذه المعانى قد جاءت فى اللغة .

الكلمة : يقال كلمة والجمع كلمات ، وقال بعض كلمة وكلم ، قال والفرق بين الكلام والكلم أن الكلام عام لقليل النوع وكثيره ، والكلم مختصر محدود، وليس كالكلام الذى يكون للنوع كله قليلا كان أو كثيراً، والاسم كلمة والفعل كلمة والحرف كلمة وجمع ذلك كلم ، وقال كلمة وكلم مثل تيقة وتيق. والعرب تقول مدح فلان فلاناً بكلمة طويلة أى قصيدة طويلة . قال غيره لا تكون الكلمة على أقل من حرفين وهى على حرفين ناقصة وعلى ثلاثة أحرف تامة ، فاذا زادت على ثلاثة أحرف فهى زائدة . وجمع الكلم كلمات ، قال عز وجل: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى)(١) .. الآية قيل وإنما قيل لأمر الله عز وجل كلمة لأنه علم حرفين كاف ونون ، ولو كان حرفاً واحداً لما سمى كلمة بل كان يقال له حرف ، فلما اجتمع حرف وحرف قيل كلمة وحروف . الحد والحدود من كل شىء حده وطرفه يكون نهايته ، قال طرفة :

وجمجمة مثل العـلاة كأنما وعا الملتقى منهـا أحرفـا(٢)

يعنى إلى حد مبرد ، وجمع الحرف الحروف ، وكانت الحروف على حدود الكلمة وكذلك يكون الحروف حدود الكلام والكلمة بنيت على الحروف فمنها كلمة خمسة أحرف ، ومنها على أربعة أحرف ، ومنها على ثلاثة أحرف ،

---

(١) سورة الكهف : آية ١٠٩ .

كتب فى المخطوطة سهواً « لو كان فى البحر » والصحيح « لو كان البحر » .

(٢) وجدنا هذه الصفحة من المخطوط والصفحتين السابقتين مليئة بالأخطاء والتصحيف فضلا عن أن نهايات معظم السطور مطموسة تماماً . وقد اجتهدنا قدر طاقتنا فى التصحيح وإكمال الأسطر .

ومنها على حرفين [٢٠٤] والحرف الواحد هو انتهاؤها فسمي حرفاً لذلك.
وقال غيره سمي حرفاً لأنه عدل به عن صورة غيره، فأول الحرف الألف فاذا قيل باء عدل به عن صورة الألف في الخط، وكذلك كل حرف معدول عن صفة الآخر يقال انحرف عنه إذا عدل عنه، والحرف هو حد الكلمة وطرفها سمي بذلك، وقيل له حرف لأنه حرف به عن جهة الانحراف وعدل بها عنها. وللحروف من غير هذا الوجه تفسير يطول تركته اختصاراً.

القراءة والتلاوة: قال أبو عبيدة قراءة القرآن مجازه تلوت بعضه في إثر بعض حتى يجتمع وينضم بعضه إلى بعض ومعناه يصير إلى معنى التأليف والجمع فكان الذي يقرأ القرآن معناه يجمع الآية إلى آية في قراءته، والتلاوة هو الاتباع، هو يتلو كتاب الله عز وجل إذا قرأه قال تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا)(١)، وقال عز وجل: (يتلونه حق تلاوته)(٢) وهو في غير موضع من القرآن فكان من التلاوة وهي أخص من القراءة، لأنه يقال قرأ الكتاب، يقال ذلك للقرآن وغير القرآن، ولا يقال تلا الكتاب لكتاب سوى القرآن وهو الكتاب المنزل. ومعنى التلاوة الاتباع ويقال للولد يتلو أباه وأمه إذا تبعهما، ومنه يقال السابق والتالي يقال هذا لكل اثنين أحدهما يتقدم والآخر يتأخر، فكأن الذي يتلو القرآن جعل القرآن سابقاً وصار هو تالياً للقرآن.

فصل: ومنه القرآن كتاب الله عز وجل لا يسمى به غيره من سائر الكتب.
وروى عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال القرآن أصل كل الشريعة نصه ودليله. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أوتي القرآن فظن أن أحداً أعطى مثل ما أعطى فقد صغر ما عظم الله، وعظم ما صغر الله، ومن أوتي القرآن كمن جعل النبوة بين كتفيه إلا أنه لا يوحى إليه». وعنه

---

(١) سورة الأنفال: آية ٣١؛ سورة سبأ: آية ٤٣.
(٢) سورة البقرة: آية ١٢١.

صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أحق بهذا القرآن قوم عملوا بما فيه وإن لم يقرءوه». وقيل إذا عمل حامل القرآن المعصية خرج القرآن من جوفه ، وقال ما على هذا حملتنى ! قال مالك : القرآن ربيع المؤمنين كما أن الغيث ربيع الأرض وكان ٢٥٥ يقول « يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم ؟» ، وقال : إنما أنزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملا. قال ابن مسعود رضى الله عنه قال : كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه وأدب الله هو القرآن . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الحكم » ، ويروى الكلم ، واختصرت إلى الحكمة اختصاراً وقيل إنه القرآن.

فصل : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع ، وما حل مصدق ، من جعله امامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو الدليل إلى خير سبيل ، وكتاب تحصيل ، وبيان تفصيل ، ظاهره حكم وباطنه علم ، ظاهره أنيق وباطنه عميق ، له نجوم وعلى نجومه نجوم ، لا تفنى عجائبه ، ولا تبلى غرائبه ، فيه منارات الحكمة ودلالة على الحجة ، لمن عرف الصفة ، فليواج العاقل نظره ، ويعمق للصفة بصره ، ينجو من عطب ، ويسلم من سبب ، كما يمسى المستيقن الظلمات بحسن التخليص وقلة التربيص» . تفسير ما قاله صلى الله عليه وسلم : ما حل مصدق ، أى يمحل بصاحبه إذ هو ضيعه ، والمحال من المكيدة ، ودوم ذلك بالحيل ، ومن هذا المعنى قولهم تمحلت الدراهم ومحل فلان بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ، وقد فسر قول الله تعالى : (وهو شديد المحال)(١) أى شديد العقوبة والمكر والنكال .

---

(١) سورة الرعد : آية ١٣ .

قال الأعشى :

فرع نبع فى غصن الملحد عزيز البدا شديد المحال
وإن يعاقب يكون غراماً وإن يعط جزيلا فإنه لايبالى

تفسير البيت الأول بالثانى غراماً هلاكاً، قال الله عز وجل: (إن عذابها كان غراماً)(١) أى هلاكاً وإلزاماً لهم . ومنه رجل مغرم بحب النساء . ومنه رجل مغرم من الغرم والدين ، قال بشر بن أبى حازم :

ويوم السيل ويوم الحفار(٢) كان عذاباً وكان غراما

أى هلكة . وقال القتيبى شديد المحال أى شديد المكر والكيد . وأصل المحال الحيلة، والحول الحيلة أيضاً . قال غيره شديد الانتقام ، وفى الحديث : « من تبع القرآن يوم القيامة هجم به على روضة من رياض الجنة، ومن لم يتبع القرآن زج به فى قفاه [٢٥٦] حتى يقذفه فى النار » . ويروى: من نبذ القرآن وراء ظهره زج به فى قفاه يوم القيامة . وقال زجه يزجه ودفعه يدفعه ودعه يدعه إذا دفعه ، والزج دفعك إنسان وفى هذه يقول زججته فى قفاه . وإنما قول الشاعر :

فلا تقعدن على زجه وتضمر فى القلب وجداً وخيفاً

والزجة هاهنا الوجد فى القلب . تقول العرب فى قلبه زجة وحقد وغمر وغل وحسيفة وحسيكة وحرارة واجفة ووصب ووغم .. قال الشاعر :

إذا كان أولاد الرجال حرارة فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

والرجيح شديد البريق والحمر برح رجيحاً ، قال الشاعر :

فعند ذلك يطلع المريخ فالصبح يحكى لونه رجيح
من شعلة ساعدها النفيخ

---

(١) سورة الفرقان : آية ٦٥ .

(٢) الشطر الأول من البيت ممسوح فى المخطوطة .

والدع الدفع فى جفوة قال الله تعالى : (فذلك الذى يدع اليتيم)(١) أى يدفعه عن حقه أو صلته أو طعام . قال الله تعالى : (يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً »)(٢) وفى حديث عنه صلى الله عليه وسلم : «إنكم مدعون يوم القيامة مقدمة أفواهكم بالقدام » أى يمنعون من الكلام . قال الشاعر :

ألم أكف أهــلك فقـــدانه إذا القوم فى المحل دعوا اليتيما

* * *

فصل

منه القرآن دليل بنفسه معجز تعجيب نظمه ، لا يقدر الخلق على أن يأتوا بمثله ، بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء به قوماً هم الغاية فى الفصاحة والعلم والبلاغة والمعرفة بأجناس الكلام جيده ورديئه فشتم آباءهم وأسلافهم وقبح أديانهم وضعف اختيارهم وهم أهل الأنفة والحمية والخيلاء. فقرعهم بالمعجز أن يأتوا بمثله،ولم يقدروا أن يناقضوه بخطبة ولا رسالة ولا قصيدة ولا أرجوزة . فإن قال قائل ما يدريكم لعل العرب قد عارضت القرآن وأتت بمثله فخفى ذلك وانكتم ؟ قيل له لو جاز ذلك لجاز أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم هزمه عدوه يوم بدر فخفى ذلك عنا ونقل إلينا خلافه ولجاز أن يكون صلى الله عليه وسلم قتل فى بعض أسفاره فكتمنا ذلك ونقل إلينا أنه مات على فراشه ، ولو كانت العرب قد عارضت الذى أتي به فأبطلت حجته لاشتهر ذلك ولكان أحق بالظهور لشهرته ولعظم الخطب فيه من سائر ما ظهر لأنه أعرب وأعجب وأقطع وأشنع ومحال أن ينقل إلا دون ويتعلق به ويترك الآجل إلا قطع ، وبالله التوفيق .

|٢٥٧|

مسألة : القرآن عربى ليس فيه شىء ليس بعربى ، والدليل على ذلك قوله عز وجل : (إنا جعلناه قرآناً عربياً)(٣) ،وفى آية أخرى : (غير ذى عوج)(٤)

---

(١) سورة الماعون : آية ٢ .

(٢) سورة الطور : آية ١٣ .

(٣) سورة الزخرف : آية ٣ .

(٤) سورة الزمر : آية ٢٨ .

وقال عز وجل منكراً لأن يكون فيه غير عربي : (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أعجمي وعربي)(١) أي لم يكونوا يفهمونه ، ثم قال أعجمي وعربي أي كتاب أعجمي ونبي عربي ،فكيف يكون هذا؟ أي هذا لا يكون . وقال عز وجل : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر)(٢) ثم أكذبهم بقوله تعالى: (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)(٣) ، أي فكيف يكون معلمه أعجمياً واللسان الذي يخاطبهم به عربي مبين ! ! أي يفهمونه ولا يذهب عنكم منه شيء . والذي يلحدون إليه، قيل إنه أبو فكيهة مولى أبي الحضرمي وكان أعجمي اللسان وكان يهودياً فأسلم . وذكروا أنه عاش غلام حاطب بن عبد العزى وكانا قد أسلما وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيهما ويعلمهما وكانا يقرءان كتابهما بالعبرانية ، فمن زعم أن في القرآن شيئاً أعجمياً فقد رد قول الله عز وجل وادعى بما لا برهان له.

مسألة : فإن قال قائل فقد رأينا في القرآن حرفاً هي في كلام العجمي ، قيل له هذا يكون ولكن لا ينسب إلى كلام العجم ،ما في القرآن منه شيء لأنه وقع في كلام العرب لأنه يكون في الحرف متفقاً في اللسانين جميعاً بلفظ واحد كالمشكاة وهي بالحبشية الكوة التي لا منفذ لها وكذلك هي بلسان العرب، وكذلك الكفلان هو الضعفان من الأجر بلسان الحبشة والكفل في كلام العرب الحظ والنصيب وهو على معاني في كلام العرب ، وكذلك التأويب هو تسبيح بلسان الحبشة وبلسان العرب قوله تعالى: (يا جبال أوبي معه)(٤) أي سبحي . والذي خاطب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم اللسان العربي وإن كانت وافقت اللفظة والمعنى لغة الحبشة وغيرهم وهو كثير معروف ٢٥٨ فقد تبين الحق لمن أراد الحق بأن القرآن كله عربي ليس فيه شيء غير العربي والحمد لله رب العالمين وبالله التوفيق .

---

(١) سورة فصلت : آية ٤٤ .

(٢) سورة النحل : آية ١٠٣ .

(٣) سورة النحل : آية ١٠٣ .

(٤) سورة سبأ : آية ١٠ .

مسألة : والقرآن حجة على من تلى عليه ولو كان التالى له صبياً أو ذمياً إلا أن الشيخ أبا محمد قال حتى يقرأ عليه ثلاث آيات على قول ، وعلى قول إذا كانت منتظمة بنظم يخرج من كلام الناس من الآيات منتظمات ، مثل قوله عز وجل : (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر)(١) الآية . وأما قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أقيموا الصلاة ، فلا تكون حجة ومثل هذا الذى بغير نظم . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يردد الآية من القرآن مراراً قال الله جل ذكره : (ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)(٢) ولم يقل ليقرءوا آياته وتكون قراءة النبى صلى الله عليه وسلم مرة واحدة مجزية من إعادة ذكرها حالا بعد حال بل قد ذم من يمر بالآيات ولا يتدبرها ويرى المعجزات فلا يتأملها قال الله جل ذكره (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)(٣) . روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من بلغه هذا القرآن فكأنى شافهته به ، ثم قرأ (وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ)(٤) ومن بلغه القرآن فقد لحقته النذارة وقامت عليه الحجة إلى يوم القيامة » . فكان من تلى عليه كتاب الله أو سمعه أنه ليس من كلام المخلوقين وأنه معجز ألم يسمع إلى قوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)(٥) فكل آية كافية تقوم به الحجة على من سمعه ، فمن تلى عليه فرد بعد سماعه فإنما هو ملحد ومتعنت . والقرآن كتاب الله جعله الله مهيمناً على الكتب (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(٦) ، فمن بلغه القرآن فلا حجة له على الله .

---

(١) سورة الإسراء : آية ٧٨ .

(٢) سورة ص : آية ٢٩ .

(٣) سورة يوسف : آية ١٠٥ .

(٤) سورة الأنعام : آية ١٩ .

(٥) سورة العنكبوت : آية ٥١ .

(٦) سورة فصلت : آية ٤٢ .

فصل

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة »(١) . وقال صلى الله عليه وسلم: «تعلموا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غمايتان أو فرقانان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما». وقال صلى الله عليه وسلم: «أعظم آية في القرآن آية الكرسي والذى نفسي بيده إن لها لساناً وشفتين يقدسان الملك عند ساق العرش » . والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال يسمين سبع الطوال . وسورة كانت تسمى الفاضحة يعني كانت فاضحة المنافقين مما أطلع الله نبيه على عوراتهم . عن ذر بن عبد الله قال سورة الملك هى المناعة من عذاب القبر ، قال وهى فى التوراة تسمى المناعة ، وفى الإنجيل تسمى الواقية ، ومن قرأها فى كل ليلة كان له من الأجر بلا حساب . وتسمى (قل يا أيها الكافرون) و(قل هو الله أحد) المقشقشتين ، أى المبرئتان من الكفر والشرك .

ذكر وهب أنه وجد فى التوراة سورة الجمعة أطول من سورة البقرة بنحو من ألف حرف وذلك أنها أنزلت فى التوراة مفسرة ، يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ، فذكر كل شيء فى السموات وفى الأرض فسمى كل شيء باسمه ، ونزلت على النبي صلى الله عليه وسلم مجملة . قال ابن عباس نزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة ونزل نجوماً إلى الأرض نجوماً ثم قرأ: (فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم)(٢) . عن البراء بن عازب قال : آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت آية النساء . عن ابن عباس قال : قال أبو بكر يا رسول الله شبت ! ! قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت ، وفى خبر آخر شيبتني هود و أخواتها . عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بالحال المرتحل ، قيل

(١) الباطل : ضد الحق . الشيطان . الساحر والجمع أباطيل وبطلة .

(٢) سورة الواقعة : الآيتان ٧٥–٧٦ .

يا رسول الله ومن الحال المرتحل ، قال : صاحب القرآن يقروءه حتى يبلغ آخره ثم يرجع ويقروءه من أوله آلى إخره فهو كالحال المرتحل. عن معاذ قال : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الخالق على المخلوق. وقال أبو سعيد ابن المعلا مر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى المسجد أصلى فدعانى فلم آته فلما فرغت آتيته فقال ما منعك أن تأتينى ؟ قال كنت أصلى . قال ألم [٢٦٠] يقل اللهعز وجل : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)(١) ثم قال : ألا أعلمك أفضل سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ قلت : بلى ! ! قال : فلما قام ليخرج ، قلت يا رسول الله الذى وعدتنى . فقال له الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم . عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أم القرآن كانت مودعة تحت العرش لم تعط أحد من الأنبياء قبلى .

* * *

فصل

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اعربوا القرآن والتمسوا إعرابه» . عن عبد الله أنه قال « ذكروا القرآن إذا اختلفتم فى التأنيث والتذكير فان القرآن مذكر » . عن ابن مسعود قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أحسن الصوت زينة القرآن ». عن أنس بن مالك أنه قال: ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت ، وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه حسن الصوت غير أنه لا يرجع . عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته حرفاً حرفاً ، وكان يقرأ هذه الحروف مالك يوم الدين .. عن عائشة قالت : كان يرتل قراءته آية آية . عن حذيفة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ القرآن طاهراً أو نضراً حتى يختمه ، غرس الله عز وجل له شجرة فى الجنة لو أن غراباً فرخ فى ورقة منها ثم نهض يطير لأدركه الهرم قبل أن يقطع تلك الورقة من الشجرة » . قال أبو عبدالله: من

---

(١) سورة الأنفال : آية ٢٤ .

كان يقرأ فى المصحف فانتقض وضوؤه فأطبقه هو ولم يرفعه إلى غيره ممن هو على وضوئه يطبقه فلا بأس . وقيل عن المفضل لابأس بقراءة القرآن ما لم يتغوط فان انتقض وضوؤه من غير تغوط لم يكن عليه بأس فى قراءة القرآن ، ولا يتكلم القارىء حتى يفرغ من قراءته ولا يضحك عند قراءته ولا يلغو ولا يلهو فيكون من المستهزئين بكتاب الله . ومن كتب القرآن فى شىء ثم أحرقه فلا تب مما صنع فبئس ما صنع والله تعالى أولى إن شاء عذبه وإن شاء رحمه |٢٦١| ومن كان فى ماء إن قعد ستره إلى حلقه ولا ثوب عليه فلا بأس عليه أن يقرأ القرآن كذلك .

فصل

قال الفراء نزلت التوراة مجملة ونزل الفرقان متفرقاً . وقيل نزلت التوراة مفسرة كان يفهمها بنو إسرائيل إذا قرئت عليهم ولا يحتاجون إلى أن يفسر لهم ، وإنما احتيج إلى تفسير القرآن لأنه أنزل مجملا بلغة العرب ومذاهبها . والتوراة نزلت سبعين وقر(١) بعير يقرأ الحرف فى سنة ولم يقرأها أحد إلا أربعة نفر : موسى بن عمران ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام ، والتوراة مأخوذ من أوريت الزناد إذا أخرجت منه ناراً . والتوراة أصلها ووراه فقلبت الواو تاء كما قلبت فى تولج وإنما هو وولج لأنه فوعل من ولجت ، والتولج الموضع الذى يولج فيه ، وأصل توراه ووراة يراد مما يورى ويضىء ويظهر . قال ابن الأنبارى أصل التوراة توراة على وزن تفعله فصارت التاء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجوز أن يكون تفعله فيكون أصلها تورية فينقل من الكسرة فتحة ، كما تقول العرب فى جارية جاراة ، وفى ناصية ناصاه ،

وانشد الفراء :

فما الدنيا بباقية لحى ولاحى على الدنيا بباق

* * *

(١) الوقر : الحمل الثقيل . الجمع أوقار .

فصل

فى الإنجيل : والإنجيل بالسريانية نجلته أى استخرجته، ومنه اشتق الإنجيل: والإنجيل مفعيل مثل إكليل معناه أن الله تعالى أخرجه من اللوح المحفوظ وأنزله على عيسى عليه السلام . وعن بعض أن معنى التوراة بالعبرانية توروه وتفسيره التأديب . واليهود تسمى التوراة أورثا ومعناه بلغتهم وارثة ، ورثوها عن موسى عليه السلام، وهو معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم «العلماء ورثة الأنبياء». وقيل الإنجيل مأخوذ من النجل: والنجل النسل، يقال هذا من نجل فلان أى من نسله .. قال الأعشى واسمه ميمون :

أنجت أيام والداه بـه   إذ نجلاه فنعم ما نجلا

وقال آخر :

إن قلت إن أبى فى ورث مكرمة   قالوا صدقت ولكن بئس مانجلا

وإن كان الإنجيل مأخوذ من النجال وهو منافع الماء والبروز الذى يظهر فى الوادى ، فإنما يعنى أنه مستنقع للحكم ومتبع للعلم أى قد جمع فيه العلم [٢٦٢] والحكمة فهو يبروء كما يبروء الماء أو ينبع من النجل، وهو النزه(١).. قال ابن قتيبة : كان الحق قد دثر وغير كثير من معالمه وكثر تحريف أهل الكتاب وخفى على الناس مما أحدثوا فأظهر الله تعالى ذلك الحق ، قال ابن الأنبارى وقرأ الحسن التوراة والإنجيل بفتح الهمزة فجعله أعجمياً لأنه ليس فى أبنية العرب اسم على المثال . ويقرب أيضاً معنى الإنجيل من المحلة ، وكانت العرب تسمى كل كتاب محلة ، قال النابغة :

محلتهم ذات الإلـــه ودينهم   قويم فما يرجون غير العواقب

وأما الزبور : فيقال كل كتاب زبور وهو مأخوذ من زبرت الكتاب أزبره زبراً إذا كتبته . قال أبو عبيدة فى قول الله عز وجل: (وإنه لفى زبر الأولين)(٢) ، قال الهذلى :

عرفت الديار كخط الدوى   يزبرها الكاتب الحميرى

---

(١) النزه : العفيف . المتباعد عن المكروه .

(٢) سورة الشعراء : آية ١٩٦ .

وقال أبو عبيدة ويقال زبرت الكتاب زبره زبراً، وذبرته ذبراً جميعاً أى كتبته، وقال الأصمعى زبرت كتبت وذبرت قرأت ، وقال الخليل الذبر بلغة هذيل كل قراءة خفيفة ذبرها يذبرها ذبراً ، وبعضهم يقول زبر الكتاب إذا كتب ، وبعضهم يقول الزبور بالشيء الفقه به والعلم .

فصل

القرآن نصفان، وهو ثلاثة أثلاث ، وهو أربعة أرباع ، وهو خمسة أخماس، وهو ستة أسداس ، وهو سبعة أسباع ، وهو ثمانية أثمان ، وهو تسعة أتساع ، وهو عشرة أعشار ، وهو ستمائة عاشر وعشرون عاشر، وهو ستون جزءاً وثلاثون جزءاً أو ثمانية وعشرون جزءاً ، وكل ذلك مكتوب فى كتب القرآن .

* * *

فصل

قال الدمشقى : عد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدنى والكوفى والشامى مائة وأربعة عشر سورة بالمعوذتين ، وعد آياته فى المدنى ستة آلاف ومائتان وسبعة عشر آية ، وفى الكوفى ستة آلاف وسبعة وثلاثون آية ، وفى الشامى ستة آلاف ومائتان وستة وعشرون آية . وهو تسعون ألف كلمة وستمائة وأربعة وعشرون كلمة . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال القرآن ألفا |٢٦٣| ألف وسبعة وعشرون ألف حرف فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين ، وفى رواية أخرى أن عدد حروفه ثلثمائة ألف وخمسة وعشرون ألف وثلثمائة وخمسة وأربعون حرفاً .

* * *

الباب السادس والأربعون

ما أنزل الله منه بمكة وما أنزل منه بالمدينة

فالذى أنزل بمكة فأوله اقرأ باسم ربك الذى خلق(١)، ثم نون والقلم(٢) ثم المزمل(٣) ، ثم المدثر(٤) ، ثم تبت(٥) ، ثم إذا الشمس كورت(٦) ، ثم سبح اسم ربك الأعلى(٧) ، ثم والليل(٨) ، ثم والفجر(٩) ، ثم والضحى(١٠) ، ثم ألم نشرح(١١) ، ثم العاديات(١٢) ، ثم العصر(١٣) ، ثم إنا أعطيناك(١٤) ، ثم ألهاكم(١٥) ، ثم أرأيت(١٦) ، ثم الكافرون(١٧) ، ثم ألم تر كيف(١٨) ، ثم الفلق(١٩) ، ثم الناس(٢٠) ، ثم قل هو الله أحد(٢١)

---

(١) سورة العلق (سورة ٩٦ من القرآن الكريم)
(٢) سورة القلم (سورة ٦٨ من القرآن الكريم)
(٣) سورة المزمل (سورة ٧٣ » » »)
(٤) سورة المدثر (سورة ٧٤ » » »)
(٥) سورة المسد (سورة ١١١ » » »)
(٦) سورة التكوير (سورة ٨١ » » »)
(٧) سورة الأعلى (سورة ٨٧ » » »)
(٨) سورة الليل (سورة ٩٢ » » »)
(٩) سورة الفجر (سورة ٨٩ » » »)
(١٠) سورة الضحى (سورة ٩٣ » » »)
(١١) سورة الشرح (سورة ٩٤ » » »)
(١٢) سورة العاديات (سورة ١٠٠ » » »)
(١٣) سورة العصر (سورة ١٠٣ » » »)
(١٤) سورة الكوثر (سورة ١٠٨ » » »)
(١٥) سورة التكاثر (سورة ١٠٢ » » »)
(١٦) سورة الماعون (سورة ١٠٧ من القرآن الكريم)
(١٧) سورة الكافرون (سورة ١٠٩ » » »)
(١٨) سورة الفيل (سورة ١٠٥ » » »)
(١٩) سورة الفلق (سورة ١١٣ » » »)
(٢٠) سورة الناس (سورة ١١٤ » » »)
(٢١) سورة الإخلاص (سورة ١١٢ » » »)

ثم النجم(٢٢) ، ثم عبس(٢٣) ، ثم إنا أنزلناه(٢٤) ثم والشمس وضحاها(٢٥)
ثم البروج(٢٦) ، ثم والتين(٢٧) ، ثم لإيلاف(٢٨) ، ثم القارعة(٢٩) ،
ثم لا أقسم بيوم القيامة(٣٠) ، ثم اللمزة(٣١) ، ثم المرسلات(٣٢) ،
ثم قاف والقرآن(٣٣) ، ثم لا أقسم بهذا البلد(٣٤) ، ثم والطارق(٣٥) ،
ثم اقتربت(٣٦) ، ثم ص(٣٧) ، ثم المص(٣٨) ، ثم قل أوحى(٣٩) ،
ثم يس(٤٠) ، ثم الفرقان(٤١) ، ثم فاطر(٤٢) ، ثم كهيعص(٤٣) ،

---

(٢٢) سورة النجم (سورة ٥٣ » » »)
(٢٣) سورة عبس (سورة ٨٠ من القرآن الكريم)
(٢٤) سورة القدر (سورة ٩٧ » » »)
(٢٥) سورة الشمس (سورة ٩١ » » »)
(٢٦) سورة البروج (سورة ٨٥ » » »)
(٢٧) سورة التين (سورة ٩٥ » » »)
(٢٨) سورة قريش (سورة ١٠٦ » » »)
(٢٩) سورة القارعة (سورة ١٠١ » » »)
(٣٠) سورة القيامة (سورة ٧٥ » » »)
(٣١) سورة الهمزة (سورة ١٠٤ » » »)
(٣٢) سورة المرسلات (سورة ٧٧ » » »)
(٣٣) سورة ق (سورة ٥٠ » » »)
(٣٤) سورة البلد (سورة ٩٠ » » »)
(٣٥) سورة الطارق (سورة ٨٦ » » »)
(٣٦) سورة القمر (سورة ٥٤ » » »)
(٣٧) سورة ص (سورة ٣٨ من القرآن الكريم)
(٣٨) سورة الأعراف (سورة ٧ » » »)
(٣٩) سورة الجن (سورة ٧٢ » » »)
(٤٠) سورة يس (سورة ٣٦ » » »)
(٤١) سورة الفرقان (سورة ٢٥ » » »)
(٤٢) سورة فاطر (سورة ٣٥ » » »)
(٤٣) سورة مريم (سورة ١٩ » » »)

ثم طه (٤٤) ، ثم الواقعة(٤٥) ، ثم الشعراء (٤٦) ثم النمل (٤٧) ، ثم القصص(٤٨) ، ثم سبحان الذى أسرى بعبده(٤٩) ، ثم يونس (٥٠)، ثم هود(٥١) ، ثم يوسف(٥٢) ، ثم الرعد(٥٣) ، ثم الأنفال(٥٤) ، ثم الصافات(٥٥) ، ثم لقمان(٥٦) ، ثم سبأ(٥٧) ، ثم تنزيل الكتاب(٥٨) ، ثم حم المؤمن(٥٩) ، ثم حم السجدة(٦٠) ، ثم حم عسق(٦١) ، ثم الزخرف(٦٢) ، ثم الدخان(٦٣) ، ثم حم الشريعة(٦٤) ، ثم الأحقاف(٦٥)

---

(٤٤) سورة طـــه (سورة ٢٠ من القرآن الكريم)
(٤٥) سورة الواقعة (سورة ٥٦ « « «)
(٤٦) سورة الشعراء (سورة ٢٦ « « «)
(٤٧) سورة النمـــل (سورة ٢٧ « « «)
(٤٨) سورة القصص (سورة ٢٨ « « «)
(٤٩) سورة الإسراء (سورة ١٧ « « «)
(٥٠) سورة يونس (سورة ١٠ « « «)
(٥١) سورة هـــود (سورة ١١ « « «)
(٥٢) سورة يوسف (سورة ١٢ « « «)
(٥٣) سورة الرعـد (سورة ١٣ « « «)ونلاحظ أن سورة الرعد مدنية .
(٥٤) سورة الأنفال (سورة ٨ « « «) وهى سورة مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكية .
(٥٥) سورة الصافات (سورة ٣٧ من القرآن الكريم)
(٥٦) سورة لقمـان (سورة ٣١ « « «)
(٥٧) سورة ســبأ (سورة ٣٤ « « «)
(٥٨) سورة الزمـــر (سورة ٣٩ « « «)
(٥٩) سورة غـــافر (سورة ٤٠ « « «)
(٦٠) سورة فصلت (سورة ٤١ « « «)
(٦١) سورة الشورى (سورة ٤٢ من القرآن الكريم)
(٦٢) سورة الزخرف (سورة ٤٣ « « «)
(٦٣) سورة الدخان (سورة ٤٤ « « «)
(٦٤) سورة الجاثية (سورة ٤٥ « « «)
(٦٥) سورة الأحقاف (سورة ٤٦ « « «)

ثم الذاريات(٦٦) ، ثم الغاشية(٦٧) ، ثم الكهف(٦٨) ، ثم النحل(٦٩) ، ثم نوح(٧٠) ، ثم إبراهيم(٧١) ، ثم الأنبياء(٧٢) ، ثم المؤمنون(٧٣) ، ثم تنزيل السجدة(٧٤) ، ثم والطور(٧٥) ، ثم تبارك الذى بيده الملك(٧٦) ، ثم الحاقة(٧٧) ، ثم سأل سائل(٧٨) ، ثم عم يتساءلون(٧٩) ثم النازعات(٨٠) ثم انفطرت(٨١) ثم انشقت(٨٢) ، ثم الروم(٨٣) ثم العنكبوت(٨٤) ، ثم المطففين(٨٥) ، فجميع ما أنزل بمكة خمسة وثمانون سورة(٨٦) ،

---

(٦٦) سورة الذاريات (سورة ٥١ من القرآن الكريم)
(٦٧) سورة الغاشية (سورة ٨٨ » » »)
(٦٨) سورة الكهف (سورة ١٨ » » »)
(٦٩) سورة النحل (سورة ١٦ » » »)
(٧٠) سورة نوح (سورة ٧١ » » »)
(٧١) سورة إبراهيم (سورة ١٤ » » »)
(٧٢) سورة الأنبياء (سورة ٢١ من القرآن الكريم)
(٧٣) سورة المؤمنون (سورة ٢٣ » » »)
(٧٤) سورة السجدة (سورة ٣٢ » » »)
(٧٥) سورة الطور (سورة ٥٢ من القرآن الكريم)
(٧٦) سورة الملك (سورة ٦٧ » » »)
(٧٧) سورة الحاقة (سورة ٦٩ » » »)
(٧٨) سورة المعارج (سورة ٧٠ من القرآن الكريم)
(٧٩) سورة النبأ (سورة ٧٨ » » »)
(٨٠) سورة النازعات (سورة ٧٩ » » »)
(٨١) سورة الانفطار (سورة ٨٢ من القرآن الكريم)
(٨٢) سورة الانشقاق (سورة ٨٤ من القرآن الكريم)
(٨٣) سورة الروم (سورة ٣٠ » » »)
(٨٤) سورة العنكبوت(سورة ٢٩ » » »)
(٨٥) سورة المطففين (سورة ٨٣ من القرآن الكريم)
(٨٦) لاحظ أن المؤلف ذكر أن سورة الرعد وسورة الأنفال من السور المكية ولكنهما من السور المدنية كما بينا فى الهامش . كذلك لم يذكر سورة الأنعام وهى مكية وهى السورة السادسة فى القرآن الكريم . وربما كان ذلك سهوا من الناسخ .

[٢٦٤] وما أنزل بالمدينة البقرة(١) ، ثم آل عمران(٢) ، ثم الأحزاب(٣) ، ثم الممتحنة(٤) ، ثم النساء(٥) ، ثم إذا زلزلت (٦) ، ثم الحديد(٧) ، ثم الذين كفروا(٨) ، ثم الحجر(٩) ، ثم الرحمن(١٠) ، ثم هل أتى(١١) ثم الطلاق(١٢) ، ثم لم يكن(١٣) ، ثم الحشر(١٤) ، ثم الفتح (١٥) ، ثم النور(١٦) ، ثم الحج(١٧) ، ثم المنافقون(١٨) ، ثم المجادلة(١٩) ، ثم الحجرات(٢٠) ، ثم المتحرم(٢١) ، ثم الجمعة(٢٢) ، ثم التغابن(٢٣) ،

---

(١) سورة البقرة (سورة ٢ من القرآن الكريم)
(٢) سورة آل عمران (سورة ٣ » » »)
(٣) سورة الأحزاب (سورة ٣٣ » » »)
(٤) سورة الممتحنة (سورة ٦٠ » » »)
(٥) سورة النساء (سورة ٤ » » »)
(٦) سورة الزلزلة (سورة ٩٩ » » »)
(٧) سورة الحديد (سورة ٥٧ » » »)
(٨) سورة محمد (سورة ٤٧ » » »)
(٩) سورة الحجر (سورة ١٥ من القرآن الكريم)
وسورة الحجر مكية وليست مدنية كما ذكر المؤلف إلا آية ٨٧ فمدنية .
(١٠) سورة الرحمن (سورة ٥٥ من القرآن الكريم)
(١١) سورة الإنسان (سورة ٧٦ » » »)
(١٢) سورة الطلاق (سورة ٦٥ » » »)
(١٣) سورة البينة (سورة ٩٨ » » »)
(١٤) سورة الحشر (سورة ٥٩ » » »)
(١٥) سورة الفتح (سورة ٤٨ » » »)
(١٦) سورة النور (سورة ٢٤ » » »)
(١٧) سورة الحج (سورة ٢٢ » » »)
(١٨) سورة المنافقون (سورة ٦٣ » » »)
(١٩) سورة المجادلة (سورة ٥٨ من القرآن الكريم)
(٢٠) سورة الحجرات (سورة ٤٩ » » »)
(٢١) سورة التحريم (سورة ٦٦ » » »)
(٢٢) سورة الجمعة (سورة ٦٢ » » »)
(٢٣) سورة التغابن (سورة ٦٤ من القرآن الكريم)

ثم الصف(٢٤) ، ثم الحواريون(٢٥) ، ثم إنا فتحنا لك(٢٦) ثم المائدة(٢٧) ، ثم التوبة(٢٨) وهى آخر القرآن(٢٩) . وآخر القرآن (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)(٣٠) إلى آخر الآية .

وقال مقاتل بن سليمان آخر ما أنزل من القرآن يوم الجمعة يوم عرفة والناس وقوف بعرفات رافعى أيديهم بالدعاء (اليوم أكملت لكم دينكم(٣١) فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ولا حكم ولا حدود ولا فريضة غير آيتين من سورة النساء فى آخرها قوله تعالى (ويستفتونك)(٣٢) إلى آخرها ، وعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إحدى وثمانين ليلة ، ثم توفى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول . وفاتحة الكتاب قيل إنها مدنية ، وقيل إنها مكية والله أعلم .

فصل

عن الضحاك قال : كل ما فى القرآن :(ياأيها الناس) فانه أنزل بمكة ، وكل ما كان : (يا أيها الذين آمنوا) فانه أنزل بالمدينة . عن ابن عباس: كل ما فى القرآن :(وأخذ الذين ظلموا الصيحة)(٣٣) يريد صيحة جبرائيل

---

(٢٤) سورة الصف (سورة ٦١ « « »)

(٢٥) لا نعرف فى القرآن الكريم سورة باسم « الحواريون »؟ ولعله يعنى سورة المائدة وإن كان ذكر سورة المائدة بعد ذلك .

(٢٦) سورة الفتح (سورة ٤٨ من القرآن الكريم) .

(٢٧) سورة المائدة (سورة ٥ من القرآن الكريم)

(٢٨) سورة التوبة (سورة ٩ من القرآن الكريم)

(٢٩) روى أن آخر ما نزل من السور هى سورة النصر وقد نزلت فى منى فى حجة الوداع بعد التوبة .

(٣٠) سورة التوبة : آية ١٢٨ .

(٣١) روى أن الوحى نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام فى عرفات فى حجة الوداع بقوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) . سورة المائدة : آية ٣ .

(٣٢) سورة النساء : الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣٣) سورة هود : آية ٦٧ .

عليه السلام . وكل بخس من كتاب الله عز وجل فهو نقصان إلا قوله عز وجل : (وشروه بثمن بخس)(٣٤) فإن هذا حرام وذلك أن ثمن الحر حرام . عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ماكان من الأمثال والقرون وذكرت فيه الأمم والقرون والأنبياء فهو ما نزل بمكة ، وماكان من الحدود والفرائض أنزل بالمدينة ، وعنه قال كل شيء ضربت فيه الأمثال وذكرت فيه الأمم والقرون والأنبياء فهو ما نزل بمكة ، وكل شيء من الفرائض والحدود والجهاد فهو بالمدينة . وقالوا كل ما كان من صنعة الله فهو السُّد ، |٢٦٥| وماكان من صنعة بنى آدم فهو السد بالفتح . وقيل كل ماكان من الرجفة فهو فى دارهم ، وماكان فى الصيحة فى ديارهم. قال المفضل، قال الفراء وسفيان بن عيينة كل ماكان فى القرآن من قوله تعالى: (وما أدراك) فقد أدراه وماكان: (من يدريك) فلم يدره والله أعلم، قال: (فما أنا) فما مخرجهما عندى إلا على التعظيم والتعجب .

* * *

(٣٤) سورة يوسف : آية ٢٠ .

الباب السابع والأربعون

فى التأويل والتفسير

اختلف الناس فى معنى التأويل فقال قوم هو التفسير بعينه ، وقال آخرون بل هو غير التفسير . وحكى عن ثعلب عن ابن الأعرابى أنه قال : التأويل والتفسير كله سواء ، ثم قال هو معرفة الحقائق والحقيقة والعاقبة ، وأنشد :

وللأحبة أيـام تذكرها ... وللنوى بعد يوم البين تأويل

أى عاقبة. وقال غيره التأويل غير التفسير إنما التفسير ما ترويه العامة عن التفسير ، وقالوا هذا تفسير القرآن ولم يقولوا هذا تأويل القرآن . وإنما التأويل معانى غامضة لطيفة لا يعلمها إلا العلماء المتيقنون . قالوا تأويل كل شىء ما يبدو فى آخره وما يكون من عواقبه ، هكذا فى لغة العرب .

قال الأعشى وأنشد :

على أنها كانت تأول حبها ... تأول ربعى السقاب(١) فأصحبا

قال أبو عبيدة تأول حبها أى عاقبة حبها ومرجعه ، أى كان صغيراً فى قلبه فلم يزل ينمو حتى أصحب ، يقال أصحب السقب إذا شبت حتى يصير مثل أمه . يقول لم يزل ينبت الحب فى قلبه حتى صار كبيراً هكذا السقب لأنه كان صغيراً فلم يزل يتربى مع أمه حتى أصحب ، كأنه أراد مأخوذ من : آل يئول إليه. والتأويل على ثلاثة أوجه : هو أثر الشىء ومنتهاه ، وهو تفسير الشىء الذى يراد به وما يصير إليه أمره ، وتأويل الرؤيا من ذلك ، وهو فى الأعمال العقوبات وهو آخر أمرها والأصل واحد ، وعن مجاهد فى قوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله)(٢) أى هل ينظرون إلا بيانه ومعانيه وتفسيره ؛ وقيل آخر أمره ومنتهاه . [٢٦٦] ويقال تأول تأولا وآل يئول أولا ،

---

(١) السقب : ولد الناقة ساعة يولد. وقد ورد بيت الشعر فى المخطوطة وبه تصحيف وأخطاء قمنا بتصحيحها .

(٢) سورة الأعراف : آية ٥٣ .

إذا انتهى . وعن مجاهد فى قوله عز وجل: (نبئنا بتأويله)(١) ، قال به .
وقال أبو عبيدة تأول الرؤيا وهو الشيء الذى يئول إليه . وأنشد غيره لمحمد
ابن ثور قال :

فقلت علىّ الله لا تذعرنهــا   فقد أولنــا أن اللقاء قريب

يصف ظبيتين مرتا به فتيمن بهما فنهى صاحبه عن رميهما ، وقوله أولنا أى
فسرنا بالعاقبة وإنما اعتاق بضمرهما وزجرهما وتيمن بهما فصار عاقبة والعاقبة
تدل على أن اللقاء قريب . فكأن التأويل هو الشيء الذى يرجع إليه الإنسان
من معنى التنزيه فيكون فيه نجاته من الشك والشبهة ، ويصير ملجأ وموئلا
قد آل إليه . والتأويل هو التفعيل من الأول ، يقال تأول أى تفعل من الأول
كأن الناظر فى الشيء والمتأول له يعتريه فيعرف حقيقة كيف كان أوله وإلى
ما يعود آخره . قال عز وجل : (هل ينظرون إلا تأويله)(٢) أى أوله إلى مآله ،
خلق وعوله إلى مأمنه ، يدل أن العواقب يعود إلى الأوائل. قال عز وجل:
(كما بدأكم تعودون)(٣) ، الكلام فى هذا يطول .

فصل فى تفسير القرآن أيضاً

والتفسير والفسر واحد وهو بيان وتفضيل الكتب ، والتفسرة اسم البول
الذى ينظر إليه الأطباء يستدل به على مرض البدن ، وكل شيء يعرف به
تفسير الشيء فهو يفسر به . وفى التفسير أيضاً عن ابن عباس قال : تفسير
القرآن على أربعة أوجه : تفسير يعلمه العلماء ، وتفسير يعرفه العرب ، وتفسير
لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فمن ادعى علمه
فهو كاذب . وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قال فى القرآن
بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » . وسئل أبو بكر رضى الله عنه عن آية

---

(١) سورة يوسف : آية ٣٦ .
(٢) سورة الأعراف : آية ٥٣ .
(٣) سورة الأعراف : آية ٢٩ .

من كتاب الله عز وجل فقال : « أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا أنا قلت فى كتاب الله برأى » . وسئل الخليل عن قوله عز وجل : (وتله للجبين)(١) قال هذا كلام الله ليس لنا أن نقول فيه من العقل أى لا يفهم له عقلا . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : «ما نزل من القرآن آية إلا لها ظهر وبطن » .

٢٦٧/أ

مسألة : واختلفوا فى تأويل القرآن هل يقبل بقول واحد ، فمنهم من قال بواحد ، ومنهم من قال الحجة فى التأويل باثنين ، وقال أهل الاستقامة التنزيل بواحد فالواحد فى التنزيل محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما التأويل فاذا كان واحد ممن يبصر التأويل فجائز قوله وهو حجة وقالوا فيه مثل الربيع ، وأما إذا كان بغير هذه الصفة فلا يكون حجة التأويل إلا فيما يصح وقام دليله ، وأما جميع القرآن فحتى يكون مثل الربيع بن حبيب البصرى رحمه الله .

مسألة : من تأول القرآن على غير تأويله فهو كافر ، ولم يدخل فى الشرك ومن تأوله من غير القرآن مثل قوله تعالى : (إلى ربها ناظره)(٢) ، وقال ينظر إليه يوم القيامة فقد أخطأ بلا شرك . ولا يحل لأحد أن يفسر القرآن بغير معرفة . وإذا لم يحرفه متعمداً فأرجو أنه لا يأثم إذا تأول على وجه اللغة والسنة ، ومن فسر القرآن بغير معرفة فعليه التوبة من ذلك .

* * *

(١) سورة الصافات : آية ١٠٣ .

(٢) سورة القيامة : آية ٢٣ .

الباب الثامن والأربعون

فى أحكام القرآن من كتاب الضياء

طعن قوم من الملحدين فى القرآن باختلاف القرآن واختلاف أهل العلم فى قول الرسول عليه السلام: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف». فلا معنى لطعن الملحدين فى هذا الوجه لأنهم ذهبوا من الاختلاف إلى المنافقين فلم يجدوا ذلك والحمد لله وليس بمستحيل أن يترك الحكيم كتاباً يأمر بحفظه ودرسه ويبيح فى قراءته الوجوه الصحيحة. وتفسير قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، قال بعض أهل [٢٦٨] العلم بالقرآن، ذهب إلى أن سبعة أحرف وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج، وقال بعضهم حرام وحلال وأمر ونهى وخبر ما كان بعد وأمثال، وقال قوم هى سبعة أوجه من اللغات متفرقة فى القرآن لأنه لا يوجد فيه حرف قرىء على سبعة أحرف، وقال بعضهم هى سبع لغات فى الكلمة، وقد تكلم أهل العلم فى هذا المعنى وأكثروا وبينوا معانى قولهم بالاحتجاج الصحيح وهو معروف فى آثارهم زيادة إن شاء الله.

• • •

الباب التاسع والأربعون

فى الناسخ والمنسوخ

النسخ على ثلاثة أوجه فوجهان منها مفهومان عند العامة فأحدهما انتساخ الشيء من كتاب كان قبله إلى كتاب آخر ، والآخر نسخ الشيء وتحويله، والثالث أن يحصى الشيء على عامله نحو قوله عز وجل : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق)(١) انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ، يريد والله أعلم أنا كنا نحصيه عليكم . فأما انتساخ الكتاب من كتاب كان قبله إلى كتاب آخر بعده فقد أخبرنا الله عز وجل أن القرآن فى لوح محفوظ ، لقوله عز وجل (بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ)(٢)، وبقوله :(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)(٣) . فاذا كان القرآن فى أم الكتاب ثم أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم فانما أنزل نسخه ما فى ذلك اللوح المحفوظ وذلك عند الله سبحانه وتعالى . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر يوماً حديثاً فقال ذلك أوان نسخ القرآن فقال رجل كالأعرابى : يا رسول الله ما ينسخ ؟ أوكيف ينسخ ؟ فقال عليه السلام : يذهب بأهله ويبقى رجال كأنهم النعام، يعنى خلة الطير . قال الله سبحانه وتعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)(٤) .. الآية ، يعنى خيراً منها [٢٦٩] لكم أو مثلها فى العمل والفضل ، أو ننسها فنتركها على حالها والله أعلم . وقال قوم ننسها فلا يقرأ على وجه الدهر أى ينهى عن قراءتها فلا تقرأ حتى تنسى .

---

(١) سورة الجاثية : آية ٢٩ .

(٢) سورة البروج : الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

(٣) سورة الرعد : آية ٣٩ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٠٦ .

كتب فى المخطوطة سهواً « أو ننساها » بدلا من « أو ننسها » .

فصل

والنسخ لا يقع إلا فى الأمر والنهى ولن يجوز ذلك فى الخبر لأنه لا يجوز أن يقول الصادق جل ذكره لشىء أنه يكون ثم يقول إنه لا يكون ، وكذلك الماضى لأن هذا لا يجوز على الله سبحانه وتعالى ، والأخبار ثابتة بهيئتها والنسخ لها غير جائز عليها لأن الحكيم لا يخبر إلا وهو عالم بما أخبر عنه وعلى ما المخبر به منه فمخبرات الله تعالى صحيحة وأخباره صادقة فصيحة لاستحالة البداء مع علم العواقب . وكذلك الوعد والوعيد من الله تعالى واجبان فى ذلك .

مسألة : والناسخ ما قام حجته فى المأمور به والمنهى عنه فالقيام حجة منسوخة قبل نسخه لأن الحكيم من صفته تعالى أنه لا يلزم أمره إلا بحجة يقطع بها عذر المأمور به ولا حجة على الله تعالى لخلقه . وقال جابر بن زيد رحمه الله : من زعم أن الوعيد من الله منسوخ بقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (١) لقد كذب لأن الناسخ المنسوخ فى الأمر والنهى أن يأمر عباده بأمر ثم يخفف عنهم أو ينهى عن أمر ثم يرخص لهم به ، فالله عز وجل لا ينسخ الاخبار ، وإنما نسخ الأحكام . واختلف فى هذا الباب اختلافاً كثيراً . قال قوم إن المنسوخ ما رفع تلاوته وتنزيله كما رفع العمل به ، وقال آخرون إن النسخ لا يقع فى قرآن قد تلى وحكم بتلاوته النبى صلى الله عليه وسلم ولكن النسخ ما أبدل الله تعالى منه فى حكم ، والتفسير الذى أزاح عنهم ما قد كان يجوز أن يمتحنهم به من الأمور الشداد التى يتعبد بها من كان قبلهم من الأمم وهرب هؤلاء من أن يقولوا إن الله تعالى |٢٧٠| ينسخ شيئاً بعد نزوله والعمل به ، وزعموا أن من وصفه تعالى بذلك فقد وصفه بالبداء . وقال آخرون إنما الناسخ والمنسوخ هو نسخ القرآن من اللوح المحفوظ الذى هو أم الكتاب ، والنسخ لا يكون إلا من أصل . وقال آخرون بل يجوز أن ينسخ قرآناً أنزله بأن يبدل به آية أخرى بضد ما نزلت به الأولى فتتلى الآية كما كانت تتلى ويكون العمل على الأخرى ، وقد يجوز أن يرفع الله تلاوة

---

(١) سورة النساء : الآيتان ٤٨ ، ١١٦ .

الأولى كما رفع العمل بها . واختلفوا فى وجه آخر ، قال قوم لا ينسخ القرآن إلا بقرآن مثله ، وقال آخرون بل السنة تنسخ القرآن والقرآن لا ينسخ السنة(١) وقال آخرون بل السنة . إذا كانت من طريق الوحى ، وإن لم يكن ما أوحى به فيها قرآناً فانها تنسخ القرآن إذا كانت من طريق الاجتهاد والرأى فانها لا تنسخ بل يكن النبى صلى الله عليه وسلم ليجتهد فى أمر فيحكم بخلاف ما فى القرآن : قالوا والقرآن ينسخ السنة عن أمر الله أو باجتهاد من النبى صلى الله عليه وسلم والسنة عنده تنسخ القرآن(٢) ، قال الشيخ أبو محمد رحمه الله كاف النظر بوجب عندى أن القرآن والسنة حكمان لله تعالى ينسخ واحد منهما بالآخر(٣) ويدل على ذلك قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)(٤) فأخبر جل ذكره أن الكل من عنده وبأمره . والذى عليه جل فقهاء أصحابنا أن القرآن ينسخ القرآن وينسخ بالسنة وعلى هذه الأقاويل واختلافها احتجاجات تركتها اختصاراً . ذكر ما نسخ بالبقرة أول ما نسخ فيها ذكروا من القبلة ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى هو وأصحابه قبل الكعبة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ، فلما أسرى به إلى بيت المقدس ليلا أمر بالصلوات الخمس وكان يستقبل الكعبة ووجهه نحو بيت المقدس قبل مخرجه بسنتين فصارت الركعتان للمسافر ، والمقيم أربع ركعات ، فلما [٢٧١] هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول أمر الله تعالى نبيه أن يصلى نحو بيت المقدس فصلى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أول مقدمه إلى المدينة نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، وصلت الأنصار بسنتين قبل هجرته صلى الله عليه وسلم ، وذلك قوله عز وجل : (ولله المشرق والمغرب)(٦) :: الآية

---

(١) ، (٢) ، (٣) يعتبر الحديث الشريف والسنة النبوية الشريفة ، المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم . فهو يبين القرآن الكريم ويفصل الأحكام المجملة التى وردت فى القرآن كما يخصص العام ، ويقرر أحكاماً لم ينص عليها الكتاب .

(٤) سورة النجم : آية ٣ — ٤ .

(٥) انظر أيضاً فى الناسخ والمنسوخ فى القرآن والسنة : الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٦) سورة البقرة : آية ١١٥ .

وكانت الكعبة القبلة أحب القبلتين إليه صلى الله عليه وسلم فنسخ القبلة الأولى: (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام)(١) .. الآية ، فصارت القبلة إلى بيت المقدس منسوخة بهذه الآية ، ونزلت فى رجب قبل قتال بدر بشهرين وصارت الكعبة قبلة المسلمين إلى أن تقوم الساعة . وقال تعالى : (وَدَّ كثير من أهل الكتاب) إلى قوله عز وجل : (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره)(٢) ، نسختها الآية التى فى براءة وهو قوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله)(٣) .. الآية . وقيل كل شىء فى القرآن : (فتول عنهم)(٤) و (أعرض عنهم)(٥) ، و (فاصفح عنهم)(٦) ، و(ما أنت عليهم بحفيظ)، و(ما أنت عليهم بمسيطر) و(ما أنت عليهم بجبار) ، و(ما جعلناك عليهم حفيظاً) وما أشبه هذا فهو منسوخ ، نسخته آية السيف فى براءة وهو قوله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)(٧) . قال ابن عباس : نسخ نقض المواثيق كلها سورة براءة ، وكل شىء فى القرآن مثل: (إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم)(٨) نسخته الآية التى فى الفتح (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)(٩) : وقال عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)(١٠) ، نزلت قبل قتال بدر بشهرين ، يعنى فرض عليكم كما

---

(١) سورة البقرة : آية ١٤٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٠٩ .

(٣) سورة التوبة : آية ٢٩ .

(٤) سورة الصافات : آية ١٧٤ : وسورة الذاريات : آية ٥٤ .

(٥) سورة المائدة : آية ٤٢ .

(٦) سورة الزخرف : آية ٨٩ .

(٧) سورة التوبة : آية ٥ .
وفى المخطوطة كتب سهواً « واقتلوا المشركين » بدلا من (فاقتلوا المشركين) .

(٨) سورة الأنعام : آية ١٥ ؛ وسورة يونس : آية ١٥ ؛ وسورة الزمر : آية ١٣ .

(٩) سورة الفتح : آية ٢ .

(١٠) سورة البقرة : آية ١٨٣ .

فرض على أهل الإنجيل أمة عيسى عليه السلام . وكان الصوم الأول من صلى العشاء الآخرة حرم عليه ما يحرم بالصائم بالنهار إلى |٢٧٢| مثلها من القابلة قبل غروب الشمس فاشتد ذلك الصوم على المسلمين ، فنسخ ذلك قوله تعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) .. الآية . ونزلت الرخصة فى الجماع بعد الصلاة وبعد النوم فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونزلت الرخصة فى الطعام والشراب بعد الصلاة وبعد النوم فى صرمة ابن أنس الأنصارى رحمه الله ، وذلك أن عمر جامع أهله بعد صلاة العشاء فلما فرغ ندم وبكى فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، وقال يا رسول الله إنى أعتذر إليك من نفسى هذه الخاطئة واقعت أهلى بعد الصلاة فهل تجد لى من رخصة ؟ قال صلى الله عليه وسلم :لم تكن جديراً بذلك يا عمر فرجع عمر حزيناً ، وأتى النبى صلى الله عليه وسلم صرمة بن أنس عند المساء وقد أجهده الصوم ، فقال يا ابن قيس مالك أمسيت طليحاً ؟ فقال : يا رسول الله ظللت فى نهارى أمس فى حديقتى ، فلما أمسيت أتيت أهلى فأرادت المرأة أن تطعمنى شيئاً سخناً فأبطأت على الطعام فنمت فأيقظتنى وقد حرم على الطعام وقد أجهدنى الصوم . واعترف رجل من المسلمين بما كانوا يصنعون بعد صلاة العشاء وبعد النوم فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما توبتنا ومخرجنا مما فعلنا ؟ فأنزل الله عز وجل (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب)(١) ثم نزلت فى عمر :(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)(٢) .. الآية . ثم نزلت فى صرمة بن أنس: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود)(٣) .. الآية . فصار ما كان محرماً من الطعام والشراب والجماع بعد صلاة العشاء وبعد النوم محللا لهم الليل كله . وأتى لبيد بن عبد الأسهل الأنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما على من عجز عن الصوم وكان شيخاً قد كبر فنزلت (وعلى الذين |٢٧٣| يطيقونه فدية طعام

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٦ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٨٧ .

مسكين)(١) فأوجب صلى الله عليه وسلم نصف صاع من حنطة كل يوم ثم قال : (فمن تطوع خيراً فهو خير له) (٢) أى فمن زاد على مسكين فأطعم مسكينين أو ثلاثة مكان يوم فهو خير له من أن يطعم مسكيناً واحداً ، (وأن تصوموا خير لكم) (٣) من الطعام إن كنتم تعلمون . وكان هذا فى الصوم الأول كانوا بالخيار من إطعام المساكين أو الصوم ، ثم حولهم على الخيار وأثبت الصوم على من يطيق الصوم وليس مريضاً وشهد شهر رمضان فى أهله ، فصارت فدية طعام مسكين منسوخة نسختها : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن)(٤) فأوجب الصوم على من يطيقه وشهد شهر رمضان فى أهله فثبتت الرخصة للمريض والمسافر لقوله عز وجل :(ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)(٥) .. الآية . وقال عز وجل: (يسألونك ماذا ينفقون)(٦) نزلت هذه الآية قبل أن تفرض الزكاة فصارت منسوخة نسختها آية الصدقات فى براءة قوله عز وجل : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين)(٧) وقال عز وجل : (يسألونك عن الخمر والميسر)(٨) .. الآية ، والمنافع التجارة بها ثم نسختها (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) (٩).. الآية فصارت كل آية من الخمر والميسر والمسكر منسوخة بهاتين الآيتين اللتين فى المائدة . وقال عز وجل : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)(١٠) فان المشركات كلهن حرام على المسلمين ، ثم استثنى منهن نساء أهل الكتاب وثبت تحريم

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٨٤ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٨٤ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٨٥ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٨٥ .

(٦) سورة البقرة : آية ٢١٥ .

(٧) سورة التوبة : آية ٦٠ .

(٨) سورة البقرة : آية ٢١٩ .

(٩) سورة المائدة : آية ٩٠ .

(١٠) سورة البقرة : آية ٢٢١ .

المشركات من غير أهل الكتاب ، وقال عز وجل :(وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)(١) .. الآية . فصارت منسوخة بالآية التى بعدها : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)(٢) . فقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما زعموا عند ذلك أن الله تجاوز عن أمتى ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعلموا ويتكلموا به . ومن آل عمران قوله عز وجل :(يا أيها الذين |٢٧٤| آمنوا اتقوا الله حق تقاته)(٣) ، وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ، وقال تعالى فى سورة الحج :(وجاهدوا فى الله حق جهاده)(٤). فاشتد ذلك على المسلمين ثم صارتا منسوختين بالآية التى فى التغابن وهو قوله تعالى :(فاتقوا الله ما استطعتم)(٥) أى ما أطعتم . ومن النساء قوله تعالى عز وجل :(وإذا حضر القسمة أولوا القربى)(٦) ذلك فى قسمة المواريث يعنى الأقرباء الذين ليس لهم نصيب فى الميراث ، نسختها آية الميراث . وقال ابن عباس إنها محكمة وليست منسوخة . وقال تعالى: (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم)(٧) .. الآية ، نسختها الآية التى فى النور (الزانى والزانية)(٨) ، وزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال جاء الله بالسبيل . وقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر الله أكبر ثلاث مرات جاء الله بالسبيل ، وقال تعالى: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة)(٩) . وهذا فى المتعة صارت منسوخة بآية الطلاق والمواريث ، ومن قال السنة تنسخ الكتاب نسخها قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا نكاح إلا بولى وشاهدين »، وقال تعالى:

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٨٦ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٢ .

(٤) سورة الحج : آية ٧٨ .

(٥) سورة التغابن : آية ١٦ .

(٦) سورة النساء : آية ٨ .

(٧) سورة النساء : آية ١٥ .

(٨) سورة النور : آية ٢ .

(٩) سورة النساء : آية ٢٤ .

﴿ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون﴾(١) فصارت منسوخة بالآية التى فى آخر الأنفال بعد غزوة الأحزاب: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾(٢) .. الآية. ومن المائدة قوله عز وجل ﴿لا تحلوا شعائر الله﴾(٣) لا تحلوا من المناسك ولا الشهر الحرام أى لا تستحلوا فيه القتال، وللهدى لا تستحلوا أخذه ولا القلائد أى لا تحقنوا من قلد بعيره ولا تستحلوا قتل آمين البيت من حجاج مشركى العرب، يعنى شريحاً وأصحابه، يبتغون بتجارتهم فضلا من الله ورزقاً فى التجارة، ثم صارت هذه الآية منسوخة بالسيف فى براءة.

وقال أبو ميسرة ليس فى المائدة نسخ. وقيل للحسن ٢٧٥ سخ فى المائدة شىء؟، قال: لا. وقد وجدت فيها آيات منسوخة والله أعلم. ومن الأنعام كل ما فى السورة من العفو والإمساك عن المشركين فهو منسوخ بآية السيف فى براءة(٤) وقوله تعالى: ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾(٥) فكان المسلمون يعطون الزكاة من ثمارهم شيئاً غير معروف فنسختها آية الصدقات فى براءة. ومن الأعراف قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾(٦) فأمر الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بأخذ الصدقة من فضل أموالهم وأمر بالعرف أى أمرهم بالمعروف، وأعرض عن الجاهلين وهم أعداء الله الذين جهلوا على النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فنسخت آية الصدقات التى فى براءة العفو التى ذكر الله تعالى، ونسخت آية السيف التى فى براءة الاعراض عن المشركين الجاهلين ومن الأنفال قوله عز وجل: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾(٧) الآية

---

(١) سورة النساء: آية ٣٣.

(٢) سورة الأنفال: آية ٧٥.

(٣) سورة المائدة: آية ٢.

(٤) هى الآية ٣٦ من سورة التوبة (أنظر: الفيروزابادى: بصائر ذوى التمييز ج ١، ص ١٢٥).

(٥) سورة الأنعام: آية ١٤١.

(٦) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

(٧) سورة الأنفال: آية ١٦.

إنما كان ذلك يوم بدر وحده ، نسختها قوله تعالى: (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان)(١) .. الآية . وقال بعض إنها غير منسوخة والله أعلم . وقوله: (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال)(٢).. الآية وهو أول قتال كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلم يطق المؤمنون أن يقابل الرجل الواحد منهم عشرة من المشركين فصارت منسوخة نسختها: (الآن خفف الله عنكم)(٣) الآية ومن براءة لما أسلمت العرب طوعاً وكرهاً صارت آية السيف منسوخة نسختها الآية التى فى البقرة: (لا إكراه فى الدين)(٤).. الآية. فرفع السيف عن المشركين إذا أقروا بالخراج. وقوله عز وجل: (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)(٥) ، فصارت لم أذنت لهم منسوخة بالآية التى فى النور: (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم)(٦) .. الآية . وقوله تعالى: (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) [٢٧٦] إلى قوله : (فهم فى ريبهم يترددون)(٧) ، فصارتا منسوختين نسختهما الآية التى فى النور (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله)(٨) نزلت فى عمر رحمه الله . وقوله تعالى (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً)(٩) نسختها الآية التى فى براءة (وما كان المؤمنون لينفروا كافة)(١٠). ومن هود قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها)(١١) أى من كان يريد بعمله الصالح ثواب الدنيا وزينتها، نزلت فى المشركين ، نوف إليهم أعمالهم فيها جزاء

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٥ .

(٢) سورة الأنفال : آية ٦٥

(٣) سورة الأنفال : آية ٦٦ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

(٥) سورة التوبة : آية ٤٣ .

(٦) سورة النور : آية ٦٢ .

(٧) سورة التوبة : الآيتان ٤٤ ، ٤٥ .

(٨) سورة النور : آية ٦٢ .

(٩) سورة التوبة : آية ٣٩ .

(١٠) سورة التوبة : آية ١٢٢ .

(١١) سورة هود : آية ١٥ .

أعمالهم فى الدنيا، ثم صارت منسوخة نسختها: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)، ثم رد المشيئة إلى نفسه (ثم جعلنا له جهنم)(١)... الآية .
ومن النحل (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً)(٢) هذه الآية والخمر يومئذ حلال ، ثم صارت آية السكر منسوخة بالآية التى فى المائدة: (إنما الخمر والميسر)(٣).. الآية . وقوله تعالى: (من كفر بالله من بعد إيمانه) نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ونفر معه . ثم استثنى فقال تعالى: (إلا من أكره)(٤) .. الآية ، فصارت منسوخة نسختها : (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا)(٥) أى من بعد ما عذبوا بمكة ثم جاهدوا العدو بالمدينة وصبروا على الهجرة .. الآية . وإنما ارتد عبد الله ابن سعد عن الإسلام لأنه كان يكتب لرسول الله عليه صلى الله وسلم فاذا أملى عليه غفوراً رحيما ، كتب هو عليم حكيم، وإذا أملى عليه سميع عليم كتب سميع بصير وأمثاله ،والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ولا يغيره لأنه صلى الله عليه وسلم أمى لا يعرف الكتاب ، فشك عبد الله بن سعد فى الإسلام ، فقال كتبت غير الذى قال فلم يغير على، فأزله الشيطان وألحقه بالكفر فأمر النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أن يقتل فاستجاز له عثمان بن عفان وكان أخاه من |٢٧٧| الرضاعة فأجازه النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقتله .
ومن سورة بنى إسرائيل قوله عز وجل : (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما)(٦) .. الآية ، نزلت فى سعد بن أبى وقاص كان قد أسلم وأمه مشركة ،قال تعالى: (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا)(٧) ثم صارت

---

(١) سورة الإسراء : آية ١٨ .
(٢) سورة النحل : آية ٦٧ .
(٣) سورة المائدة : آية ٩٠ .
(٤) سورة النحل : آية ١٠٦ .
(٥) سورة النحل : آية ١١٠ .
(٦) سورة الإسراء : آية ٢٣ .
(٧) سورة الإسراء : آية ٢٤ .

(قل رب ارحمهما) منسوخة إذ كان أبويه كافرين نسختهما الآية التى فى براءة : (ما كان للنبى) أى ما كان ينبغى للنبى (والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)(١) فلا يجوز لمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين . وقوله عز وجل : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا)(٢) بين الخفض والرفع ، فصارت منسوخة بالآية التى فى الأعراف : (واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر)(٣) .. الآية . ومن الأنبياء (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)(٤) .. الآية ، ثم استثنى مما تعبد هذه الأربعة : الملائكة ومريم وعيسى والعزير فقال : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى)(٥) .. الآية . ومن العنكبوت : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) ولا تجادلوهم البتة ، ثم استثنى فقال فى التقديم : (إلا الذين ظلموا منهم)(٦) وهم اليهود يجادلوهم بالقرآن نسختها آية السيف فى براءة . ومن الأحزاب (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن)(٧) .. الآية ، وكانت المتعة فريضة لكل مطلقة فصارت المتعة منسوخة إن كان فرض لها صداقاً ، نسختها الآية التى فى البقرة وهو قوله : (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم)(٨) .. الآية . ومن الجاثية : (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) (٩) نزلت فى عمر رحمه الله وذلك أنه كان بمكة فشتمه رجل من المشركين ، [٢٧٨] فهم عمر به فنزلت : قل للذين آمنوا ، يعنى عمر رحمه الله ، يغفر للذين لا يرجون أيام الله ، أى لا يخشون

---

(١) سورة التوبة : آية ١١٣ .

(٢) سورة الإسراء : آية ١١٠ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٢٠٥ .

(٤) سورة الأنبياء : آية ١٩٨ .

(٥) سورة الأنبياء : آية ١٠١ .

(٦) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٧) سورة الأحزاب : آية ٤٩ .

(٨) سورة البقرة : آية ٢٣٧ .

(٩) سورة الجاثية : آية ١٤ .

أيام الله ، أى عقوبات الأمم الخالية، فصارت منسوخة بآية السيف فى براءة (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)(١) ومن الأحقاف : (قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم)(٢) نزلت هذه الآية بمكة ففرح كفار مكة وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمره عند الإله الذى يعبده إلا واحد، ولو أنه ابتدع هذا الأمر من هواه لكان الذى بعثه يخبره بما فعل به وبمن اتبعه كما فعل لسليمان وعيسى والحواريين وكيف أخبرهم بمصيرهم ، وأما محمد فلا علم له بما يفعل به ولا بنا أن هذا من الضلال . وشق على المسلمين نزول هذه الآية فقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : ألا تخبرنا يارسول الله ماالله فاعل بك وبنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ما أحدث إلى أمر بعد !! فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، قال عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين : كيف تتبعون رجلا لا يدرى مايفعل به ولا بمن اتبعه هذا والله الخلاف المبين ! ! فعلم الله مافى قلوب المؤمنين من الحزن ، وعلم فرح المشركين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة ، فبين الله عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم ما يفعل الله به وبمن اتبعه فصارت منسوخة ، قوله(ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، منسوخة ، نسختها : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)(٣) أى فضلنا لك فضلا بيناً بالإسلام، نزلت بالمدينة بعد مارجع من الحديبية وأخبره الله تعالى ما يفعل به. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة فقال : لقد أنزلت على آية هى أحب إلى ما بين السماء والأرض . فقرأ عليهم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً .. إلى آخر الآية ، فقال أصحابه هنيئاً لك يا رسول الله قد علمنا الآن ما لك عند الله ٢٧٩ وما يفعل بك فما لنا نحن عند الله ومايفعل بنا؟ فنزلت (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار)(٤) ... الآية ، فانطلق عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين فى نفر من قومه إلى النبى

---

(١) سورة التوبة : آية ٥ .

(٢) سورة الأحقاف : آية ٩ .

(٣) سورة الفتح : آية ١ .

(٤) سورة الفتح : آية ٥ .

صلى الله عليه وسلم قال : فما لنا عند الله وما يفعل بنا ؟ فنزلت (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات)(١) فلما سمع عبد الله بذلك قال لأصحابه : يزعم محمد أن الله قد غفر له ذنبه وأنه يفتح له على عدوه هيهات !! هيهات !! فأين أهل فارس والروم ، هم والله أشد بأساً وأكثر عدداً أن يظهر محمد عليهم ، يظن محمد أنهم مثل هذه العصائب التي قد نزل بين ظهرانيهم ، قد غلبهم بكذبه وباطله . فنزلت فى قوله أين فارس والروم (ولله جنود السموات) الملائكة (وجنود الأرض) المؤمنين ، هو أشد بأساً وأكثر عدداً من فارس والروم ، (وكان الله عزيزاً حكيما)(٢) ، حكيم بالنصر للنبي وأصحابه صلى الله عليه وسلم . ومن سورة محمد صلى الله عليه وسلم : (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم) بالسيف وأظهرتم عليهم وأسرتموهم (فشدوا الوثاق فاما منا بعد) أى عتق بعد الأسر (وإما فداء) (٣) فيفدى نفسه بماله ، فصارت آية الفداء والمن امنسوخة بآية السيف فى براءة . ومن الذاريات قوله تعالى : (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)(٤) ، السائل المسكين ، والمحروم الذى لا سهم له فى فقراء أصحاب الصفة ، وكانوا أربعمائة رجل لم يجعل الله لهم سهماً فى الخمس ولا فى الفىء يوم النضير فصارت آية المحروم منسوخة بآية الصدقات فى براءة : (إنما الصدقات للفقراء)(٥) فبدأ بهؤلاء الفقراء قبل كل واحد . وقوله عز وجل : (فتول عنهم) وأعرض عنهم (فما أنت بملوم)(٦) فقد بلغت وأعذرت وأنذرت |٢٨٠| فلا يلام ، فحزن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية مخافة أن ينزل بقومه العذاب ، فصارت منسوخة نسختها

---

(١) سورة الفتح : آية ٦ .

(٢) سورة الفتح : آية ٧ .

(٣) سورة محمد : آية ٤ . وكتبت فى المخطوطة « حتى أثخنتموهم » .

(٤) سورة الذاريات : آية ١٩ .

(٥) سورة التوبة : آية ٦٠ .

(٦) سورة الذاريات : آية ٥٤ .

(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)(١) . ومن المجادلة قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة)(٢) نزلت فى الأغنياء من أصحابه صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم كانوا يكثرون مناجاته صلى الله عليه وسلم ويغلبون الفقراء على مجالسته ، وكان يكره طول مجالستهم ويكره نجواهم ، فنزلت فى الأغنياء هذه الآية ، ثم قال : (فان لم تجدوا) للفقراء صدقة (فان الله غفور رحيم)(٣) . فلما أمر الأغنياء بالصدقة عند المناجاة انتهوا عن ذلك وقدر الفقراء على كلام النبى صلى الله عليه وسلم ومجلسه فلم يقدم أحد من أهل اليسرة غير على بن أبى طالب فقدم ديناراً وكلم النبى صلى الله عليه وسلم عشر كلمات ، وقدم رجل من الأنصار ثمرات فلم يلبث إلا يسيراً حتى صارت الصدقة عند المناجاة منسوخة ، نسختها الزكاة مفروضة فى الآية التى تليها ، فقال تعالى : (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات)(٤) ، أأشفقتم ، أشفق عليكم أهل اليسرة أن تقدموا بين نجواكم صدقات ولو فعلتم لكان خيراً لكم ، (فاذ لم تفعلوا) (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فثبتت الزكاة وذهبت الصدقة عند المناجاة . ومن الممتحنة : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم)(٥) نزلت فى خزاعة ، منهم هليل بن عويمر ، وفى بنى خزيمة ، وفى بنى مدلج ، وكان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد إلى أجل ، فنزلت لا ينهاكم عن ظلة الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، فصارت منسوخة نسختها براءة من الله ورسوله . وقوله تعالى : (إذا جاءكم المؤمنات |٢٨١| مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن) .. الآية فصارت هذه الآية كلها منسوخة غير حرفين (لا هن حل لهم ولا هم

---

(١) سورة الذاريات : آية ٥٥ .

(٢) سورة المجادلة : آية ١٢ .

(٣) سورة المجادلة : آية ١٢ .

(٤) سورة المجادلة : آية ١٣ .

(٥) سورة الممتحنة : آية ٨ .

يحلون لهن)(١) نسختها آية السيف فى براءة وبقيت لا تحل مؤمنة لكافر ولا كافرة لمؤمن . وقوله تعالى : (وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار)(٢) أى لحقت امرأة مؤمن بكفار أهل الحرب الذين ليس بينكم وبينهم عهد ، وذلك أن أم الحكيم بنت أبى سفيان تركت زوجها عياض بن أبى عثمان القرشى وهو مسلم وأتت الطائف فتزوجت رجلا من ثقيف مشركاً ، (فعاقبتم) أى أعقبكم الله مالا (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) اعطوا هذا المسلم الذى ذهبت امرأته إلى الطائف (مثل ما أنفقوا) من المهر مما أصبتم من الغنيمة قبل أن تخمس . ثم تقسم الغنيمة بعد ذلك بين المسلمين (واتقوا الله) ولا تعصوه فيما أمرتم به (الذى أنتم به مؤمنون)(٣) ، صارت منسوخة نسختها آية السيف فى براءة . ومن المزمل قوله تعالى : (يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه)(٤) ثم صارت آية قيام الليل الذى كان على المسلمين منسوخة نسختها الصلوات الخمس على المسلمين ، وثبت القيام على النبى صلى الله عليه وسلم فريضتان واجبتان إلى آخر الآية . وقوله : (واصبر على ما يقولون)(٥) من تكذيبهم إياك (واهجرهم هجراً جميلا) . وكذلك قوله تعالى : (وذرنى والمكذبين أولى النعمة)(٦) خل بينى وبين المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فأنا أنفرد بهلاكهم ، نسخ هذا آية السيف . ومن (هل أتى) (ويطعمون الطعام على حبه)(٧) على حب الطعام (مسكيناً ويتيماً وأسيراً) مسكيناً ويتيماً من المسلمين ، وأسيراً من المشركين ، فصارت آية طعام المسكين واليتيم منسوخة بآية الزكاة المفروضة ، فنسخ إطعام الأسير من المشركين بآية السيف . وكل شىء فى القرآن ،

---

(١) سورة الممتحنة : آية ١٠ . وكتب سهوا فى المخطوطة (لاهن حل لكم) .
(٢) سورة الممتحنة : آية ١١ . وكتب سهوا فى المخطوطة (فان فاتكم) .
(٣) سورة الممتحنة : آية ١١ .
(٤) سورة المزمل : الآيات ١ — ٣ .
(٥) سورة المزمل : آية ١٠ .
(٦) سورة المزمل : آية ١١ .
(٧) سورة الإنسان : الآيات ١-٨ .

[٢٨٢] (إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم)(١) نسختها الآية : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)(٢) .

فصل

وأما ما ادعاه المبطلون فى القرآن من الزيادة والنقصان وطعن فيه الطاعنون من تكرار القصص والقول فيه فليس لطاعن فى ذلك مطعن والحمد لله . وقد أوضح العلماء فى ذلك من البيان والحجج ما يبطل قول كل معاند وكافر وجاحد فأغنانا الله عن إيراده وهو مبين بالاحتجاج من كتاب الضياء .

فصل

وأما الإضمار فمثل قوله تعالى : (حرمت عليكم أمهاتكم)(٣) يعنى تزويج أمهاتكم فأضمر تزويج ، قال الشاعر :

وأنت صاحبنا المذكور قد علمت
تلك العمائم فوق الخندق السود

يعنى أصحاب العمائم السود ، وأما الكناية فمثل قوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) (٤) فكنى عن المعنى كقوله تعالى لتسكنوا إليها فما كان على هذا وهذا وما جرى مجراه فهو الكناية . والقرآن نزل بلغة العرب ولغة العرب فيها الحقيقة ، والمجاز ، والإطالة ، والإيجاز ، والتوكيد ، والإحصار ، والحذف ، والتكرار ، والكناية ، والإضمار ، والحكاية ، والإشباع ، والاستعارة ، والإتباع ، والاشمام ، والإشفاق ، والترجيم ، والإغراء ، والإدغام ، والأضداد ، والمقلوب ، والجواز ، والمنقول ، والإبدال ، والمعدول ، والمعاريض ، والنقص ، والزيادة ، والتقديم ، والتأخير ، والتعظيم ، والتصغير ، ومخاطبة الواحد بلفظ الاثنين ، والاثنين بلفظ الواحد ، ومخاطبة الغائب بلفظ الشاهد ، والشاهد بلفظ الغائب ، وذكر شىء بسببه ، وسببه بذكره ، وكل ذلك قد جاء به القرآن مبين فى « كتاب الإبانة » عن الشيخ سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبى رحمه الله .

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٥ وسورة يونس : آية ١٥ وسورة الزمر آية ١٣ .
(٢) سورة الفتح : آية ٢ .
(٣) سورة النساء : آية ٢٣ .
(٤) سورة البقرة : آية ١٨٧ .

الباب الخمسون

فى ذكر الكتب التى أنزل الله على أنبيائه صلوات الله عليهم

روى عن وهب بن منبه أنه قال [٢٨٣] أنزلت مائة كتاب وأربعة كتب ، خمسون صحيفة أنزلت على شيث بن آدم صلوات الله عليهما ، وثلاثون صحيفة أنزلت على إدريس صلوات الله عليه ، وعشرون صحيفة أنزلت على إبراهيم صلوات الله عليه ، هذه مائة ، والتوراة على موسى بن عمران صلوات الله عليه ، والزبور على داود صلوات الله عليه ، والإنجيل على عيسى صلوات الله عليه والفرقان العظيم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الأول فى التوحيد والبيان وتفسير مشكل القرآن والرد على المشبهة والقدرية والمعتزلة والقائلين بخلقه ، بالحجة والبرهان من كتاب الكشف والبيان .

ويتلوه إن شاء الله الجزء الثانى فى مبتدأ خلق العرش والملائكة والسموات والأرض والإنس والجن ، وذكر سيرة الأنبياء صلوات الله عليهم والتابعين لهم باحسان ، وشرح افتراق الفرق والأديان .

على يد الفقير إلى الله عز وجل زاهر بن محمد بن عامر
ابن خلف الطيوانى البطاسى بيده الفانية بتاريخ
يوم خامس من شهر رمضان فى سنة ١٢٨٤
نسخته لنفسى اللهم ارزقنى معانيه
والعمل بما فيه برحمتك
يا أرحم الراحمين
آمين

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

تم ترتيب الأبواب من كتاب الكشف والبيان الجزء الأول من تصنيف الشيخ العالم أبى عبد الله محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى رحمه الله وغفر له ولنا ولجميع المسلمين آمين.

رقم الإيداع بدار الكتب ٣١٦٦ لسنة ١٩٨٠

مطابع سجل العرب

٩ شارع عماد الدين . ت ٩٣٢٧٠٦

Al-Kashf W-Al-Bayan

BY

ABI ABDULLAH MOHAMMAD BEN
SAID EL-AZDI EL-QALHATI

VOLUME I

EDITED
BY
Dr. SAYEDA ISMAIL KASHEF

1980